

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الموضوع:

المستويات اللهجية في ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف

مذكرة معدة لنيل شهادة الدكتوراه

تخصّص: الصوتيات العربية ومستويات الدرس اللغوي

إشراف الأستاذة الدكتورة:

موس لبنى أمال

من إعداد الطالب:

قرين كمال

لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. وادي دادة عبد الحكيم
مشرفاً ومقرراً	جامعة تلمسان	أستاذة محاضرة "أ"	د. موس لبنى أمال
عضواً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. بوعلي عبد الناصر
عضواً	جامعة وهران 02	أستاذ التعليم العالي	أ.د. بن عيسى عبد الحلّيم
عضواً	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	أ.د. حنيفة بن ناصر
عضواً	المركز الجامعي مغنية	أستاذة محاضرة "أ"	د. وهيبة وهيب

السنة الجامعية:

2023-2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ ^{قَالَ} إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۙ ۙ

سورة الزُّمَرُ، الآية 09.

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ...

لا تطيب اللحظات إلا بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك
جل جلالك.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة... إلى نبي الرحمة ونور العالمين - سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم-

أهدي هذا العمل إلى من ربنتي وأنارت دري وتعبت لأجلي، إلى أغلى ما في الوجود -أمي
الجيبية الغالية-

إلى روح أبي العزيز رحمة الله عليه.

إلى جميع إخوتي الأعزاء الذين كانوا سندا لي في هذه الحياة أسأل الله أن يحفظهم.

إلى سندي في هذه الدنيا أمينة.

إلى زوج أختي سالم وعمي أبو عبد الله.

إلى رفقاء الدرب والصدقاة أبوبكر ونصر الدين وفكري وياسين.

شكر و تقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسوله الكريم ومن تبعه بإحسان
الى يوم الدين.

أشكر رب العباد العلي القدير شكرا جزيلاً طيباً مباركاً فيه الذي أنارنا بالعلم، وأكرمنا
بالتقوى فله الحمد والشكر.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان للأستاذ عبد الحكيم والي دادا على كل ما قدمه
لي من مساعدة وتوجيهات ونصائح وعلى كل ما خصني به من جهده ووقته طول مدة
تواجدي بجامعة تلمسان.

كما أقدم أخلص تحية وأعظم تقدير للأستاذة المشرفة موسى لبي التي قبلت تواضعا للإشراف
حتى يخرج هذا العمل إلى النور.

ولا يفوتني توجيه الشكر والتقدير لكافة الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم
وسعة صدرهم لنا في المشاركة في تقييم ومناقشة بحثي وعملي.

مقدمة

إنّ الحديث عن الشّعر الجزائري ذو أهمية بالغة، أهمية البحث في القيم التّقافية والفكرية الأصيلة للشّخصية الوطنية، ذلك أنّ هذا اللون الأدبي أصبح من أهمّ الرّكائز التّقافية الوطنية، فالشّعر كان ولا يزال ذاكرة الشّعب ووعيتها الشّفوي، والمرأة التي تعكس بصدق الماضي بكلّ ما ينطبق عليه من تقاليد وعادات وطقوس دينية ومشاعر فردية أو اجتماعية.

لقد تنوّعت موضوعات الشّعر الشّعبي من ملاحم وحكايات ومواويل وابتهالات ومدائح نبوية وغيرها.

ومن الشّعراء الجزائريين الذين أبدعوا في هذا المجال، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "عبد القادر بطبجي"، "ابن سهلة"، "أحمد بن التريكي"، "الأخضر بن خلّوف"، هذا الأخير الذي عاش في القرن التاسع للهجرة، عهد الأتراك، ولقّب بشاعر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم والناصر لشعائر الإسلام، وتحرير الوطن.

لعلنا لا نغالي إن قلنا أنّ اللّغة التي نظم بها الشّاعر قصائده -رغم عاميتها- إلّا أنّ معجمها الشّعري غنيّ بالدلالات اللّغوية التي يتوجّب علينا البحث فيها، ذلك أنّ ميدان دراسة الألفاظ العامية وعلاقتها بالعربية الفصحى ما زال لم يأخذ حيّزا مهمّا في الدّراسات اللّغوية، فوجب علينا الغوص في مناقب العامية، ورد ألفاظها إلى العربية الفصحى وكم هي كثيرة في ديوان "الأخضر بن خلّوف".

ولما كانت اللّغة النّاطق الرّسمي للشّعب، ورمز ثقافتهم كان لزاما علينا الوقوف على موروثهم اللّغوي وفهم دلالاته واستيعاب تاريخ حضارات خلت ما تزال تتخبّط في غياهب العتمة والظلام، تلك هو حال حضارة الأتراك العريقة التي عمّرت في الجزائر طويلا، ولا يزال نجهل الكثير عنها لطمس الاستعمار الفرنسي لمعالمها وحرقت مصنّفات علمائها، فأضحت البحوث في العهد التّركي قليلة، وهو ما دفعنا لتسليط الضّوء على شخصية بارزة من شخصيات ذلك الزّمن الغابر، كونها شاهد عيان على أحداث سياسية ووقائع تاريخية عرفها وطننا الحبيب، فساهمت في إثراء الرّصيد

اللّغوي والمعرفي وحافظت على مقوّمات التّقافة العربيّة والإسلاميّة، وباستقراء ما توفّر لدينا من قصائد أضحت المورد الوحيد الذي ينقل لنا مظاهر الحياة التّقافية والاجتماعية لذلك العصر، حاولنا تقديم بحث يثري القاموس اللّغوي، غنيّ بمفردات يظنّ الكثير أنّها عامية وهي ذات أصل فصيح.

ولقد شدّنا الغرض الشّعري، غرض المديح التّبوي، الذي نظمت فيه معظم قصائد ديوان "سيدي الأخضر بن خلّوف"، بكلمات صادقة وأسلوب سهل ومعاني عميقة، ممّا شجّعنا على اختيار الموضوع، والغوص في دلالة كلماته التي تبرز ثراء الشّعر الملحون الجزائري بمفردات تحتاج إلى بعض التّنقيح والتّصحيح.

والعمل الذي بين أيدينا هو محاولة للجمع بين اللّهجة والمعجم والدّلالة، لبيان موقع هذا المعجم من العربية الفصحى، بضبط ألفاظ الدّيوان ضمن حقول دلالية، بالاعتماد على الشّاهد والعودة للمعاجم اللّغوية، ثمّ الرّجوع إلى تفسير المفردة في القرآن الكريم وضرب أمثلة من دواوين العرب وأمثالهم، للوقوف على المعنى الذي اشترك فيه بن خلّوف مع غيره من الشّعراء وما خالفهم فيه.

ولإثراء ذلك قسّمنا هذا العمل إلى ستّة فصول، بعد مقدّمة ومدخل، يتبعها خاتمة تلخّص أهمّ نتائج البحث، مع ملحق يلخّص حياة الشّاعر وأغراض شعره.

أمّا مقدّمة البحث فتناولنا فيها أهمية الموضوع ودوافعه وأهدافه وسبب اختيارنا له.

التّمهيد: عرّفنا فيه اللّهجة والمعجم، وحاولنا إدراج جهود العلماء العرب عامّة والجزائريين خاصّة في كلا المجالين، والرّبط بين اللّهجة واللّغة.

وجاء تقسم الموضوع كالآتي:

الفصل الأوّل: الأسماء الدالّة على الله وملائكته ورسله، والإنسان وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية، وقسّمناه إلى مباحث:

◀ **المبحث الأول:** درسنا فيه دلالة الأسماء الدالة على الله كالرحمن وملائكته عليهم السلام كجبريل، والإنسان، من ذلك أسماء الرسل والأنبياء ووقفنا عند أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم، وأسماء التابعين نوجه كرواة الحديث وعلى رأسهم البخاري، وأسماء العلماء الأجلاء كالقيرواني، وغيرها.

◀ **المبحث الثاني:** درسنا دلالة أسماء القادة والزعماء ممن ورد ذكرهم في الديوان كالقائد النصراني "فرغنسا" وزعيم الكفار "أبي جهل"، وغيرهم.

◀ **المبحث الثالث:** استخرجنا مختلف العلاقات الاجتماعية والفردية والدينية التي ربطت الشاعر بمحيطه وعكست درجة إيمانه، منها ما دلّ على أصدقاء بن خلوف وجيرانه وأهله وقبيلته، وما دلّ على أسماء الغيبات كإيمان الشاعر المطلق وتصديقه بالبعث والنشور والجنة والنار.

الفصل الثاني: الأسماء الدالة على أعضاء جسم الإنسان وجنسه وسنّه وانتمائته، قسّمناه إلى ثلاثة مباحث:

◀ **المبحث الأول:** الأسماء الدالة على أعضاء جسم الإنسان، درسنا فيه أعضاء الجسم الظاهرة منها والباطنة ووقفنا عند دلالة كل عضو.

◀ **المبحث الثاني:** ما دلّ على جنس الإنسان وسنّه، وقفنا عند كلمتي (رجل) و (نساء) لتوضيح اختلاف الجنس، ولفضي (الشيب) و (صبي) لتبيان مراحل سنّ الإنسان.

◀ **المبحث الثالث:** ما دلّ على انتماء الإنسان، درسنا الأسماء الدالة على الدين والتّسبب، لإبراز انتماء الإنسان، ومن ذلك كلمتي (العرب) و (اليهود).

الفصل الثالث: ما دلّ على المحسوسات في ديوان "سيدي الأخضر بن خلوف".

◀ **المبحث الأول:** ما دلّ على السّمع، قسّمناه إلى أحد عشر حقلاً: ما دلّ على أصوات الحزن، وما دلّ على أصوات الفرح والانطراب، وما دلّ على أصوات الخصام

والعتاب، وما دلّ على الشّعْر، وما دلّ على الشّكر والثناء، وما دلّ على أصوات الطّبيعة، وما دلّ على أصوات الاستغفار والدّعاء، وما دلّ على أصوات الكلام والحديث، وما دلّ على التّوسّل والتّضرّع، وما دلّ على العلوم والمعارف، وما دلّ على الكتب السّماوية.

◀ **المبحث الثاني:** ما دلّ على البصر، من الأسماء التي دلّت على هذا الحقل: أسماء الألوان كالأسود والأبيض والأخضر وغيرها.

◀ **المبحث الثالث:** ما دلّ على الذّوق والشّم، أمّا الأسماء الدالّة على الذّوق فوزّعناها إلى: ما دلّ على الثّمْر، وما دلّ على الشّراب، وما دلّ على الطّعم المر، وما دلّ على الطّعم الحلو والطّيب، وما دلّ على الطّعم المالح أيضا.

الفصل الرّابع: ما دلّ على الوسائل التي يستعملها الإنسان في ديوان "سيدي الأخضر بن خلوف":

◀ **المبحث الأوّل:** ما دلّ على المعادن والمواد الأوّلية، كالحديد والذهب والفضّة والصّوف.

◀ **المبحث الثّاني:** ما دلّ على وسائل الاستعمال اليومي، وزّعنا الأسماء الدالّة على ذلك إلى: ما دلّ على وسائل الأكل والشّراب، وما دلّ على الأفرشة والأغطية، وما دلّ على وسائل الإضاءة، وما دلّ على وسائل الكتابة والتّعلّم، وما دلّ على وسائل الوزن والكيل، وما دلّ على اللّباس وغطاء الرّأس، وما دلّ على وسائل الرّيّنة، وما دلّ على وسائل الطّرب والتّسلية، وما دلّ على وسائل أخرى التي تعدّ ضمن حقل وسائل الاستعمال اليومي، لكنّها لم توافق أيّا من الحقول السّابقة الذّكر.

◀ **المبحث الثّالث:** ما دلّ على وسائل القيد، القطع والحفر والقتل: قسّمناه وفق الحقول الدّلالية التّالية: ما دلّ على وسائل القيد، وما دلّ على وسائل القطع والحفر، وما دلّ على وسائل القتل.

الفصل الخامس: الطّبيعة ومظاهرها في ديوان "سيدي الأخضر بن خلوف"، وزّعنا الفصل إلى ثلاثة مباحث.

◀ المبحث الأوّل: ما دلّ على السّماء والأرض، يضمّ حقل السّماء ما فيها من سحاب ونجوم وظواهر جويّة، أمّا الأرض فضمّ حقلها ما فيها من تضاريس وقارّات وبلدان ومدن.

◀ المبحث الثّاني: ما دلّ على الفصول والشّهور والأيّام والليالي، قسّمنا كلّ ذلك إلى ثلاثة حقول، كان الأوّل في ما دلّ على الفصول، والثّاني ما دلّ على الشّهور، والثالث ما دلّ على الأيّام والليالي، ثمّ ما دلّ على أسماء أخرى.

◀ المبحث الثّالث: ما دلّ على الحيوان والنبات، قسّمنا ما دلّ على الحيوان إلى حقل الطّيور، وحقل الدّواب المائيّة، وحقل الزّواحف، فحقل الحشرات، أمّا ما دلّ على حقل النّبات فوزّعناه إلى ما دلّ على الورد والزّهر، وما دلّ على الفاكهة والثّمار، وما دلّ على الأشجار، وما دلّ على نبات آخر.

الفصل السّادس: الفعل ودلالته في ديوان سيدي "الأخضر بن خلوف"، قسّمنا الفصل إلى ثلاثة مباحث.

◀ المبحث الأوّل: درسنا فيه الأفعال الدالّة على الاتّصال والحركة.

◀ المبحث الثّاني: تتبّعنا دلالة الأفعال الدالّة على الإحساس والانفعال.

◀ المبحث الثّالث: عرضنا فيه حقل الأفعال الدالّة على الفكر والتّعلّم.

إنّ طبيعة الموضوع تقتضي منّا اعتماد المنهج التحليلي الوصفي بتقنيات إحصائية، لكونه الأقرب والأنسب لدراستنا؛ حيث قمنا بوصف الألفاظ الواردة في الدّيوان بعد تصنيفها وفق حقلها الدلالي، ثمّ حلّلنا اللفظة حسب سياقها، ورددناها إلى أصلها الفصيح، واستعنا في بعض الحالات بالمنهج التاريخي، لأنّه يعيننا على تتبّع تطوّر دلالة الكلمة.

وفي الأخير نحمد الله حمد الشّاكرين على عظيم نعمه وجميل عطائه، الذي جعل بعد الشدّة فرجا، فأعاننا المعين على إتمام هذا الجهد الذي نطمح أن يكون في المستوى اللائق، لنقدّم مساهمة بسيطة في الدّراسات اللّغوية في العهد التّركي في الجزائر

كما نتوجّه بخالص التّحية والشّكر للأستاذة المشرفة موسى لبني وكذلك لأعضاء لجنة المناقشة، الذين تكرموا علينا بوقتهم الغالي لقراءة هذا العمل، وجمع ملاحظاتهم التّقيسة، التي ستكون لنا ذخرا في المستقبل إن شاء الله.

نسأل الله أن يغفر لنا ما أخطأنا فيه، فالكمال له وحده عزّ وجلّ.

مدخل:

المعجم و اللّهُجَة

1- تعريف المعجم

أ- التّعريف اللّغوي

ب- التّعريف الاصطلاحي

2- جهود العرب في صناعة المعاجم

3- تعريف اللّهُجَة

أ- التّعريف اللّغوي

ب- التّعريف الاصطلاحي

4- بين اللّهُجَة والمعجم

5- دراسة اللّهُج ات

1- تعريف المعجم:

أ- التّعريف اللّغوي:

استعمل العرب جذر الكلمة (ع ج م) للدلالة على الإبهام والغموض والخفاء، فقد ذكر "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت 175 هـ) أنّ "الأعجم: الذي لا يُفصِحُ. وامرأة عجماء بيّنة العجمة. والعجماء كل صلاة لا يُقرأُ فيها"¹، ولم يختلف "ابن جيّي" عن سابقه في بيان دلالة اللّفظ، يقول: "ألا ترى أن تصريف (ع ج م) أين وقعت في كلامهم إنما (هو للإبهام) وضدّ البيان من ذلك وقعت في كلامهم لا يفصحون... (وهذا) كلّه على ما تراه من الاستبهام وضدّ البيان"²، فالجذر (ع ج م) "يعني الإبهام والغلق وعدم الوضوح"³، وهو ما تكرر في معظم المعاجم اللّغوية العربيّة و "الأعجمُ الَّذِي لَا يُفصِحُ وَلَا يُبَيِّنُ كَلَامَهُ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا النَّسَبِ... وَالْأُنثَى عَجْمَاءُ"⁴.

ب- التّعريف الاصطلاحي:

هو كتاب أو ديوان لمفردات اللّغة، ترد فيه الألفاظ مرتّبة ترتيباً على نمط معيّن محدّد: ترتيب ألف بائي، أو حسب مخارج الحروف، أو بالنظر إلى جذر الكلمة مشروحة شرحاً يزيل الغموض ويرفع اللبس، واصطلاح على ترجمته بكلمة ⁵Dictionnaire، ويضمّ المعجم مجموع الكلمات التي تنتمي لحيز لغوي ما، فيشرحها لبيّن دلالتها، ويحمل المعجم في متنه مجموع الكلمات التي تضعها

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1424هـ، ج 3، ص 105.

² - أبو الفتح عثمان بن جيّي، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النجّار، دار الكتب المصرية، 1957م، ج 3، ص 75-76.

³ - عزّة حسين عزّاب، المعاجم العربيّة، رحلة في الجذور والتّطور، الهوية، مكتبة ومطبعة نانسي دمياط، طباعة عماد، ص 17.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: نجبة من الأساتذة، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة محقّقة، المجلّد العاشر، ص 49.

⁵ - Un ouvrage qui contient les mots d'une langue, rangés par ordre alphabétique, suivis de leur définition ou de leur tradition dans une autre langue » voir : institut pédagogique national-Alger, dictionnaire de la langue française, librairie la rousse, 1986, page 244.

لغة ما في تناول المتكلمين¹، ومن هنا فالمعجم "قائمة من المفردات ومشتقاتها وطريقة نطقها، مرتبة وفق نظام معيّن، مع شرح لها... بالإضافة إلى معلومات أخرى ذات علاقة بها سواء، كانت تلك الشّروح أو المعلومات باللّغة ذاتها أو بلغة أخرى"².

ومن الملاحظ أنّ الدّلالة اللّغوية للفظ (عَجَمَ) والدّلالة الاصطلاحية تحمّلان نوعاً من الغموض، فبالنّظر إلى المعنيين، يمكننا أن نتساءل: كيف يمكن لمادّة (عَجَمَ) إفادة الخفاء واللّبس من جهة، والدّلالة على الشّروح والتّوضيح من جهة أخرى؟ الظّاهر أنّ الكلمة اتّخذت مفهوماً جديداً، وتعني بإظهار المعنى للفظ الغامض ومعرفة الكثير من أسرارها من حيث أصله، واشتقاقه، ومعناه ومرادفه³، كقولنا: "تعجيم الكتاب: تنقيطه كي تستبين عجمته ويصحّ"⁴، و "أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته. فهو إذاً لسلب معنى الاستبهام لا إثباته"⁵، وفي "لسان العرب": "أعجم الكتاب وعجمته: نقطه؛ قال ابن سيده: وهو عنده على السلب لأن أفعلت وإن كان أصلها الإثبات فقد بجيئ للسلب، كقولهم أشكيت زيداً أي زلت له عمّا يشكوه"⁶، و "أعجم الكلام أو الكتاب أي أزال عجمته وإبهامه وفسره"⁷.

الملاحظ أنّ إلحاق الهمزة بالفعل المجرد الثلاثي (عَجَمَ) ليصير رباعيّاً (أعجمَ) قد أثر في دلالاته؛ حيث قلبت الهمزة معنى الفعل للدّلالة على السلب، وهذا ما يندرج ضمن معاني صيغ الزوائد (تضعيف عين الكلمة، زيادة الهمزة في أوّل الكلمة...) للإشارة إلى "السلب والإزالة، فأقذيت عين

¹ ينظر: أحمد عزّوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدّلالية، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2002م، ص 08.

² حلمي خليل، مقدّمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار التّهضة العربية للطباعة والنّشر، بيروت، ط 1، 1997م، ص 14.

³ ينظر: عزّة حسين عزّاب، المعاجم العربية، رحلة في الجذور، التّطور، الهوية، ص 18-19.

⁴ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 105.

⁵ أبو الفتح عثمان بن جيّ، الخصائص، ج 3، ص 76.

⁶ ابن منظور، لسان العرب، المجلّد العاشر، ص 51.

⁷ المنجد في اللّغة (المنجد الأبجدي)، دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)، بيروت، لبنان، ط 20، ص 974.

فلان، أعجمت الكتاب، أي: أزلت القذى عن عينه، أزلت عجمة الكتاب بنقطة¹، وأشكلت النصّ أي أزلت إشكاله، أشكيت فلانا أي أزلت شكواه ومثله: تصريف (ش ك و) فأين وقع ذلك فمعناه إثبات الشكو والشكوى والشكاة وشكوت واشتكيت، فالباب فيه كما تراه لإثبات هذا المعنى، ثمّ إنهم قالوا: "أشكيت الرجل إذا (زلت له عما يشكوه) فهو إذاً لسلب معنى الشكوى لا لإثباته"².

لقد بيّن "ابن منظور" كيف يمكن لدلالات الإثبات والإخفاء أو الغموض والوضوح أن تجتمعا في نفس الجذر، يقول: "إمّا سُميت بذلك لأن الشكّل الواحد إذا اختلفت أصواته، فأعجمت بعضها وتركت بعضها، فقد علم أن هذا المتروك بغير إعجام هو غير ذلك الذي من عادته أن يُعجم، فقد ارتفع أيضاً بما فعلوا الإشكال والاستنباه عنهما جميعاً..."³.

ووضّح أهمية التنقيط والإعجام في إزالة الغموض الذي يكشف الحروف إذا ما تشابه رسمها قائلاً: "ألا ترى أنك إذا أعجمت الجيم بواحدة من أسفل والخاء بواحدة من فوق وتركت الخاء غفلاً فقد علم بإغفالها أنها ليست بواحدة من الحرفين الآخرين، أعني الجيم والخاء؟ وكذلك الدال والذال والصاد وسائر الحروف، فلما استمرّ البيان في جميعها جاز تسميتها حروف المعجم"⁴.

وخلاصة ذلك أنّ الفعل الثلاثي المجرد (عجم) بوزن (فعل) بفتح العين، يدلّ على الوضوح والإبانة، أمّا (عجم) بوزن (فعل) بضمّ العين و (عجم) بوزن (فعل) بكسرهما، يدلّان على الخفاء

¹ - أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، مؤسّسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م، ص 33.

² - ابن جني، الخصائص، ج 3، ص 76-77.

³ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد العاشر، ص 50.

⁴ - المصدر نفسه، ص 50.

والغموض، عكس الدلالة الأولى، ومن ذلك اعتمد اللّغويون صياغة (أَعْجَمَ) من (عَجَمَ) للدلالة على سلب المعنى لا لإثباته.¹

وتتبعوا معاني الفعل المزيد (أَعْجَمَ) بوزن (أَفْعَلَ) الذي يفيد... السلب والإزالة: فدخل الهمزة الزائدة أزال وسلب ما اشتق منه الفعل: العجمة من الفعل (أعجم) والقذى من الفعل (قذى) عن مفعول (أفعل)²، ومن صيغته نذكر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ۝ ١٥ ﴾³، أي: أكاد أبينها وأظهرها وأوضّحها، وهو ضدّ الخفاء.

والمعجم مصدر ميمي أصله من (أَعْجَمَ) الذي يعني به كتاب اللّغة، أو ما يعرف بالقاموس⁴، ويضمّ "الألفاظ التي يقوم المعجمي بجمعها وترتيبها وشرح دلالاتها، وهذه المادّة تختلف من معجم إلى معجم، تبعاً للغرض الذي وضعت من أجله"⁵، ومن هنا يتوسّع معنى كلمة (معجم) المشتقّ من عَجَمَ للدلالة على الجمع.

2- جهود العرب في صناعة المعاجم:

عرف اللّغويون العرب أنواعاً من المعاجم، يمكن اعتبارها متطوّرة بحسب الزّمان الذي ألفت فيه حتّى أصبحت بعد مرحلة من تاريخ التّأليف المعجمي أساساً لعلم مستقلّ بذاته.

¹ - ينظر: عزّة حسين عزّاب، المعاجم العربية، رحلة في الجذور، التّطوّر، الهوية، ص 17-18.

² - عبد الستار عبد اللّطيف أحمد سعيد، أساسيات علم الصّرف، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط 2، 1999م، ج 1، ص 139-142.

³ - سورة طه، الآية 15.

⁴ - المنجد في اللّغة، ص 479.

⁵ - حلمي خليل، دراسات في اللّغة والمعاجم، ص 370.

ومن بين هذه المؤلّفات المعجمية، نذكر بعض المسائل اللّغوية التي عنيت بترتيب مفردات القرآن منها: "غريب القرآن" لابن قتيبة (ت 276 هـ)¹، "المفردات في غريب القرآن" للزّاغ الأصفهاني (ت 502 هـ)²، "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (ت 557 هـ)³.

ومنها رسائل أخرى، شملت ما خصّ حياة العرب واحتوت كلّ واحدة منها على ألفاظ خاصّة في مجموعات دلالية صغيرة، تتعلّق كلّ منها بموضوع مفرد في موضع مفرد، وهي رسائل من صميم الحقول الدلالية، وإن لم يشر القدماء إلى المصطلح.⁴

ومما ألفت في خلق الإنسان، نذكر: كتاب "خلق الإنسان" للأصمعي (ت 216 هـ)، وكتاب "خلق الإنسان" أيضا لثابت بن أبي ثابت (ت 270 هـ)⁵.

والرسائل التي عنيت بالمفردات الدالّة على الخيل، أو الشّاء أو النّخل، أو الكرم، أو المطر، أو البئر، أو اللّبأ واللّبّن.⁶

وفي رسائل الغنم، نذكر أبو عبيد القاسم (ت 224 هـ)⁷، كتاب "الخيل" لأبي عبيدة معمر بن المثنّى⁸ (ت 210 هـ)، وفي التّبات اشتهر أحمد بن وتد (ت 299 هـ)⁹، وابن دريد (ت 321

¹ - ينظر: أحمد عزّوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 81.

² - ينظر: حلمي خليل، مقدّمة لدراسة التّراث المعجمي العربي، ص 404.

³ - المرجع نفسه، ص 426.

⁴ - ينظر: أحمد عزّوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 22-23.

⁵ - المرجع نفسه، ص 26.

⁶ - ينظر: أحمد محمّد قدّور، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1999م، ص 306.

⁷ - ينظر: أحمد عزّوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 23.

⁸ - ينظر: المرجع نفسه، ص 23.

⁹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 23.

هـ) في السّرج واللّجام والمطر¹، وعبد الله بن سعيد الخوافي (ت 480 هـ)²، وشرف الدّين بن يوسف بن حيدرة الطيّب (ت 667 هـ).³

ومن البحوث التي عمدت إلى تصنيف الظواهر اللّغوية: "رسائل الهمز والأبنية" ليونس بن حبيب، وابن مرار الشّيباني وابن القراء.

كما عرف العرب معاجم الموضوعات المتعدّدة كـ "الغريب المصنّف" لأبي عبيد القاسم بن سلام، و "فقه اللّغة وسرّ العربية" للثّعالبي، و "المخصّص" لابن سيّدة، و "نظام الغريب في اللّغة" للرّبيعي، و "كفاية المتحقّق ونهاية المتلقّظ" لابن الأجدادي⁴، بعد ذلك نشطت حركة التّأليف المعجمي بما أبدعه العلماء الفطاحل، ظلّت أعمالهم محلّ تقدير وتبجيل من لدن كلّ من يقدر العلم ويحترم العلماء⁵، ومن هذه الأعمال نذكر: "معجم العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)⁶، "المحكم" و "الصّحاح" للجوهري (ت 393 هـ)، ابن سيّده أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 457 هـ)⁷، "لسان العرب" لابن منظور (ت 711 هـ)⁸، وغيرهم كثير، فلا يمكننا الوقوف على جميع مؤلّفات العرب المعجمية، ضمن هذه اللّحة الوجيزة التي كشفت لنا ضلوع العرب في المعجمية عامّة والحقول الدّلالية خاصّة.

¹ - المرجع السّابق، ص 23.

² - المرجع نفسه، ص 23.

³ - المرجع نفسه، ص 23.

⁴ - ينظر: أحمد محمّد قدّور، مبادئ اللّسانيات، ص 306.

⁵ - ينظر: أحمد عزّوز، المدارس اللّسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التّواصلية، منشورات مخبر اللّغة العربية والاتّصال، دار الأديب للنّشر والتّوزيع، وهران، د ط، ص 65.

⁶ - ينظر: أحمد محمّد قدّور، اللّسانيات وآفاق الدّرس اللّغوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1، 2001م، ص 41.

⁷ - ينظر: حلمي خليل، مقدّمة لدراسة التّراث المعجمي، ص 120.

⁸ - ينظر: المرجع نفسه، ص 121.

1-2 جهود الجزائريين في صناعة المعاجم:

نشير إلى جهود بعض الجزائريين، إذ لا يسعنا المقام في هذا المدخل البسيط الوقوف على جميع البحوث الأكاديمية:

تأصيل المصطلح الصوتي - محاولة إنجاز قاموس في الصوتيات العربية - يمينة مصطفىاوي، (دراسة ماجستير)، جامعة البلدة، (2001م-2002م)، قدّم هذا البحث كنموذج من أجل الوصول إلى منهج سليم ودقيق في التأصيل والتأليف المعجمي المتخصص... وكذا فهرسا لقاموس نموذجي في الصوتيات العربية مع عدد من المصطلحات.¹

1. المعجم اللهجي ودلالته في ديوان أحمد بن التريكي، بلي عبد القادر، رسالة ماجستير، 2005م، جامعة وهران.

2. المصنّفات اللغوية للأعلام الجزائرية، مختار بوعناني، ط 1 (طبعة خاصّة)، وهران، 2000م.²

3. المعاجم الثنائية اللغة (فرنسي عربي)، بوشنان فتيحة، جامعة تيزي وزو، ماجستير، 1999م.³

4. معجم أشعار العرب، الطاهر الجزائري (ت 1920 م).⁴

¹ - ينظر: يمينة مصطفىاوي، تأصيل المصطلح الصوتي محاولة لإنجاز قاموس في الصوتيات، رسالة ماجستير (مخطوط)، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سعد دحلب، البلدة، الجزائر، 2001م-2002م، المقدمة (ج).

² - ينظر: مختار بوعناني، المصنّفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م، ص 19.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 119.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 119.

5. المعجم اللّغوي في منامات الوهراني دراسة دلالية، بن عسلة عبد القادر، جامعة وهران (ماجستير).¹
6. الدّخيل في المعجم الوسيط دراسة وصفية مقديّة، قالون فهيمة، رسالة دكتوراه، تهدف الأطروحة إلى كشف ظاهرة لغوية، تعرف بالألّفاظ الدّخيلة في اللّغة العربيّة ورصد أبعادها المعجمية ومدى إسهام المعجم الوسيط في إثراء اللّغة.²
7. معجم المؤلّفين الجزائريين باللّغة العربيّة في القرن العشرين، العلوم الإنسانيّة من 1970م-1980م، للأستاذين درار مكّي و بوعناني مختار، وهران (طبعة خاصّة).³
8. معجم المؤلّفين الجزائريين باللّغة العربيّة في القرن العشرين، العلوم الإنسانيّة من 1980م-1990م، للأستاذين درار مكّي و بوعناني مختار، وهران (طبعة خاصّة).⁴
9. معجم موسوعي لمصطلحات الثّورة الجزائريّة، عبد الملك مرتاض، (ديوان المطبوعات الجامعيّة)، 1983م، الجزائر.⁵
10. المعجم اللّغوي لديوان ابن شهيد الأندلسي، القلي الزّبير، جامعة قسنطينة (دكتوراه).⁶
11. معجم المؤلّفين الجزائريين للّغة العربيّة في القرن العشرين، العلوم الإنسانيّة من 1900م-1970م، للأستاذين مكّي درار و بوعناني مختار، وهران (طبعة خاصّة).⁷

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 120.

² - ينظر: موقع مكتبة جامعة الجزائر: <http://bu.Univ-Alger.Dz>

³ - ينظر: مختار بوعناني، المصنّفات اللّغوية للأعلام الجزائريّة عبر القرون، ص 121.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 121.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 121.

⁶ - ينظر: المرجع نفسه، ص 120.

⁷ - ينظر: المرجع السابق، ص 120.

12. المعجم اللغوي ودلالته في مرايا متشظية، خالد فرعون، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة وهران، (ماجستير).¹

3- تعريف اللهجة:

أ- التعريف اللغوي:

يكاد التعريف اللغوي يكون واحدا في معظم المعاجم اللغوية العربية القديمة منها والحديثة، وهذا ما يؤكده قول "الخليل بن أحمد الفراهيدي": هي "طرف اللسان، ويقال جرس الكلام، ويقال فصيح اللهجة واللهجة، وهي لغته التي جيل عليها فاعتادها، ونشأ عليها"²، وبها تحدث منذ صغره، فكبرت معه لتنمو وتتطور، وجاء في معجم "مقاييس اللغة": "اللام والهاء والجيم أصل صحيح يدل على المثابرة على الشيء وملازمته والأصل آخر يدل على اختلاط في الأمر، يقال: لهج بالشيء: إذا أغري به وثابر عليه وهو لهج، وقولهم: هو فصيح اللهجة، واللهجة اللسان بما ينطق به من الكلام".³

وتعني اللهجة: اللسان والكلام، وهذا التعريف ينطبق مع المعاجم الحديثة، منها "المنجد الأبجدي" فهي "اللسان وأطرافه، لغة الإنسان التي جيل عليها واعتادها"⁴، واكتسبها بطريقة عفوية في سنوات العمر الأولى، ليسخرها في تعاملاته وعلاقاته المختلفة بغيره.

ب- التعريف الاصطلاحي:

¹ - المرجع نفسه، ص 120.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج 04، ص 105.

³ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج 05، ص 214-215.

⁴ - المنجد في اللغة، ص 735.

اللّهجة مصطلح تداولته المعاجم العربية وترجم إلى الفرنسية بـ (Dialecte)¹، التي يعني بها اللّغة التي تتداولها مجموعة من الأفراد، ينتمون لنفس المنطقة أو الرّقعة الجغرافية.

ويراد بها مجموعة العادات الكلامية و "مجموع ما تشابه من اللّغات أو تماثل خطيًا فإنّه... يسمى (حزمة الحدود) Faiseau d'isoglosses"² التي تنتمي لوسط معيّن يخصّ مجموعة من الأفراد، ينتمون لنفس البيئة التي تكيف مقاطع صوت امرئ ما.³

إنّ "اللّهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصّفات اللّغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد البيئة..."⁴، وتعكس تنوّعات محلية أو قبلية⁵، وتسمّى العامية أو المنطوقة أو المحكية أو المحلية أو الدارجة، ويستعملها النّاس مشافهة في حياتهم اليومية لقضاء حاجاتهم والتّفاهم فيما بينهم.⁶

وتعبّر اللّهجة عن الهوية الثقافيّة للفرد من خلال طريقة الكلام واستخدام المفردات وكيفية التّلّفظ بها، يمكننا الكشف عن جانب من ثقافة المتحدّث، و "تلعب اللّهجة دورا كبيرا في حياة أفرادها، فهي تمثّلهم إكلينيكيًا"⁷، لتعبّر عن ثقافة الجماعة المتكلّمة بها، وتحمل خصائصهم وأفكارهم

¹ - Dialecte (djalkt) n.m. Dans cette région, les paysans parlent un dialecte, une langue particulière voir : Institut pédagogique national Alger, Dictionnaire de la langue Française librairie la rousse, 1986, page 244.

² - عبد الجليل مرتاض، مقاربات أوليّة في علم اللّهجات، دار الغرب، ط 02، ص 77.

³ - ينظر: عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 07.

⁴ - ينظر: محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللّغوي، دار المعرفة الجامعية، 2003م، ص 274.

⁵ - ينظر: الطيّب دّيه، مبادئ اللّسانيات البنوية دراسة تحليلية إستمولوجية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، 2001م، ص 16.

⁶ - ينظر: مها محمّد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللّغوية، دار المعرفة الجامعية، 2005م، ص 146.

⁷ - المرجع نفسه، ص 146.

الثقافية الخاصة¹، وتيسر اتصالاتهم وطرق التفاهم بينهم، لتكون شكلاً محلياً للكلام، يستعمل في محيط واسع²، فاللهجات التي تنتمي لبلد واحد في اتحادها تشكل اللغة التي تتكلمها كل جماعة بما تحويه من خصائص صوتية، ومميزات تركيبية، ودلالية، وبما يميزها عن لهجة جماعة أخرى، كما تنتمي إلى نفس الرقعة السياسية والحضارية، مما يولد أنماطاً لهجية متفرعة عن اللغة المثالية، كما يتجلى ذلك في المجتمعات العربية³، وذلك التنوع اللهجي الحاصل في البلد الواحد هو ما اصطاح المحدثون على تسميته باللغة⁴، التي عرفت انتشاراً واسعاً في مناطق شتى من الأرض، مما تسبب في التوالد اللهجي الحاصل اليوم.

لا تلبث اللغة أن تتشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها وبين أخواتها، حتى تصبح لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها.⁵

وعلى رغم وجود بعض الاختلافات اللهجية في بعض الصفات الصوتية أو في الجوانب التركيبية أو معاني عدد من الكلمات، فإن لهجات اللغة الواحدة تشترك في النصب الأكبر من المفردات ومعانيها، وفي معظم الأسس التي يسير عليها تركيب الكلمات والجمل⁶، وفي "مجموعة الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض"⁷.

¹ - المرجع نفسه، ص 163.

² - ينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 02، 1973م، ص 69.

³ - ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزريطية، الإسكندرية، 2000م، ص 164.

⁴ - ينظر: محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، ص 274.

⁵ - ينظر: عبد الواحد وافي، علم اللغة، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 172-173.

⁶ - ينظر: وفاء كامل فايد، المجامع العربية وقضايا اللغة (1)، عالم الكتب، 2004م، ص 277.

⁷ - عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي فقه اللغة العربية، دار أسامة، الأردن، ط 04، 2005م، ص 144.

4- بين اللّغة واللهجة:

إذا ما وقفنا عند العلاقة التي تربط اللّغة باللهجة، فإنّ الخطّ الفاصل بينهما يصعب في غالب الأحيان تتبّعه ورسمه¹، لأنّ اللّهجة هي تجربة الانقسامات داخل ما نعتبره لغة واحدة²، لما بينهما من تداخل وتشابك كبيرين، ويمتثلان العلاقة بين العام والخاص، لأنّ اللّغة تشتمل على عدّة لهجات، لكلّ منها ما يميّزها، وجميعها تشترك في مجموعة من الصّفات اللّغوية والعادات الكلامية التي تؤلّف لغة مستقلة، تختلف عن غيرها من اللّغات³، لتظلّ اللّهجة على مرّ العصور وليدة اللّغة، تتطوّر بتطوّرها وتندثر باندثارها، إذ يترك الأصل الأوّل في كلّ منها آثارا تنطق فيما بينهما من صلات قرابة ولحمة نسب لغوي...⁴

وهذا ما تعكسه القربات اللّغوية واللهجية معا، مثلا: لهجة الجزائر العاصمة ولهجة وهران اللتان تشتركان في جذر الكلمة وتختلفان في الأصوات (قال، قال)، وفي اللّغة الفصحى (قال).
وكنطق القاف همزا لدى أهل تلمسان⁵، فهم "يحرّفون نطق هذا اللفظ قليلا ولكنهم يقصدون به نفس ما وضع من معنى في الاستعمال الفصيح"⁶.

اللّهجة تطوّر لغوي، فرضه التاموس الطّبيعي الذي يتحكّم بمصير كلّ لغة⁷، وذلك ما ينطبق على لهجات العالم كاملة واللّهجات العامية الجزائرية خاصّة، إذ يتمثّل هيكلها اللّغوي العام في هذه

¹ ينظر: ماريو باي، أسس علم اللّغة، ص 211.

² ينظر: عبد الجليل مرتاض، مقاربات أولية في علم اللّهجات، ص 81.

³ ينظر: محيسن محمّد سالم، المقتبس من اللّهجات العربية والقرآنية، مكتبة القاهرة، ط 01، 1978م، ص 07.

⁴ عبد الواحد وافي، علم اللّغة، ص 173.

⁵ ينظر: عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص 07.

⁶ المرجع نفسه، ص 63.

⁷ ينظر: مها محمّد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللّغوية، ص 149.

اللهجات الإقليمية، التي تختلف من جهة إلى جهة، بل أحيانا تختلف من قرية إلى قرية أخرى مجاورة لها¹، وعلى هذا الأساس لا يفرّق علم اللّغة اليوم بين الاثنين.

فكلّ لهجة هي لغة قائمة بذاتها، لها نظامها الصّوتي والصّرفي والنحوي، ولها قدرة على التعبير²، وما يمكن الإشارة إليه أنّ اللهجة قديما قريبة من الفصحى، عدا بعض الاختلافات الصّوتية "كمنعنة تميم وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوزان، وتضعج قيس وعجرفية ضبة وتلتلة بھراء"³.

ولما اختلط العرب بغيرهم من العجم والفرس، دخلت إلى اللّغة العربية كلمات جديدة، بعضها فصيح والآخر معرّب، ومنها المفردات الدّخيلة، ممّا ولّد لهجات جديدة بعيدة عن اللّغة الفصحى، وبات من المستحيل تسمية اللهجة باللّغة، وأصبحت أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى، وكلّما تقدّمنا في الزّمن اقتربت العامية من الدّارجة، وابتعدت عن الفصحى، واستحال تسمية كليهما باللّغة، لافتقارهما لخصائص العربية⁴، وأبرز مثال على ذلك اللّغة التي نتخاطب بها اليوم، فهي عربية في نسبتها، ولكن طرأ عليها التّحريف بنقص أحوال الإعراب أو تغيير حروف بعض الكلم بالحركة أو السّكون، أو التّخفيف أو التّشديد أو الحذف أو الزّيادة، أو القلب أو الإبدال⁵.

وهذا حال العربية في جميع الأقطار النّاطقة بها، وإنّنا نجد حتّى في القطر العربي الواحد من تعدّد اللهجات الكثير⁶، وبهذا الانقسام اللّهجي للّغة، أصبحت هذه الأخيرة شبيهة بتلك الشّجرة التي تتدلّى فروعها إلى أسفل فتلامس التّربة، وترسل إلى الأرض جذورا تصبح أشجارا فيما بعد، وقد

¹ - ينظر: عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص 07.

² - ينظر: مها محمّد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللّغوية، ص 149.

³ - صبحي صالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 16، 2004م، ص 67.

⁴ - ينظر: عبد القادر سلّامي، اللّغة واللهجة بين الثّبات والتّحوّل، مجلّة حوليات التّراث، جامعة تلمسان، العدد 05، 2006م.

⁵ - ينظر: محمّد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، المكتب الإسلامي، مكتبة الفتح، ط 02، 1960م، ص

159.

⁶ - ينظر: صبحي صالح، دراسات في فقه اللّغة، ص 59-60.

تموت الشجرة الأم، ولكن من فروعها تنشأ أشجار جديدة¹، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة موت اللغة، وإنما تتجدد مفرداتها لتتخذ دلالات جديدة قد تكون مغايرة تماما للدلالة الأولى، فتندثر كلمات وتهمل استعمالا لتحل محلها أخرى جديدة.

وللعربية الفصحى ظرف لم يتوفر لأي لغة من لغات العالم، ذلك أنها ارتبطت بالقرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا، ودون بها التراث العربي الضخم شعرا ونثرا، الذي كان محوره الذكر الحكيم في كثير من مظاهره²، فأنزل الله سبحانه وتعالى بها كتابه الكريم، وكفلها بحفظه، وهذا الشرف ضمن البقاء للغة العربية على مر الأزمنة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾³.

"ولقد كان للقرآن فضل كبير على هذه اللغة، يتمثل في خلودها، فهي به وهو بها وفي ثباتها، ولاسيما في جانبها الصوتي، وهو أكثر جوانب اللغة تعرضا للتغيير، والتبديل والانحراف والتشويه..."⁴.

وما حظيت به لغتنا العربية من دراسات أدبية ولغوية كلغة وطنية رسمية ساهمت في إثرائها، من ذلك اهتمام دار سي العلوم الإنسانية باللهجات العربية، الذين أولوا عناية خاصة حين اختيار موضوعات لهجية لبحوثهم الأكاديمية.

5- دراسة اللهجات:

¹ ينظر: مها محمد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللغوية، ص 148.

² ينظر: رمضان عبد التّوّاب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 03، 1995م، ص 179.

³ سورة الحجر، الآية 07.

⁴ عمّار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، بوفاريك، البليدة، ص 55.

إنّ ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية من شأنها التأثير على اللغة، ممّا يكسبها مصطلحات جديدة ينجم عنها تفرّعات لهجية متباينة بتباين الثقافات، تستقطب انتباه الباحثين، باعتبارها ميدانا للبحث اللغوي، يستدعي دراسته.

هذا العلم الذي يعنى باللهجات وتحليلها، يعرف باسم الديالكتولوجيا Dialectologie، ويهدف إلى دراسة اللهجات وصفياً وتاريخياً، لتحديد قواعدها النحوية والصرفية، والبحث عن أصولها ونشأتها.¹

عانت دراسة اللهجات العربية قديماً من الإهمال، لما شاع من احتقار اللهجات العامية، والنظر بعين الاعتبار إلى الفصحى وخوفاً على هذه الأخيرة من أن تضار بدراسة أيّ لهجة غيرها، فتضعف مكانتها وتقتصر على قاعات الدرس²، فتحرّكت جهود العديد من اللغويين والباحثين لدراسة اللهجات، لما لها من انعكاسات إيجابية على الدرس اللغوي، فدعا كثير من الدارسين المجتمعات العربية في أقطار المعمورة إلى ضرورة تدريس هذه المادة التي تمثل نشاطاً لغوياً علمياً، يهدف إلى إشباع رغبة الباحثين الذين يسعون إلى وضع أطالس لغوية للهجات العربية، في شتى الأقطار، وكذا معرفة الخصائص الاجتماعية والثقافية للمجموعة البشرية، التي تتكلّم هذه اللهجة أو تلك³، على أن يدرج تعليم هذه المادة ضمن علم مستقلّ، هو علم اللهجات Dialectologie في الصّفوف الجامعية، الذي يرمي لإثراء اللغة بحفظ مفرداتها في اللهجات المتداولة وتدريسها هو مكسب للعربية لا خسارة لها.

¹ - ينظر: وفاء كامل فايد، المجامع العربية وقضايا اللغة، ص 279.

² - المرجع نفسه، ص 281.

³ - ينظر: بلي عبد القادر، المعجم اللّهي ودلالته في ديوان أحمد بن تريك، رسالة ماجستير، مخطوط، جامعة وهران، 2005م، ص 03.

وفي نفس السياق يقول "عبد الملك مرتاض": "إنّ دراسة اللهجات حديثة المؤلّد قريبة التّشأة، لا تفتأ تتعترّ في مشيها، ولم يكد يتناولها من الباحثين العرب إلاّ قلة، وإّما عني بها المستشرقون، ويعز علينا أن يبحث الأجنب في تراثنا الحضاري الذي يعتبر اللّغة جزء منه، ونجتزئ نحن بقراءة ما يكتبون دون أن نصنع كبير شيء"¹، إذ يجب علينا الغوص بدراسة ما هو لنا، فنحن أعلم بأصول كلامنا وجذوره.

1-5 جهود العرب في دراسة اللهجات:

ذكر "عيسى إسكندر المعلوف" بعض المؤلّفات التي ألّفها العرب، وعالجوا بها دراسة اللهجات، ومنها: "رسائل في العربية العامية" لمحمّد عياد الطنطاوي، طبع سنة 1848م...، و "اللّغة العربية العامية في مصر والشّام" لميخائيل الصّبّاغ، طبع سنة 1886م²، ورسالة "مميّزات لغة العرب" لحفني ناصف، طبعت سنة 1886م، دعا فيها إلى أهمية دراسة اللهجات العامية، ورسالة أخرى في "المقابلة بين لهجات بعض سكّان القطر المصري" و "التّحفة الوفائية في اللّغة العامية المصرية" لوفاء محمّد، طبعت سنة 1892م، و "أصول الكلمات العامية" لحسن توفيق، طبعت عام 1899م، و "اللّغة العامية البغدادية" للقس جبرائيل أوساني الكلداني البغدادي، نشرت عام 1901م، و "الدرى السنّية في الألفاظ العامية وما يقابلها من العربية"، طبعت عام 1908م لحسين فتّوح و محمّد علي عبد الرّحمن، "اللّغات السّورية المحكية في سوريا ولبنان" لفيليب حتّي، طبعت 1922م، كتاب إبراهيم أنيس في "اللهجات العربية"، طبع عام 1946م.³

2-5 جهود المستشرقين في دراسة اللهجات:

¹ - عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص 05.

² - وفاء كامل فايد، المعاجم العربية وقضايا اللّغة، ص 282.

³ - ينظر: المرجع السابق، ص 282.

هذه جهود بعض المستشرقين في دراسة اللهجات، وقد سردها "عيسى إسكندر المعلوف" في مجلة اللغة العربية في بحثه عن (اللهجة العربية العامية)¹، جاء فيه: (أصول اللغة العربية العامية للمستشرق الفرنسي هربان)²، (بحوث في اللغة العامية في الجزائر) للويس جاك برنيه³، (جراماتيك اللغة العربية العامية) لكوسان دي برسفال⁴، (أهمية جمع خواص الكلام الدارج) لمارتين هارتمان⁵، نشرت هذه المقالة عام 1898م، (تدوين اللغة المصرية العامية) لنيلينو⁶، طبع عام 1900م، و (الدليل لمتعلم العربية الدارجة في المغرب والمملكة التونسية)⁷ بتضافر مجموعة من العلماء المستشرقين برئاسة مشويل، طبع سنة 1901م و (لغة حلب العامية) للأب لاون يوريار الفرنسي سكاني الحلبي⁸، طبع عام 1901م و (أبحاث في العامية) لإنوليتمان ولويس ماسينيوس⁹، وبحث في (لغة نجد الحالية) ل ج هس¹⁰، ألقاه سنة 1912م والأطلس الذي نشره براجشتراسر¹¹ يخص لبنان، سوريا وفلسطين عام 1915م وطبع سنة 1918م.

إن جهود العلماء وغيرهم، يبين أهمية اللهجة في الدرس اللغوي العربي، ومن هذا المنطلق اتجهت جهود أبناء العربية تحديدا إلى العناية باللهجات العربية، المبتوثة في بطون أمهات الكتب،

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 283.

² - المرجع نفسه، ص 283.

³ - المرجع نفسه، ص 283.

⁴ - المرجع نفسه، ص 283.

⁵ - المرجع نفسه، ص 283.

⁶ - المرجع نفسه، ص 283.

⁷ - المرجع نفسه، ص 283.

⁸ - المرجع نفسه، ص 283.

⁹ - المرجع السابق، ص 283.

¹⁰ - المرجع نفسه، ص 283.

¹¹ - المرجع نفسه، ص 283.

فنوقشت العديد من الرسائل الجامعية التي يصب مضمونها في هذا الباب، في الجامعات العربية عامة، والجامعة الجزائرية بصفة خاصة.

3-5 جهود الجزائريين في دراسة اللهجات:

أولى الجزائريون عناية ملحوظة بدراسة اللهجات، كونها "ترمي إلى حفظ اللغة وضبطها وسلامتها، وتخليدها، والوقوف على خواصها وتاريخها وما إلى ذلك..."¹، فوقفوا على دلالة الكلمات وحياتها، ودراسة الأصوات ومخارج حروفها، والأمثال والشعر الشعبي، وغيرها كثير، ولا يخف ما لهذه الجهود من أثر كبير في حياة لغة الكتابة وحفظها من التحريف والزوال وتهذيبها ونهضتها ونقلها من السلف إلى الخلف.²

عرفت دراسة اللهجات ترحيبا من طرف الطلبة الباحثين، حين اختيار موضوعات لدرجتي الماجستير والدكتوراه، واتخذ التراث كمنطلق للدراسة في البعض منها والبعض الآخر فضل الدراسة الميدانية التطبيقية، ومن هذه البحوث نذكر على سبيل المثال لا الحصر، جملة من المؤلفات الجزائرية، تشمل بعض الكتب والبحوث الأكاديمية وبعض المخطوطات، إذ لا يسعنا في هذا المقام إحصاء جميع الدراسات:

1. احتكاك القبائل بالعربية الدارجة في كلام مزدوجي اللغة، دراسة وصفية للتدخلات

اللغوية في بعض السياقات الاجتماعية، سالمي كريمة، جامعة تيزي وزو، 1996م،

(ماجستير).³

¹ - عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 273.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 273.

³ - ينظر: مختار بوعناني، المصنفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون، ص 36.

2. الأصوات اللغوية في لهجة تلمسان، د. بن عيسى التيجيني، مؤسسة بحثي للإعلام الآلي، تلمسان، الجزائر، 1994م.¹
3. الألفاظ الشعبوية الجزائرية - دراسة في ألفاظ الغرب الجزائري-، د. مرتاض عبد الملك، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.²
4. الألفاظ العربية في اللهجة القبائلية عند الكميت بن زيد الأسدي، حوزة سعيد، جامعة الجزائر، 1990م، (رسالة ماجستير).³
5. الأمثال الشعبوية بمنطقة قسنطينة - دراسة نقدية-، منصور لخضر، جامعة وهران، ماجستير.⁴
6. الأمثال الشعبوية الجزائرية - دراسة الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري-، مرتاض عبد الملك، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.⁵
7. الأمثال العامية الدارجة في الجزائر وتونس والمغرب، محمد بن أبي شنب (ت1929م)، طبع بباريس عام 1907م، ترتيب وترجمة وشرح لـ 3127 مثلا في ثلاثة أجزاء بالفرنسية.⁶
8. الأمثال والأقوال الشعبوية بالشرق الجزائري - دراسة أدبية وصفية-، عيلان محمد، جامعة عنابة، 1969م، (رسالة دكتوراه).⁷

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 42.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 45.

³ - المرجع نفسه، ص 46.

⁴ - المرجع نفسه، ص 46.

⁵ - المرجع نفسه، ص 46.

⁶ - المرجع السابق، ص 46.

⁷ - المرجع نفسه، ص 46.

9. شرح الألفاظ التّركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية، محمد بن أبي شنب (ت1929م)، طبع في الجزائر سنة 1922م.¹
10. العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، عبد الملك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر 1981م.²
11. في الأمثال الزراعية الجزائرية - دراسة تشريحية لسبعة وعشرين مثلاً جزائرياً، مرتاض عبد الملك، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987م.³
12. القصة الشعبية في مدينة الوادي ونواحيها - دراسة اجتماعية لغوية-، التّيجاني ثوريا، جامعة الجزائر، 1994م، (ماجستير).⁴
13. لغة الشّباب بالجزائر العاصمة في باب الواد نموذجاً تناول سوسيو لساني، رضا غبار، جامعة الجزائر، 1999م، (رسالة ماجستير).⁵
14. لهجة بركة وصلتها بالعربية الفصحى - دراسة لغوية وصفية-، عوفي عبد الكريم، جامعة قسنطينة، 1987م، (ماجستير).⁶
15. لهجة تلمسان وعلاقتها بالعربية الفصحى، بن عيسى التّيجني، جامعة تلمسان، 1990م، (ماجستير).⁷

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 85.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 96.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 102.

⁴ - المرجع نفسه، ص 104.

⁵ - المرجع نفسه، ص 107.

⁶ - المرجع السابق، ص 109.

⁷ - المرجع نفسه، ص 109.

16. لهجة جيجل وصلتها بالعربية الفصحى -دراسة لغوية للهجة بني فتح، بلعرج بلقاسم، جامعة عنابة، 1989م، (ماجستير).¹
17. لهجة (نهد) بالقالة -دراسة لغوية دلالية-، بوخاتم مسعودة، جامعة عنابة، (ماجستير).²
18. اللهجات الشّعبية في الجزائر -دراسة ميدانية للهجة البيض دراسة صوتية صرفية نحوية-، مرسلي لعرج، جامعة وهران، 1993م، (ماجستير).³
19. مجموع أمثال وحكم وآراء شعبية باللهجة العربية الجزائرية، لشاوش الحاج محمد بن رمضان، مخطوط في ثلاثة أجزاء.⁴
20. وليام مارسي وكتابه اللهجات العربية المنطوقة في تلمسان، بن عيسى التّيجيني، مؤسّسة بحثي للإعلام الآلي، تلمسان، 1994م.⁵
21. الأمازيغية لغة سامية في بنيتها -دراسة مقارنة لأهمّ الظواهر المشتركة بين الأمازيغية (اللهجة القبائلية) والعربية في الصّوت والصّرف والتّركيب، ابن تريدي أنيسة، (رسالة ماجستير).⁶
22. اللهجة "الذّيرية" لهجة الجزائر العاصمة -دراسة صوتية صرفية تركيبية معجمية-، بودينة نصيرة، (رسالة ماجستير)⁷، وهذا البحث هو "موازنة بين اللهجة المدروسة واللّغة العربية الفصحى وأحيانا لهجات جزائرية وعربية بغية استنباط الخواص المشتركة

¹ - المرجع نفسه، ص 109.

² - المرجع نفسه، ص 109.

³ - المرجع نفسه، ص 108.

⁴ - المرجع نفسه، ص 112.

⁵ - المرجع نفسه، ص 134.

⁶ - موقع جامعة الجزائرية، كلية الآداب واللّغات، بن يوسف بن حدة، المكتبة الإلكترونية: <http://bv.univ-alger.dz>

⁷ - المرجع نفسه.

أو الوقوف على وجوه الاتفاق والخلاف"¹، تقدّم هذه الدّراسة مستقبلا في إنجاز أطالس لغوية، انطلاقا من دراسة لهجة الجزائر العاصمة.

23. كتاب العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، عبد المالك مرتاض، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981م، دوّن فيه الكثير من الأمثال الجزائرية العامية، وشرح معانيها وقارن بينها وبين أمثالا فصيحة في نفس الباب، ودرس الألفاظ الحديثة الفصيحة المتداولة من قبل الشعب الجزائري بعد الاستقلال وأيام الثّورة التّحريرية "وطائفة من الألفاظ التي تتصل بالزّراعة والفلاحة"²، ودعا إلى ضرورة تقديم دراسات جامعية حول الأمثال الشعبيّة في الجزائر.

24. دراسات في الأدب الشعبي، التلي بن الشيخ، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دراسة تستهدف التّعريف بمشاهير الشعر الشعبي، الذين عاشوا فترة قاسية من فترات كفاح الشعب الجزائري ومعاناته ونكباته عاصر بعضهم الغزو الفرنسي، ومن هؤلاء الأعلام، نذكر: الشيخ بن يوسف*، مصطفى بن براهيم*، محمد بن عزّوز الخالدي* وغيرهم.

25. ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ترك لنا الوليّ الصّالح سيدي الأخضر ديوانا شعريّا لهجيا زاخرا بالمفردات والدلالات اللّغوية، هذه القصائد التي تهافت على جمعها جهود

¹ - بoudine نصيرة، اللهجة الدّزيرية (لهجة الجزائر العاصمة)، رسالة ماجستير، مخطوط دراسة صوتية صرفية تركيبية معجمية، جامعة الجزائر، 1999م، ص 03.

² - عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص 203.

* - سنة مولده مجهولة، من مواليد قرية سيدي خالد بيسكرة، كان حافظا للقرآن، ملما بأحكام الشريعة والأدب العربي، له قصائده في الغزل، والوطنية والحماسة وغيرها، توفي سنة 1901م، رحمه الله.

* - ولد سنة 1800م بإحدى قرى سيدي بلعباس، درس علوم الدين والفلك والحساب والمنطق والتاريخ، له مجموعة قصائد في أغراض منوّعة، نشرها الدكتور عبد القادر بن عزّة في كتاب عنوانه "مصطفى بن إبراهيم"، توفي سنة 1867م، رحمه الله.

* - ولد بقرية سيدي خالد بيسكرة، سنة ميلاده مجهولة، اشتهر بالغناء في الحفلات الدّينية، له قصائد كثيرة في المدح وبعضها في الغزل وأخرى يعبر فيها عن حبّه للوطن، توفي في سنة 1944م بالمسيلة، رحمه الله.

رجال، كرسوا وقتهم وحياتهم لخدمة التراث، والدّيان الذي نسلط عليه الضّوء في دراستنا، جمعه وحقّقه وقدمه محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ونقّحه السيّد جعلوك عبد الرزّاق، مستهلاً كتابه بإدراج لمحة عن نشأة ورّواد النّظم الملحون، وتناول حياة وقصائد الشّاعر التي بلغت اثنتين وثلاثين قصيدة.

الفصل الأوّل:

الأسماء الدالّة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

المبحث الأوّل: الأسماء الدالّة على الله عزّ وجلّ وملائكته والأنبياء وخاتم المرسلين وعائلته الشريفة.

المبحث الثاني: ما دلّ على علماء الدين والأمراء والقادة.

المبحث الثالث: الأسماء الدالّة على العلاقات الأسرية والاجتماعية.

المبحث الأول: الأسماء الدالة على الله عزّ و جلّ وملائكته، والأنبياء وخاتم المرسلين وعائلته
الشريفة .

أ/ ماهية الاسم:

الاسم لغة "سمة الشيء أي علامته"¹، أصله "سموّ وهو من العلوّ لأنّه تنويه... وتصغيره سُمِّي"²،
وهو "معتلّ اللّام من ذوات (س، م، و)، ومن قولهم: سموت³ يدلّ على معنى منفرد مستقلّ، غير
مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة⁴ ليشير إلى ما وضع له فيعيّنه ويميّزه، لذلك كانت العلاقة التي تربط الاسم
بسمّاه متينة قويّة، تحمل دلالات إيحائية ومعاني عديدة، لأنّ الاسم هو رمز المسمّى، موضوع لمعناه،
سواء كان ذلك المعنى شخصاً أو غير شخص⁵، يحدّده ويحصّره وفق حيّز من المعاني، ينفرد بها عن
غيره من المسمّيات.

1- حسن محمد نور الدّين، الدّليل إلى قواعد اللّغة العربية، دار المواسم، ط 5، 2005م، ص 23.
2- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا اللّغوي (ت395هـ)، مجمل اللّغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسّسة
الرسالة بيروت، ط 2، 1976م، ج 1، ص 472.
3- أبو الحسين علي بن محمد بن علي بن خروف الإشبيلي، (ت609هـ)، شرح: جمل الزّجاجي، تح: سلوى محمد غمر عرب،
جامعة أمّ القرى، ط 1، 1999م، ج 1، ص 244.
4- محمد بن محمد الرّعيني الشّهير بالحطّاب، الكواكب الدرية على متمّمة الأجرومية، شرح: محمد بن أحمد بن عبد البادي
الأهدل، ج 1، ص 29.
5- أبو البركات عبد الرّحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، أسرار العربية، تح: محمد بهجت البيطار، المجمع العلمي العربي،
دمشق، ص 09.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

يختصّ الاسم بالدلالة على إنسان أو حيوان أو جماد كـ " (جعفر) وهو اسم رجل و (خرنق) وهو اسم امرأة و (قرن) هو اسم قبيلة و (عدن) وهو اسم بلد، و (لاحق) وهو اسم فرس و (شدقم) وهو اسم جمل و (هيلة) وهو اسم شاة و (واشق) وهو اسم كلب".¹

وجدنا في الديوان ثلاثة أنواع من الأسماء هي: الاسم مثل محمد، عيسى، والكنية مثل: ابن أمينة أبو بكر، بنت الأكل، واللقب مثل: مفجي الكروب، زين الابتسامة، سيّد الخلق الصديق، الصادق الأمين، يقول ابن مالك:²

وَاسْمًا أَتَى وَكِنِيَّةً وَلَقَبًا... وَأَخْرَجَ ذَا إِنْ سِوَاهُ صَحْبًا

تشير الكنية إلى أصول المكّي بالرجوع إلى أهله ونسبه، فهو ابن فلان أو أبو فلانة وتوضع "للتعظيم أو التّفخيم أو التّوقير أو الاحترام"³، اقتداءً بخاتم الأنبياء والمرسلين الذي كُتِبَ بأبي القاسم، "وقد يكتّون الوليد على سبيل التّفاؤل بالسلامة"⁴، حتّى يعيش ويصير له ولد كما يقصد به إبراز صفة من صفات المكّي، لقولهم "أبي لهب الحمرة خديه ولونه"⁵، أو الإشادة بخصلة من خصاله، كالكرم والجود والإيثار كبنت التّيل.

¹ - أبو زيد بن عبد الرّحمن بن علي بن صالح المكودي، شرح المكودي على ألفية بن مالك، تح: فاطمة راشد الرّاجحي، الدّار المصرية السّعودية، القاهرة، ج 1، 2004م، ص 149.

² - أبو عبد الله محمد جمال الدّين بن مالك، شرح ابن عقيل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م، ج 1، ص 96.

³ - عبد الرّحمن المصطاوي، معجم الأسماء العربية، دار الجيل، ط 1، 2004م، ص 11.

⁴ - موفّق الدّين يعيش بن علي بن يعيش التّحوي، شرح المفصّل، صحّحه وعلّق عليه: محمد منير عبده آغا الدّمشقي، أداة الطّباعة والتّشتر المنبرية، مصر، ج 1، ص 26.

⁵ - شهاب الدّين بن أحمد الأصبهسي، المستطرف في كلّ فنّ مستطرف، قدّم له وضبطه وشرحه: صلاح الدين هواري، دار ومكتبة الهلال، 2004م، ج 2، ص 470.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ و جلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

أمّا اللّقب فهو ما "أشعر برفعة المسمّى... أو ما أشعر (بضعته)"¹، وهذا الأخير منهي عنه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾²، إذ يراد بذلك الذم كقولهم (الأعمى) لمن فقد بصره، و (الأعرج) لمن به عيب في رجله، و (أنف النّاقة) "الذي لّقّب به جعفر بن قريع حينما أدخل يده في أنف النّاقة وجعل يجرّها"³.

أورد "بن خلّوف" معظم الألقاب لتعظيم شخص الرّسول صلى الله عليه وسلم ومدحه والتّأكيد على حسنه كقوله: الرّفيع المرفّع في قصيدة (ألا وجه الحبيب غاب) يقول:⁴

لَوْلَا مُحَمَّدُ الرّفِيعُ المُرَقَّعُ... مَا نَبَتَ فِي الجِنَانِ مِنْ هِي خَضِرًا

و (زين البشرة) في قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة):⁵

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى زَيْنِ البَشْرَةِ... مُحَمَّدُ صَاحِبِ الشَّفَاعَةِ المُدَانِيُّ

عكست هذه الألقاب جانبا من شخصية الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، فدلت وبصدق عن صفاته الطّاهرة، وعن رابط قويّ متين جمع الاسم بمسمّاه لأنّه يعينه تعيينا محدّدا.⁶

¹ - جمال الدّين عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد الفاكهاني (ت972هـ)، شرح الحدود التّحوية، تح: محمد الطيب، دار التّفائس، ط 1، 1996م، ص 115.

² - سورة الحجرات، الآية 11.

³ - أحمد ساهر البقري، التّحو العربي، مؤسّسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1988م، ص 267.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 108.

⁵ - المصدر نفسه، ص 119.

⁶ - ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني التّحو، شركة العاتك للصّناعة الكتاب، القاهرة، مصر، د ت، ج 1، ص 68.

ولما كان الاسم عنوان صاحبه، قالبا لمعناه "اقتضت الحكمة أن يكون بينهما ارتباط وتناسب
وَأَلَّا يَكُونَ الْمَعْنَى بِمَنْزِلَةِ الْأَجْنَبِيِّ الْمُحْضِ الَّذِي لَا تَعْلُقُ لَهُ بِهِ"¹، لذلك كان على الوالدين التدبّر في
اختيار تسمية لمولودهما الجديد.

ب/ علاقة الاسم بمسماه:

ترتبط دلالات الاسم بالمحيط والزّمان والعادات والتقاليد، والأعراف والمكان والمجتمع وتاريخه،
ومن الدوافع الدينية أن يطلق الوالدان أحد أسماء الصّحابة رضوان الله عنهم، أو اسما من أسماء
الأولياء الصّالحين للمولود الجديد، أملا في أن يتّبع سيرتهم ويسير على خطاهم، ك: عثمان، عمر،
حسّان،... أو حتّى اسما من أسماء المناسبات الدينية: مثل رمضان (الشّهر التّاسع من السنّة الهجرية
القمريّة، يسمّى به رغبة في أن تحرق ذنوب هذا الشّخص في هذا الشّهر العظيم).

هذا وقد يسعى الوالدان في إفادة إطلاق اسم أحد أفراد العائلة المتوفّي، ظلّا منهما في أن يعيدا
ذكره إلى الحياة، أو للمحافظة على استمرارية الاسم.

ويخضع اختيار الاسم لمقاييس معيّنة، منها: ضرورة تناغم اللفظ وائتلاف الحروف وانسجامها،
مّا يولّد جرسا موسيقيا، يطرب الأذن، فيترك انطبعا جميلا يعكس تسمية صاحبه.

ولما كان لاختيار الاسم ضوابط تحكّمه، ومقاييس تؤسّسه، ليست من قبيل الصدفة "كثرت
الدراسات حول الأسماء، والمكتبات العربية حافلة بموسوعات تتناول أسماء العلم ومعانيها..."²، التي

¹ - ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، تح: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرّسالة، بيروت،
لبنان، و مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 6، 1986م، ج 2، ص 336.

² - سوزان عكاري، موسوعة الأسماء العربية، دار الفكر العربي، لبنان، ط 1، 2003م، ص 05.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ و جلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

من شأنها أن تيسّر للأبوين التّوصّل إلى اسم مناسب لمولودهما—بعد تأمّل وتشاور— وبه يعرف ذاته¹، لأنّ "المخلوق الذي حمل اسمه قبل أن يحمل أيّ شيء غيره بعد ولادته، وربّما تقلّد اسمه وتعيّن له قبل ولادته، قد تحمل أوّل أمانة ممّن اختار له اسمه تفاعلاً أو تذكراً"²، كأن يختار اسم (عائشة) للبنات تفاعلاً لتعيش، واسم (ياسر) أملاً في أن يكبر وييسّر الله له ظروف الحياة الصّعبة، ومع ذلك يستحبّ انتقاء الاسم الحسن لما ورد عن الرّسول صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "أحبّ الأسماء إلى الله، عبد الله عبد الرحمن والحارث"³، ومن كثرة صفاته المحمودة عليه الصّلاة والسّلام، اختار له المولى عزّ و جلّ اسم (أحمد) و (محمد)، ليفضّله على الخلق كلّه "ولشرفها وفضلها على صفات غيره أحمد"⁴، تعظيماً لشخص النّبي صلى الله عليه وسلم وتكريماً لنفسه الطّاهرة.

يقول "حسن بن ثابت" مادحاً:⁵

وَشِيقُّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ يَجِلُّهُ... فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ

تحمل الأسماء الواردة في الديوان دلالات عديدة، فهي إمّا للاستعطاف والرّجاء والتّوسّل والخوف من العقاب، وإمّا رمزا للأمل وانتظار شفاعة خاتم المرسلين، وجاءت أيضاً بغرض التّذكّر والدّعاء كالحمد والشّكر.

يقول الشّاعر "بن خلّوف":⁶

1- أحمد ساهر البقري، التّحو العربي، ص 226.

2- صفية مطهري، الدّلالة الإجمالية في الصّيغة الإفرادية، مطبعة اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2003م، ص 116.

3- محمد ناصر الدّين الألباني، سلسلة الأحاديث الصّحيحة، اعتنى به: أبو عبيدة مشهود بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ص 341.

4- ابن القيم الجوزية، زاد الميعاد، ج 2، ص 338.

5- ديوان حسن بن ثابت الأنصاري، الطّباعة الشّعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 48.

6- ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 44.

يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ الْأَمْجَدُ... تَصْرُحُ بِكَ النَّاسُ شَتًّا

فِي قَبْرِي بَاغِيكَ تُوجَدُ... لِلْجَنَّةِ مِفْتَاحَ انْتَا

الْكَافِرُ فِي النَّارِ يُخْلَدُ... وَالْعَاصِي يُرْجَأُ حَتَّى

أولاً/ الأسماء الدالة على الله وملائكته ورسوله:

يعبر الحقل الدلالي عن جملة مفاهيم ترتبط وفق علاقات لسانية معينة.

1 / أسماء الله سبحانه وتعالى:

أ/ الله:

اسم الله الأكبر جلّ جلاله، "وتقول العرب الله ما فعلت ذاك، تريد والله ما فعلته"¹، ولا يمكن الاستغناء عن الألف من اسمه عزّ و جلّ، والله "علم على الإله المعبود بحق"²، وقد اختلف في أصل كلمة (الله) ومنهم من قال بأصلها من (إله)، فدخلت عليها الألف واللام وحذفت الهمزة لتدغم للأمان وتصير (الله)، ومنهم من أكد أنّ الأصل من (لاه) وأدخلت عليه الألف واللام للتعظيم، ومنهم من نفى إمكانية اشتقاق الفعل منه، برأي الفراهيدي "ليس الله من الأسماء التي يجوز منها اشتقاق فعل"³.

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، ص 82.

² - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004م، ص 25.

³ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 82.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ و جلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

وبين مؤيّد ومعارض للاشتقاق، يتفق عامّة العلماء أنّ كلمة الله هي "علم على الذات العلية، جامع لكلّ صفات الكمال والجلال والجمال، دالّ على معناه بكلّ أصول التوحيد".¹

افتتح القرآن الكريم باسمه تعالى، وبهذا التّهج سار الرسول صلى الله عليه وسلم ومن يتبعه من العلماء الأجلّاء، فلا يتدّى بكلام إلا واسم الله مذكور في أوّله، يقول الله عزّ و جلّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾²، وأضيفت جميع أسمائه جلّ جلاله بمعانيها إلى هذا الاسم، فدلّ عليها جميعا، "ولم يسمّ أحدا بهذا الاسم الشّريف، وهو ممّا اختصّ به الجليل، وقد قبض الله أفئدة الجاهلين وألسنتهم عن التّسمّي به من غير مانع ولا وازع".³

يقول "ابن العربي":⁴

تُعْجِبُ مَنْ تَكَلَّفَ مَا هُوَ خَالِقٌ... لَهُ وَأَنَا لَا فَعَلْتُ لِي فَأَرَاهُ

فِيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَكُونُ مُكَلَّفًا... وَمَا تَمَّ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ سِوَاهُ

أكثر "بن خلّوف" من ذكر الله عزّ و جلّ في ديوانه، متّبعا نهج العلماء الصّالحين، مكرّرا اسم (الله) مئة وثلاث وثلاثين مرّة، فأول ما ابتدئ به كلامه ذكره تعالى، يقول في قصيدة (احسن ما يقال عندي):⁵

¹ - محمد بكر إسماعيل، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها، دار المنار، القاهرة، ص 07.

² - سورة الأعراف، الآية 180.

³ - شمس الدّين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ)، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، تح: عرفان بن العشا حسونة الدّمشقي، شركة أبناء شريف الأنصاري، ط 1، 2005م، ص 276.

⁴ - محي الدّين أبي عبد الله الحاتمي الطّائي (ت637هـ)، رسائل ابن العربي، كتاب الجلال والجمال، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط 1، ج 1، ص 12.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 41.

أَحْسِنَ مَا يُقَالُ عُنْدِي... بِسْمِ اللَّهِ وَبِكَ نَبَدَا

حَبَّكَ فِي سُلْطَانِ جَسَدِي... مَا عَزَّكَ يَا عَيْنَ وَاحِدًا

والشاهد في البيتين (الله) جاء اسما مفردا دالا على التوكّل عليه جلّ جلاله في بادئ الأعمال، وإنّ أجمل كلمة ينطق بها ويرسمها أوّل نظمه (اسم الله) ولا يزال كذلك مادحا المختار صلى الله عليه وسلم معبرا عن محبّته له.

يقول في مطلع قصيدة (لولا أنت) مطبّقا ما أمرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه "إذا قرأتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم، إنّها أمّ القرآن وأمّ الكتاب وأمّ السبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحداها".¹

فبالحمد يبدأ قصائده وبه يختمها أيضا، يقول في قصيدة (لولا أنت):²

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.. رَحْمَانٌ فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ رَحِيمٌ

مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ وَرِثَ الْوَارِثِينَ... مَا نَعْبُدُ سِوَاهُ يَمَّحِي عَنِّي جَرَامِي

وهي أبيات ساق معانيها من القرآن الكريم في سورة الفاتحة، يقول عزّ وجلّ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)﴾.³

¹ محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث: 2750، ص 503.

² ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 72.

³ سورة الفاتحة، الآيات 01-04.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

دلّ اسم الله الأعظم في هذه الأبيات على الكبرياء والهبة، والشكر في الشطر الأوّل وحالما يحسّ الشاعر بنوع من الطمأنينة والسكينة بذكره لـ (الرحمن) و (الرحيم) في الشطر الثاني، وفي الاسمين من العظمة الكثير، كما سيأتي شرحه.

ب/ الرَّحْمَان:

من الفعل الثلاثي (رَحِمَ)، (يرحم) مصدره (رحمة)، (والرَّحْمَان) على وزن (فعلان)¹، ويقال "ما أقرب رحم فلان إذا كان ذا مرحمة وبر"²، و "رقّ له وعطف عليه"³، والرَّحْمَن اسم مقصور على الله عزّ وجلّ، يدلّ على رحمته ومودته ورأفته الكاملة، جلّ وعلا، "ويستحيل أن توجد لغيره إذ لا يوجد مخلوق تعمّ رحمته جميع المخلوقات من أوليائه وأعدائه"⁴، يقول تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁵، ويقول أيضا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

﴿6﴾، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي"⁷.

ويقول "الشافعي"⁸:

- 1- خديجة الحديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 2003م، ص 113.
- 2- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 106.
- 3- ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 335.
- 4- ابن القيم الجوزية، القرطبي، ابن كثير، العلامة السعدي، الجامع لأسماء الله الحسنى، إعداد: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط 1، 2002م، ص 141.
- 5- سورة الأعراف، الآية 152.
- 6- سورة الرحمن، الآيتين 01-02.
- 7- محمد ناصر الدّين الألباني، سلسلة الأحاديث الصّحيحة، رقم الحديث: 3130، ص 565.
- 8- ديوان الإمام الشّافعي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 3، 2005م، ص 07.

فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً... وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ

جاء ذكر اسم (الرحمن) في الديوان إحدى عشرة مرّة، منها ما قاله في قصيدة (بك طابت الأثمار):¹

دَارُ الْأَحْزَانِ وَدَارِ الْعَبْنِ مَا حِقَّهِ... أَطْلَبُ اللَّهَ يُعْطِيكَ الْحَوْرُ وَالْقُصُورُ

لَيْلَةٌ تُمَسِّي فِي بَيْتِ الدُّودِ مَا تُحِبُّ... تَمَّ يَرْضَى الْمَدَّاحُ بِقِسْمِهِ الرِّضَا

ملايكة الرَّحْمَانِ يَجُوهُ بِالْكَتِيبِ... وَالنُّزُولُ فِي الْجَنَّةِ وَانْعَائِمِ فَايْضَا

يرسم لنا الشاعر حاله وهو في (بيت الدود) أي القبر، وحيدا، حائرا، ينتظر حسابه، وتأتي الملائكة عارضة عليه عمله، فيجازي بجنة النعيم بعد معاناة وقلق كبيرين، ليتغمده الله برحمته الواسعة. وقد سمّت العرب قديما أبناءها بـ (عبد الرحمن)، وذكرته في أول خطابها وكلامها، ومن جملة من استعمله "أبرهة الحبشي" في نصّه الشهير المعروف بنصّ (سدّ مأرب) افتتحه بقوله: "بنعمة الرحمن ومسيحه سطرّت هذه الكتابة".²

ذكر الشاعر (الرحمان) على سبيل الاستبشار بالخير، والاستعداد للجزاء، دون العقاب، فوجود الرحمة يقضي بالمغفرة لا محالة.

يقول في قصيدة (نبتدا الكلمة):³

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 102.

² - ينظر: محسن الخالدي، الرّحم والرّحمان بين الاشتقاق والتّفسير، مجلّة جامعة التّجّاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، نابلس، فلسطين المجلّد 18، 2004م، ص 216.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 160.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ... الْأُولَى فِي الْأَزَلِ الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ... الدَّائِمُ مَا يَفْنَى وَلَا يَلْحَقُهُ عَدَمٌ

بكلمة الإخلاص والتّقوى، يوحد الشاعر الله عزّ و جلّ ويسأله الرّأفة واللّطف والملاحظ أنّه في ازدواجية الاسمين (الرّحمن و الرّحيم) توكيد للمعنى، وطرده لليأس والقنوط، وبعث للأمل والرّجاء و "تقوية لمطامع الرّاعبين ووعده لا يخيب أملة"¹، وبذكر (الرّحمن) شملت الرّحمة جميع الكون وما فيه من مخلوقات، أمّا (الرّحيم) فخصّ المؤمنين باللّطف وحدهم، يقول تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾².

2/ ما دلّ على الملائكة عليهم السّلام:

أ/ إسرافيل عليه السّلام:

ملك من الملائكة الرّحمن جلّ جلاله، "أحد حملة العرش وهو الذي ينفخ في الصّور بأمر من ربّه نفخات ثلاث أُولاهنّ نفخة القرع والثّانية نفخة الصّعق، والثّالثة نفخة البعث"³، فيقوم من في القبور للحضور للبعث والتّشور، ويفوز من أحسن عملا، ويخيب الكافر، وإسرافيل "ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الأرض السّابعة السّفلى..."⁴، ويعلّل معظم العلماء سبب تسميته بإسرافيل بكثرة أجنحته.

¹ شمس الدّين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، ص 400.

² سورة فصّلت، الآية 02.

³ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل، (ت774هـ)، البداية والتهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للتّشور والتّوزيع، ط 1، 1997م، ج 1، ص 102.

⁴ جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبد الله البغدادي (ت597هـ)، بستان الواعظين ورياض السّامعين، تح: أعين البحيري، مؤسّسة الكتب الثّقافية، بيروت، لبنان، 1998م، ج 1، ص 89.

ذكر "بن خلّوف" سيّدنا إسرّافيل عليه السّلام مرّة واحدة في ديوانه في قصيدة (محمد راحة العقاب):¹

بَعَدَ اسْرَافِيلُ كُلَّهَا تَأْتِي الْمَوْتَى... لِوَاءِ الْحَمْدِ وَالْبُرَاقِ يَجِيءُ مَوْهُوبٌ
الْيَوْمُ الْكَافِرُ يَقُولُ يَا وَيْلِي... لَيْتَ كُنْتُ مَا بَيْنَ الْمَا وَطُوبِ

الشّاهد في قوله (اسرافيل) بدل (إسرافيل) تخفيف للنطق، فلمّا ينفخ في الصّور بإذنه عزّ و جلّ، يجازى من عمل صالحا، ويردّد الكافر ما قاله الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا ﴾.²

جاء اسم الملك (إسرافيل) مفردا، دالا على النّهاية والحساب والبعث، ويحمل معنى الجزاء والعقاب معا، جزاء للعاملين الأتقياء، وعقاب للكفار الجهلاء.

ب/ جبريل عليه السّلام:

ملك عظيم، ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في قوله: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾³، ومن المقرّبين لله عزّ و جلّ، أمين الوحي، والنور المكلف بتنزيل الهدى على الرّسل، وقد بيّن الله مكانة جبريل في أكثر من سورة في القرآن الكريم: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾⁴، ووصفه عزّ و جلّ بالقوّة ﴿ ذِي قُوَّةٍ

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 118.

² - سورة التّبا، الآية 40.

³ - سورة البقرة، الآية 98.

⁴ - سورة البقرة، الآية 97.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١﴾، لذا كان هو "السّفير بين الله بين أنبيائه عليهم السّلام الذي ينزل عليهم بالوحي، فيه الأخبار الصّادقة والشّرائع العادلة".²

يقول الإمام "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه في مكانة جبريل عليه السّلام:³

وَمَنْ دَعَا بِاسْمِهِ جَبْرِيْلُ مُتَدَحِّحًا... بِقَوْلِهِ فِي سِوَاهُ لَمْ تَقُلْ

جاء ذكر الملك (جبريل) في ديوان "بن خلّوف" إحدى عشرة مرّة، منها ما قاله في قصيدة (ابقوا بالسلامة):⁴

هَذِهِ وَصَايَتِي دَيْرُوهَا شَدَّ الرَّؤُوسِ... يُوصِيكُمْ الْخُلُوفِيُّ بِعِلْمِ التَّبَيُّنِ

كُنُوا شُهُودَ عَيْنِي وَحَضْرُوا يَا جُلُوسٍ... كَمَا فِي الْيَقِظَةِ شَاهَدُوا جَبْرِيْلَ

يوصي أولاده بالاجتهاد في طلب العلم والتّفقه في الدّين، وحفظ وصيّته والعمل بها لتكون شهادة خير نافذة يوم الحساب.

والشّاهد في قول (جبرين) والأصحّ (جبريل)، استبدلت اللّام بالنون حفاظا على القافية وتناغم الأبيات، وهي المرّة الوحيدة التي جاء فيها اسمه على ذلك الشّكل.

يحمل اسم (جبريل) عليه السّلام دلالة قويّة، فهو رمز لحفظ الأمانة وتأديتها على أكمل وجه، وذلك ما أراده "بن خلّوف" من أبنائه في رغبته حفظهم أشعاره.

¹ - سورة التّكوير، الآية 20.

² - عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل البداية والنهاية، ج 1، ص 99.

³ - ديوان الإمام علي بن أبي طالب عليه السّلام، صحّحه، عبد العزيز الكرم، مطبعة الكرم، 1963م، ص 144.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 193.

وبنفس حزينة تتأوه خوفاً، خشية أن تثقل بالمعاصي، يقول في قصيدة (جفّ المداد):¹

أَمَنْ دَرَى كَيْفَ نُضْحَى فِي الْجَبَانَةِ... إِمْنِ دَرَى كَيْفَ تُثْقَلُ الْإِلْحَادِي

جبريل طابِعُهُ وَالشَّاهِدَ مُحَمَّدًا... فِي لَوْحٍ مِنْ ذَهَبٍ وَقَلَمٍ مِنَ الْأَنْوَارِ

3/ ما دلّ على الرّسل عليهم السّلام:

أ/ سليمان:

تصغير (سلمان) من الفعل الثلاثي المجرد (سلم) "السّين واللام والميم معظم بابه من الصّحة والعافية... والسّلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى"²، يدلّ على الخالي من الآفات والعيوب الخلقية والخلقية، سمّي بذلك تفاعلاً بسلامته، سخر الله تعالى لسيدنا سليمان الرّيح، فهي "تجري بأمره وتديره برحاء، أي بسهولة حيث أراد، وسخر له من الجنود من الإنس والجنّ والطّير، فهم يوزعون بتدبير عجيب ونظام غريب"³.

عاش سيّدنا سليمان في سلم مع مخلوقات الأرض كلّها، قال تعالى: ﴿وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنْ

الْحِجْرِ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾⁴.

¹ - المصدر السابق، ص 170.

² - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر، ج 3، ص 90.

³ - عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي (ت1372هـ)، قصص الأنبياء في القرآن الكريم وما فيها من العبر، مكتبة الرّشاد، الجزائر، ص 78-79.

⁴ - سورة التّمل، الآية 17.

وينشد "بن خلّوف" في ديوانه بمكانة هذا الرّجل العظيم، الذي جعله سيّد مخلوقات الأرض، ذاكرًا سليمان عليه السّلام مرّة واحدة في ديوانه طالبا المغفرة، ومحو الأوزار والمعاصي، مشيدا بمكانته، تفاعلا وأملا في الظّفر بالسّلام، والنّجاة من العقاب، يقول في القصيدة (نبتدا الكلمة):¹

غُنِّي وَاعْفِرْ لِي ذَنْبِي يَا مُحِيْطٍ... بِجَاهِ سَلِيْمَانَ بْنِ دَاوُدِ الْمُطِيْعِ

فاسم (سليمان) مثل الأمان والسّلامة التي طالما ابتغها الشاعر وطلبها في أشعاره.

ب/ عيسى:

لفظ أعجميّ معرّب²، مشتقّ من الفعل الثلاثي (عَسِيَ) على وزن (فَعَلَ) مصدره (عَيْسٌ)، قال الخليل "العيس والعيسة لون أبيض مشرب صفاء في ظلمة خفيّة"³، هذا هو الصّفاء الذي تجلّى في النّبي الذي أوتي الإنجيل وأرسل إلى بني إسرائيل، صفاء الرّوح والجسد، بياض ناصع لنفس طاهرة زكيّة، كان عليه السّلام "كاملا في دينه وأخلاقه حتّى أنّه لم يرد عنه ذنب أو خطأ اقترفه، سواء كان هذا الذّنْب صغيرا أو كبيرا"⁴.

يقول الله عزّ و جلّ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ

الحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿5﴾.

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 162.

² - ينظر: أبو منصور الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح: أحمد محمد شاكر، وزارة الثقافة، ط 2، 1969م، ص 278.

³ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 260.

⁴ - حسام البيطار، إعجاز الكلمة في القرآن الكريم، دائرة المكتبة الوطنية، عمّان، الأردن، ط 1، 2005م، ص 181.

⁵ - سورة مريم، الآيتين 33-34.

واسم عيسى منقول إمّا من السريانية وإمّا من العبرية، وأصله في اللغة الأعجمية يشوع أو إيشوع، ومعناه في لغة العجم: السيّد أو المبارك.¹

يقول "أحمد شوقي" مادحا سيّدنا عيسى عليه السّلام:²

وَلَدُ الرَّفِيقِ يَوْمَ مَوْلِدِ عَيْسَى... وَالْمُرُوءَاتُ، وَالْهُدَى وَالْحَيَاءُ

وَأَزْدَهُى الْكُونُ بِالْوَلِيدِ، وَضَاءَتْ... بُسْنَاهُ مِنَ الثَّرَى الْأَرْبَاءِ

تكرّر اسم سيّدنا (عيسى) عليه السّلام في ديوان "بن خلّوف" خمس مرّات، مرّة مسبقا بلقب (المسيح)، ومرّتين مفردا، وفي موضعين آخرين ألحقت كلمة (سيّدنا) لاسم (عيسى) تعظيما له، يقول في قصيدة (نبتدا الكلمة):³

إِذَا ادَّعَانِي الدَّاعِي فِي إِسْوَدِّ غُبُطٍ... رَاحَتِي فِي الْمَاحِيِّ مُحَمَّدَ الشَّفِيعِ

بِحَاةِ سَيِّدِ الرَّسَالِ الْمُظَلَّلِ بِالْغَمَامِ... وَجَاهُ سَيِّدِنَا عَيْسَى رُوحِ اللَّهِ قَاهَا

يطلب الشّاعر المغفرة من الله عزّ وجلّ إذا أدركته الموت، وجاء حسابه، فأمله في شفاعته سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم كبير، ويشير إلى صفاء النّفس من المعاصي والذنوب بذكره سيّدنا عيسى، وفي ذلك راحة لفكرة المعذب.

¹ - ينظر: عبد العظيم فتحي خليل الشّاعر، الأعلام الممنوعة من الصّرف، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م، ط 1، ص 45-46.

² - أحمد شوقي، الأعمال الشعريّة الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان، المجلّد الأوّل، 1988م، ص 28.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 162.

ويقول في قصيدة (قصّة مزگران):¹

وَيْنُ الْقِسَاسِنِ وَالرُّهْبَانِ... اللَّيُّ عَبْدُو سَيِّدِنَا عَيْسَى

حَشَاهُ رَوْحُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ... يَتَمَثَّلُ مِنْ قَوْمٍ مَنْجُوسَةٍ

يتساءل "بن خلّوف" عن مصير أولئك الذين عبدوا سيّدنا عيسى من قساوسة وrehبان، ورجال الكنيسة، ويؤكد أنّ الموت حقّ على كلّ إنسان، نافيا مزاعم من قالوا أنّ الله جلّ جلاله تمثّل في سورة سيّدنا عيسى عليه السّلام، وفي دوامة هذه المزاعم والفتن وأمام حسرة الشّاعر وتأسّفه، يلمع وميض الأمل اسم (عيسى)، البياض الذي أثار فتن ذلك الرّمن، عكس اللفظ معاني الطّمانينة والرّاحة، فبعد أن ظلّ الشّاعر يعيش صراعا نفسيّا مريرا، يرتاح باله بانقشاع اللّوم والعتاب، وشروق شمس النّقاء الرّوحي في سماء أشعاره، إنّ اسم سيّدنا عيسى.

4/ ما دلّ على الرّسول صلّى الله عليه وسلم:

أ/ أسماءه:

أسماء الرّسول صلى الله عليه وسلم وصفاته كثيرة، منهم من أوصلها إلى مئتين ومنهم من أوصلها إلى ألف²، ولا نكاد نجد قصيدة في الدّيوان تخلو من أسمائه عليه الصّلاة والسّلام، ويعود هذا الحرص إلى شدّة تعلق الشّاعر بالنّبي الكريم، فمكانته لا تفارق وجدانه، كيف لا وهو سيّد الخلق، وفخر المسلمين في الدّنيا والآخرة، ومن بين الأسماء الواردة في الدّيوان، نجد: محمد، أحمد، الماحي، الفارق، الشّفيق، الصّدّيق، الأمين وغيرها.

¹ - المصدر السابق، ص 86.

² - ينظر: مقال نشر في جريدة الخبر اليومي، ركن كنوز السيرة، العدد: 5279، السنة الثامنة عشرة، يوم الأربعاء، 26-03-2008، ص 23.

ومن جملة أسمائه الشريفة، اخترنا اسمين للدراسة هما: محمد و الماحي.

أ.1/ محمد*:

من الفعل الثلاثي المجرد (حمد)، (يحمد)، مصدره (الحمد) "نقيض الذم"¹، وهو أعمّ وأشمل من الشكر، و (محمد) اسم مفعول بني على وزن (مفعّل)²، لأنّ هذا الوزن موضوع للتكثير ويدلّ على من كثرت خصاله الحمودة، ومن أشهر أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم وأكثرها انتشارا وشيوعا.

"جمع المحامد، وحاز المكارم، واستولى على القيم"³، ولأنّه معصوم من الخطأ فهو محمود عند خالقه عزّ وجلّ، وعند الملائكة، "ومحمود عند إخوانه من المرسلين ومحمود عند أهل الأرض كلّهم، وإن كفر به بعضهم فإنّه ما فيه من صفات الكمال محمود عند كلّ عاقل..."⁴.

يقول الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾⁵.

*- هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب، يعود نسبه صلى الله عليه وسلم إلى أشرف قريش وساداتها، في مكة سطع نوره وعمت رسالته الأرجاء، ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 3، ص 370-353.

¹- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 1990م، ج 2، ص 466.

²- خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص 194.

³- عائض بن عبد الله القرني، محمد صلى الله عليه وسلم كأنتك تراه، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 2002م، ص 15.

⁴- ابن القيم الجوزية، جلاء الإفهام في الصلاة على خير الأنام، تح: عزت كرار، سيّد عمران، دار الحديث، القاهرة، 2004م، ص 100.

⁵- سورة الفتح، الآية 29.

واسمه صلى الله عليه وسلم مقرون باسم الله عزّ و جلّ، لعظمة مكانته، فهو أكرم الخلق عشرة، وأجمل رجال قريش، يقول "شهاب الدين الموسوي" في مدحه عليه الصلاة والسلام:¹

عُرِّ عَنْ الدَّرِّ لَمْ تُفْضِلْ مَبَاسِمَهُمْ... إِلَّا سَجَايَا رَسُولِ اللَّهِ ذِي الكَرَمِ
مُحَمَّدُ أَحْمَدَ الهَادِيِّ البَشِيرِ وَمَنْ... لِوَلَاهِهِ فِي الغَيِّ ضَلَّتْ سَائِرُ الأُمَّمِ

يقول "بن خلّوف" في نفس المعنى:²

مُحَمَّدُ خَيْرِ الوَرَى زَيْنَ البَشَرَةِ... صَلُّوا عَلَيْهِ بِالعُدْوَةِ والأصالي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ قَدَّرَ حُرُوفُ أَلْفٍ... مُحَمَّدُ الشَّفِيعِ إِسْمُهُ المُفْضَلُ

و (محمد) من أكثر الأسماء المكررة في الديوان، فقد ورد ذكره مئة وأربع وأربعون مرّة.

والشاهد في البيتين اسم (محمد)، أرحم خلق الله، وأعظمهم نفعا في الدّين والدّنيا، جاء اسما مفردا جامعا لكلّ خلق جميل، يدعونا الشّاعر لإكثار الصلاة عليه في جميع الأمكنة والأوقات، مثل لنا هذه الكثرة بقدر هذه الكلمات التي جاء فيها الحرف (ألف) وما أكثرها في لغتنا العربية، لنحمده على خصال الخير، فهو من دلّنا على الطّريق الموصل لرضوانه تعالى، فلم يدع بابا من العلم إلّا وشرحه، فهدى القلوب إلى ما فيه خير، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.³

¹ - شهاب الدين الموسوي المعروف بابن معتوق، ديوان طرز البلغاء وخاتمة الفصحاء، ضبطه: حباب الفاضل المعلّم سعيد الشرنوبي اللبّاني، المطبعة الأردنية، بيروت، 1885م، ص 12.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 56.

³ - سورة الأنبياء، الآية 107.

والألف هو الحرف الأوّل لحروف الهجاء، يدلّ على "التّجمّع والائتلاف"¹، اجتمعت في شخص الرّسول صلى الله عليه وسلم كلّ الفضائل العليا لتكمّل إحداها الأخرى، فظهرت منسجمة متكاملة ممثلة في النّبّي الكريم، ذلك أنّ اسم محمد باق في كلّ الكتب السماوية رغم تحريفها، واسمه مقرون بالشّهادتين، وهي أوّل ما ينطق للدّخول إلى الإسلام و "به يسمّيه الله تعالى ويناديه في الدّنيا والآخرة"².

وظّف الشّاعر اسم (محمد) للدّلالة على التّكثير والتّذكير، والحمد والبقا والثّبات، تأكيداً لما ورد في الأثر أنّه من صلّى على النّبّي صلى الله عليه وسلم مرّة صلّت عليه الملائكة سبعين مرّة.

جاء اسم (محمد) في البيت الثّاني مقروناً باسم آخر له وهو (الشّفيع)، على وزن (فعليل) من صيغ المبالغة للتّعبير على الكثرة، يعني من شفّع فتقبل شفاعته، ذلك أنّ خصاله المحمودة وسعت حتّى شفّع لمن اتّبعه يوم الحساب، جاء الاسم الأوّل مؤكّداً للثّاني، داعماً لمعناه، وفي ذكر الاثنين معنى قويّ وتناسب، وفي إيراد (الشّفيع) تخصيص لمعنى عام حواه لفظ (محمد).

ينتظر "بن خلّوف" قدوم الرّسول صلى الله عليه وسلم يوم الحشر، بنفس قلقه حائرة تأمل الفرج، يقول في قصيدة (أحسن ما يقال عندي)³:

يَا مُحَمَّدُ لَكَ يُفْزِعُ... مَنْ لَهُ فِي النَّاسِ وَالِي

لَا غَيْرُكَ مَنَّاغُ يَمْنَعُ... مِنْ سَطْوَةِ مَوْلَى الْمَوَالِي

¹ - حسام البيطار، إعجاز الكلمة في القرآن الكريم، ص 152.

² - عاطف قاسم أمين المليجي، أسماء النّبّي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة عالم الفكر، ط 1، 1999م، ص 10.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 44.

جاء اسم (محمد) منادى، يستنجد الشاعر بالرّسول الكريم، حمل اسم محمد عليه الصّلاة والسّلام، بعدا دلاليًا تفاعليًا، فيه إيحاء بالخير وزوال للشدّة، وتفريج للهموم، يقول في نفس القصيدة:¹

يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ الْأَمَّجْدُ... تَصْرُحُ بِكَ النَّاسُ شَتًّا
فِي قَبْرِي بِأَعْيُنِكَ تَوَجُّدٌ... لِلدَّجَنَةِ مِفْتَاحٌ أَنْتَ

أ.2/ الماحي:

من الفعل الثلاثي المجرد (محا)، يحو، محوا، "ويمحيه محيا ويمحاه أيضا فهو محي، ومحو"²، ويستعمل الفعل للتعبير عن زوال الشّيء، نقول "محي: الشّيء أذهب أثره"³، فهو ماح و (الماحي) على وزن (الفاعل)، عن جبير بن معمر عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أنا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وأنا الماحي الذي يَمْحُو اللهُ بي الكُفْرَ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وأنا العاقِبُ"⁴، بعث نبينا عليه الصّلاة والسّلام و "الدّنيا مظلمة قد شملتها غيابة الكفر وألبستها هبوة الضّلالة، فأتى الرّسول بالنور السّاطع والضياء اللامع، محا الكفر ومحقه"⁵.

ونبينا عليه الصّلاة والسّلام أحقّ خلق بهذا الاسم فمبعثه محا الكفر وقضى على الأصنام، فلم يبق لها أثر ولا صورة، ومحا عبادة ما سواها ممّا ليس لله تعالى، بإزالتها من النّفوس، وتهذيبها، حتّى

¹ - المصدر السابق، ص 44.

² - إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصّحاح ج 6، ص 2489.

³ - مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص 856.

⁴ - مصطفى محمد عمارة، جواهر البخاري وشرح القسطلاني، المكتبة التجاريّة الكبرى، ص 222.

⁵ - جلال الدّين السيوطي، التّهجة السّوية في الأسماء التّبوية، تح: أحمد عبد الله بابور، الدّار المصريّة اللّبنانية، ص 249.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

صار الإسلام حجة وغلبة في صفوف المسلمين الذين تحمي سيئاتهم باتباعهم محمد الماحي عليه الصلّاة والسّلام.

تردّد ذكر (الماحي) في مواطن عديدة في الديوان، عددنا اثني عشرة مرّة، منها ما جاء في قصيدة (الرّشيد مصباحي)، بنفس حزينة تطلب الرّحمة، تقول:¹

الرّشيدُ مِصْبَاحِي... هُوَ سِيرَاجُ الدَّهْرِ فَضَّلَهُ ذُو الْجَلَالِي
أَثْوَاتِهِ أَمَدًا حِي... كَيْفَ وَاتَى اللَّيْلُ طَلِعَهُ الْبَدْرُ الْعَالِي
الْحَبِيبَ الْمَاحِي... صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِي
مُحَمَّدَ الْمَاحِي

الشّاهد في هذه الأبيات (محمد الماحي)، (الحبيب الماحي)، أضيفت صفة المحمود خصاله إلى صفة محو الكفر والنفاق، حبيب الله تعالى وحبيب البشرية جمعاء، يحو سيئات من أتبعه، هو قدوة الشّاعر والمصباح الذي يستضاء به، مدحه بأحسن النّعوت، ورسمه في أحسن لوحة، صوره بدرا يضيء ظلمة ليل حالك.

يقول في قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة):²

الْمَاحِي شَافِعُنَا مَا يَنْسَانَا... فِي يَوْمِ الضِّيْقِ سَاعَةَ الْحِيْزَةِ يُوَكِّدُ
يُمْنِعُنَا مِنْ هَيْبِ نَيْرَانِ الْحَمْرَا... وَيَسْلُكُنَا مِنْ حَرِيْقِهَا وَالْحَمَّانِ

¹ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 125

² المصدر نفسه، ص 125

يُسْرِعُ بَيْنَا جَمِيعِ لَلْجَنَةِ الْخَضِرَا... الْأَخْضَرُ مَدَّاحُ سَيِّدِ الْأُمَّةِ الْعَدْنَانِيَّ

صَاحِبِ التَّاجِ وَاللِّوَاءِ الْفَرْقَانِ

وظّف الشاعر اسم (الماحي) للتعبير عن ثقة عالية في التّجاة من العقاب يوم الحشر، يحمل في معناه دلالة الفرج والتّفاؤل.

يقول أيضا في قصيدة (نبتدا الكلمة):¹

عَلَيْهِ جِبْتُ ابْيَاتِي صَافِيَةَ نَاقِيَّة... مَرْكَبَةٌ بِالْجَوْهَرِ فِي سِلْكِ مِنَ الذَّهَبِ

هَدَيْتُهَا لِلْمَاحِي يُقْبَلُهَا هِدَايَةً... نَفْتَخِرُ بِالصَّدِيقِ غَدَا بِلَا كَذِبِ

ب/ ما دلّ على أمّه ومرضعته:

ب.1/ أمّه:

بنت وهب*:

هي آمنة بنت وهب، والدة الرّسول صلى الله عليه وسلم، واسم (وهب) من الفعل التّلاثي (وهب) نقول "أصبح فلان موهبا لكذا، أي معدّا له"²، وهبها الله تعالى الذّكاء والفتنة والتّباهة والبيان، لتكون أمّ أعظم رجل في التّاريخ.

¹ - المصدر السابق، ص 166.

* - هي آمنة بنت وهب بن عبد المناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، من بني عدّي بن النّجّار بالمدينة المنورة، أمّ الرّسول صلى الله عليه وسلم، ينظر: سامية ميني، محمد صلى الله عليه وسلم والمرأة، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط 1، 1996م، ص 18.

² - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللّغة، ج 6، ص 147.

يقول الشاعر "أحمد شوقي" في ديوانه:¹

تَحَلَّى مَوْلِدُ الْهَادِيِّ وَعَمَّتْ... بِشَائِرِهِ الْبَوَادِي وَالْقَصَابَا
وَأَسَدَتْ لِلْبَرِّيَّةِ بِنْتُ وَهَبٍ... يَدَا بَيْضَاءَ طَوَّقَتِ الرِّقَابَا

ويفتخر "بن خلّوف" ببنت وهب التي ذكرها مرّة واحدة في الديوان كلّ في قصيدة (محمد راحة العقاب) يقول:²

مَا وَلَدَتْ فِي النَّسَا مِثْلُ بِنْتٍ وَهَبٍ... وَأُمَّهُ مِنْ بَعْدَهَا حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ

يغلو الشاعر بأمّ الرّسول صلى الله عليه وسلم إلى أبعد حدود الوصف والتّمثيل، ليخصّها وحدها من بين كلّ أمّهات العالمين بمجد الأمومة، عكست الكنية (بنت وهب) صورة الكمال المطلق لأمّ الرّسول صلى الله عليه وسلم.³

ب.2 / مرضعته:

حليما*:

¹ - أحمد شوقي، الأعمال الشعريّة الكاملة ص 71.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 118.

³ - ينظر: عائشة عبد الرّحمن، تراجم سيّدات بيت النّبوة، دار الريان للتراث، المغرب، ط 1، 1987م، ص 29.

* - هي حليلة بنت الحارث من بني سعد بن بكر، زوجها: الحارث بن عبد العزّي، مرضعة الرّسول صلى الله عليه وسلم، ينظر: أحمد بن أبي بكر البوصري، علامات النّبوة، تح: أمّ عبد الله بنت محروس العسلي، مكتبة السّوادي، ط 1، 1990م، ص 48.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

من الحلم الذي يتجلّى في السكينة عند الغضب، يوحي الاسم بالصفح ورزانة العقل¹، هذه السيّدة الحليمة هي مرضعة سيّد الأمة، وكان من كرامة الله تعالى لحليمة بنت أبي ذؤيب أن تشرف برضاعته وحضانتها صلى الله عليه وسلم، فسعدت بذلك.

تكرّر اسم (حليمة) و (حليما) في ديوان "بن خلّوف" أربع مرّات، منها ما قاله في قصيدة (أحسن ما يقال عندي):²

بِجَاهِ مِنْ رَضَعَاتِهِ... أُمُّهُ السَّعْدِيَّةُ حَلِيمًا

يَمْنَعُنَا مِنْ نَارِ تَقْدِي... جَهَنَّمَ حُرَّةً شَدِيدًا

يفخر "بن خلّوف" بصنيع (حليمة السعدية)، ويدعو الله تعالى بثقل هذا الشرف الذي حازت عليه أن ينجيه من النار، والملاحظ أنّ تاء اسم (حليمة) حذف و عوض بألف مدّ، حفاظا على القافية، حاملا دلالة تذكّرية نلتمسها من البيت.

ج/ أزواجه:

ج.1/ خادجه*:

أي (خديجة) في الفصحى، اسم فاعل من الفعل الثلاثي (خدج) "خدجت التّاقة إذا ألقت ولدها قبل التّاج"³، فالذكر المولود (خديج) والأنثى خديجة، بوزن (فعيلة) بمعنى (مفعلة) ، أي

¹ - محمد إبراهيم سليم، أسماء البنات ومعانيها، مكتبة ابن سينا، دت، ص 42.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 46.

* - خديجة بنت خويلد بنت أسد بن عبد العزى بن قصي، ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة، تزوّجت قبل الرّسول صلى الله عليه وسلم مرّتين، تزوّجت أبا هالة النباش بن (زرارة) ، توفّي تاركا لها ابنا اسمه هنداء، فتزوّجت عتيق بن عابد المخزومي، ينظر:

عبد الحميد الزّهرابي، خديجة أمّ المؤمنين، مطبعة المنار، مصر، ط 2، 1345هـ، ص 79.

³ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، معجم مقاييس اللّغة، ج 2، ص 164.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ و جلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

(مخدجة)، ويعني المصدر (خديج) التّقصان الذي يدفع للكمال، و (خديجة) هي المولودة قبل أيّامها، والمقصود بالتّسمية المرأة السّباقة إلى المزايا، السّاعية إلى الرّفعة واكتساب المكارم، الأولى في كلّ منزلة عالية، هكذا كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، أولى زوجات الرّسول صلى الله عليه وسلم، أوّل من أسلم، وأوّل من صدّقه وآزره عليه الصّلاة والسّلام، حتّى "أرسل الله إليها السّلام مع جبريل، وهذه خاصية لا تعرف لامرأة سواها"¹، جمعت بين المال والتّسبب والأخلاق، فكانت حقًا خادجة في شخصها ومكانتها فما "أكرم هذا المقام، وأيّ بليغ لا تأخذه الهيبة إذا دعي لتصوّر هذه المنزلة، سيّدة بطولعتها الفخامة والشّرف يتجلّيان، والجمال والكمال يتألّقان".²

انشغلت بالبحث "والسّؤال عمّا وراء هذه الحياة، فكانت تسأل عن الرّسل الذين أرسلوا، وعن الرّسول الذي سيرسله الله لهداية النّاس".³

ولما خصّ الشّاعر "سيدي الأخضر بن خلّوف" قصائده لمدح المصطفى عليه الصّلاة والسّلام، كان لا بدّ له من ذكر خديجة زوجته ونعتها بأجمل الكلمات.

يقول في قصيدة (محمد راحة العقاب):⁴

خادجة فإيّرّة على النّسوة في الرّين... أوّل ما صدّقت رَسُولُ اللهِ هِي

يفتخر الشّاعر بصفات خديجة رضي الله عنها الخلقية والخلقية.

¹ - ابن القيم الجوزية، زاد الميعاد، ج 1، ص 41.

² - عبد الحميد الزّهراوي، خديجة أمّ المؤمنين، ص 50.

³ - إبراهيم محمد حسن الجمل، أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد، المثل الأعلى لنساء العالمين، دار الفضيلة، القاهرة، ص 13.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 118.

جاء ذكرها باسم (خادجة) على وزن (فاعلة)¹، للدلالة على التجدد والحدوث، سبقت النساء بفوزها برضى الله عزّ و جلّ، تراها الأولى المبادرة لسند الرسول صلى الله عليه وسلم ودعمه، فمع كلّ حدث يتجدد هي السبّاقة إلى العلّاء، والفاعلة إلى الخيرات ومكارم الصّفات.

د/ بناته صلى الله عليه وسلم:

د.1/ فاطمة رضي الله عنها:

أي فاطمة: مأخوذ من الفعل الثلاثي (فطم) "فطمت الصّبي أمّه فطمه، أي تقطعه عن الرّضاع"²، وفاطمة الرّهراء رضي الله عنها بنت الرسول صلى الله عليه وسلم هي أذكى نساء البشرية، لم تكذب قطّ، فسّميت بالصدّيقة، حلوة اللسان، طيّبة الأفعال، فطمت نفسها عن الدنايا وصغائر الأمور، فكانت حسنة الشّمائل و "تقول أعلم النساء عائشة رضي الله عنها: ما رأيت أحدا أشبه سمّتا، ودلا وهديا برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابنته فاطمة في قيامها وقعودها"³.

إنّ تسمية هذه السيّدة النادرة بهذا الاسم "إنّما كان من قبل الله سبحانه وتعالى، ومعناه أنّه وعد فاطمة عليها السلام ومحبيها والمنتهجين نهبها ألاّ تمسّهم النار"⁴، وذلك ما يرجوه "بن خلّوف" في تكراره لاسمها (فاطمة) و (فطيمة) و (افطيمة) ثماني مرّات في ديوانه.

يقول في قصيدة (دقّة الحبّ):⁵

¹ - خديجة الحديشي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، ص 179.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 329.

³ - مجدي فتحي السيّد، بنات حول الرسول صلى الله عليه وسلم، المكتبة التّوفيقية، ص 40.

⁴ - ناصر مكارم الشّيرازي، الرّهراء خير نساء العالمين، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط 1، 1992م، ص 69.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 104.

دَخِيلُ لَكَ بِفَاطِمَةَ مَعَ بَابَاهَا... وَزَوْجُهَا حَيْضَرُ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَهَادِيَّ

الْحُسْنَ وَالْحُسَيْنِ نِعْمَ أَوْلَادُهَا... بِنْتُ الْمُصْطَفَى الرَّسُولِ مُحَمَّدِي

يتوسّل الشاعر إلى الله عزّ و جلّ أن تفظم روحه من النّار، مذكّرا بمكانة فاطمة رضي الله عنها وزوجها علي بن أبي طالب، وأتباعها نعم الأولاد، هم الحسن و الحسين، فبعد مدّة طويلة قضاهما الشّاعر متوسّلا راجيا المغفرة، يتبدّد قلقه بذكر بنت المصطفى رضي الله عنها.

يعكس اسم (فاطمة) معاني السّكينة والطّمانينة، وهو "يخفي في معناه البشارة الأكبر لمواليها ومحبيها"¹، ورمز للخلاص الذي طالما تمنّاه الشّاعر بعد توتّر نفسي دام طويلا.

يقول "بن خلّوف" أيضا في قصيدة (سيّد المهاجرين وسيّد الأنصار):²

وَاللّٰهُ نُشِدُّ عَلَى الْحَبِيبِ بَيْتٌ مِنَ الْأَشْعَارِ... تَاتِيهِ فَاطِمَةٌ حِوْضِ سَيِّدِهَا يُورِدُ

ولفاطمة عليها السّلام مكانة رفيعة، عظيمة عظمتها، لذلك كثرت أسماءها الدالة على شرف الشخصية المباركة، فخطبها "بن خلّوف" بها، ولكلّ اسم منها دلالة، تحكي صفات ومناقب السيّدة الفاضلة.

يقول في قصيدة (يا كوثر اللّبن):³

فِي الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ الْبُتُولِ * تَنَادِيَّ... يَا شَاعِرُ النَّبِيِّ رَاكٍ جِيتَ الْيَوْمِ
لَا خَوْفٌ لَّا حُزْنٌ مَعَ جَمِيعِ الْأَوْلَادِ... تُسْقَى مِنَ الرَّحِيقِ الصَّافِي الْمَخْتُومِ

¹ ناصر مكارم الشيرازي، الزهراء خير نساء العالمين، ص 11.

² ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 89.

³ المصدر السابق، ص 100.

تكرّر اسم (البتول) في الديوان ثلاث مرّات، و (البتول) هي (البتول) أحد أسماء فاطمة عليها السلام، وهو مشتقّ من "البتل، يدلّ على إبانة الشّيء من غيره"¹، و "إخلاص النية لله تعالى والانقطاع إليه"²، وذلك ما كانت عليه بنت خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم، قويّة الإيمان، مخلصّة في عبادتها، تناجي ربّها وتتضرّع إليه بنية كبيرة.

يدلّ اسم (البتول) في البيت على النية في الدّعاء، ويوحى بالتّفاؤل خيرا.

والبتول هي فاطمة الزّهراء رضي الله عنها، أو (الزّهرة) و (الزهرا) كما جاء في ديوان "بن خلّوف" مكرّرا ذلك ثلاث مرّات، يقول في قصيدة (الموت لا غنى تدركني):³

عِنْدَ الْمَمَاتِ مَثْنِي مُسْلِمٌ... بِجَاهِ الْحُسْنَيْنِ وَالزَّهْرَا
وَاحِدَ فَرِيدَ مَالِهِ ثَانٍ... سُبْحَانَ قَابِلِ التَّوْبَةِ شَدِيدِ الْعِقَابِ

الشّاهد في البيتين اسم (الزّهرا)، لقب آخر أراد "الخلّوفي" أن يزيّن به قصائده، والأصحّ (الزّهراء) بالهمزة، التي حذفت حفاظا على تناغم القافية، و "تعني النور، وهكذا كانت فاطمة عليها السلام، فعندما كانت تقف في محراب العبادة، كان يسطع منها نور يستنير به أهل السّماوات مثلما يستنير أهل الأرض بنور النّجوم..."⁴، ويستنير "الأخضر بن خلّوف" بنور الإسلام عند مماته ببريق الزّهراء الذي صوّر دلالة الحسن والبهجة بهجة الشّاعر وفرحه بموته مسلما.

هـ/ أحفاده صلى الله عليه وسلم

¹ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 1، ص 195.

² - المصدر نفسه، ص 196.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 146.

⁴ - ناصر مكارم الشّيرازي، الزّهراء خير نساء العالمين، ص 11.

هـ.1/ الحسن و الحسين:

في الفصحى الحسن و الحسين، للحسن و الحسين مكانة عظيمة عند الرسول صلى الله عليه وسلم، كان الحسن شبيهاً بجده، حسن الخلق والخلق، كما دلّ اسمه عليه، وكذا شَبَّ الحسين، حامياً ومدافعاً عن الإسلام، يقول عليه الصلّاة والسّلام "لكلّ بني آدم عصابة ينتمون إليهم إلاّ ابني فاطمة فأنا وليّهما وعصبتهما".¹

و الحسن و الحسين كما هو معروف هما ابني فاطمة عليها السّلام و علي بن أبي طالب رضي الله عنه، اعتنى جدّهما صلى الله عليه وسلم بتربيتهما فكانا أعلم إمامين، "قال النبي صلى الله عليه وسلم: هما ريحنتاي من الدّنيا".²

تقول فاطمة الزّهراء أمّ الحسينين رضي الله عنها في قصيدة (أشبه أباك):³

أَشْبَهُ أَبَاكَ يَا حُسَيْنٍ... وَأُخْلَعُ عَنِ الْحَقِّ الرَّسَنِ

ذكر الحسن و الحسين في ديوان "بن خلّوف" سبع مرّات، وعطف اسم (الحسن) على (الحسين) أربع مرّات، في حين جمع اللفظان على اسم (الحسين) ثلاث مرّات، منها ما قاله الشّاعر في قصيدة (قدر ما في بحر الظّلام):⁴

¹ - محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النّيسابوري، المستدرک علی الصّحیحین (ت405هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ج 3، ص 179، رقم الحديث: 4770.

² - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1987م، ج 3، ص 1371، رقم الحديث: 3543.

³ - ديوان فاطمة الزّهراء راجعه: أحمد حيدر، محمد شراد حساني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، ط 01، 2006م، ص 77.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 51.

وَالرِّضَى عَلَى أَهْلِهِ الْكِرَامِ... بوبكر الصّدِيقَ وَالْحُسْنَ وَالْحُسَيْنَ

وفي قصيدة (دقة الحب):¹

وَالرِّضَى عَلَى أَهْلِهِ الْكِرَامِ... بوبكر الصّدِيقَ وَالْحُسْنَ وَالْحُسَيْنَ

يقول في قصيدة (إلا وجه الحبيب غاب):²

وَزَوَّجَنِي مِنْ تُرَابَةِ الشَّرَفِ الْأَحْرَارِ... مِنَ الْحُسْنِ وَالْحُسَيْنِ الْأَجْوَادِيِّ

الشّاهد في الأبيات (الحسن) و (الحسين) مع اختلاف في شكل (الحسن) و (الحسين) أو (الحسين) ميولا لسهولة النطق، فالعامية لا تحقّق الألف واللام على غرار لغتنا الفصحى، يفتخر الشّاعر بالحسينين، مذكّرا بدرجتهما العظيمة، ومكانتهما العالية، يحمل الاسمان دلالة المفاخرة بأصالة النسب.

المبحث الثاني: ما دلّ على علماء الدين والأمراء والقادة

1/ الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم:

¹ - المصدر نفسه، ص 104.

² - المصدر نفسه، ص 114.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

نظم الشّاعر جلّ قصائده لمدح خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وخصّ بالذكر أهل البيت النبوي، ومن تبعهم من الصّالحين الأخيار، فكان للخلفاء الرّاشدين رضوان الله عنهم حظّ وافر في ديوانه، ومن ذلك اخترنا اسم (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه ليكون مثالا لدراسته.

أبو بكر*:

أول الخلفاء الرّاشدين، نفس زكيّة وروح طاهرة، جمعت الفضائل الخيرة، لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم عتيقا، لعتقه من النار، وسماه بأبي بكر "لابتكاره الخصال الحميدة"¹، كان رضي الله عنه قمة في العلم والأدب والأخلاق "آمن بالرّسول صلى الله عليه وسلم يوم كفر به الناس وصدّقه يوم كذب به الناس"².

يقول "ابن قلاقس" في ديوانه:³

مَحَاسِنُ أَبُو بَكْرٍ تَقَدُّمُهَا... فَمَا تَأَخَّرَ عُثْمَانُ وَلَا عُمَرُ
سَمِعَتْ عَنْهُمْ وَقَدْ شَاهَدْتُهُمْ نَظْرًا... فَالْحَبْرُ أَحْسَنُ مَا لَمْ يُحْسِنِ الْحَبْرُ

يقول "بن خلّوف" في ديوانه متسائلا عن مصير أسياده وأصحابه في قصيدة (نبتدا الكلمة):

* - هو أبو بكر، واسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمه سلمى بنت صخر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وهي بنت عمّ أبيه، يلتقي نسبه مع نسب الرّسول صلى الله عليه وسلم عند مرة بن كعب، ينظر: ديوان أبي بكر الصديق، شرحه: محمد شراد حساني و حيدر كامل فرحان الرّزقاني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1، 2006م، ص 05.

¹ - محمد رضا، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الرّاشدين، مكتبة نزار مصطفى الباز، المكتبة العربية، السعودية ط 1، 2005م، ص 11.

² - محمود المصري أبو عمار، العشرة المبشّرون بالجنة رضي الله عنهم، دار الإمام مالك للكتاب، البلدة، ط 1، 2005م، ص 07.

³ - ديوان ابن قلاقس (ت567هـ)، راجعه: خليل مطران، مطبعة الجوائب، مصر، 1905م ص 42-43.

وَأَيْنُهُمُ الْخُلَفَاءَ مَعَ الْأَصْحَابِ سَيَادِيٍّ... بُؤُ بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فِي اللُّهُودِ

ويقول في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي) مترحّما على روحهم الطاهرة:¹

ثُمَّ بوبكر وَعُثْمَانُ وَعُمَرُ... واجعلنا كُنَّا فِي مَنْزِلِ عَالِي

الشاهد في البيتين قوله (بوبكر) والصّواب (أبو بكر)، حذفت همزة (أبو) تخفيفا للنطق، تكرر ذلك في ديوان "بن خلّوف" أربع مرّات، ذكر الشاعر في المثالين الكنية ولم يذكر اللقب (الصدّيق) تميّزا لصفة المبادرة إلى الخيرات، والسّبق إلى العمل الصّالح عن باقي الصّفات الأخرى، فهو أوّل الخلفاء، وأوّل من أعتق من النّار، فالمنزلة الأولى كانت له في كلّ أمر طيّب.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (قدر ما في بحر الظّلام):²

الرّضَى عَلَى أَهْلِهِ الْكِرَامِ... بوبكر الصّدّيقَ والحُسْنَ والحَسَيْنِ

حوى اسم (بو بكر الصّدّيق) كنية ولقبا، ففي سماع الأوّل، إichاء بفضائله المبتكرة، وفي ذكر الثّاني، دلالة بصدق إيمانه وثبات عقيدته، وفي ذلك تذكير ومفاخرة بهذا الرّجل العظيم رضي الله عنه.

2/ أئمة الحديث الصّحيح:

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 164.

² - المصدر السّابق، ص 51.

من أهمّ علماء الحديث، صاحب (صحيح البخاري) أصحّ الكتب في الحديث بعد القرآن الكريم، اسمه البخاري نسبة إلى بخارى في آسيا الوسطى، وقيل إنّه أسلم على يد "اليمان الجعفي" والي بخارى وقتها، فنسب إليه، "عملا بمذهب من يرى أنّ من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له"¹، ميّزت شخصيته شمائلًا عذبة كريمة، لا تتوفّر إلا في العلماء الصّالحين، كان مقبلا على العلم، مجدًا في تحصيله، عرف بقوة حفظه وسماحته.

لم يكتب "بن خلّوف" بمدح خاتم الأنبياء والمرسلين، وإنّما عمد إلى ذكر كلّ ما له صلة بالبيت النبوي كما رأينا، ومن اتّبع صراطهم، من أئمة وعلماء، ومن ذلك ذكره لإمام الحديث البخاري رحمه الله، لأنّه رمز للتدبّن والعبادة، ومثله الأعلى في الزّهد والحياء وإتقانه لعلمه وتبحّره في الدّين.

تكرّر ذكر (البخاري) في الديوان مرّتين، في قوله في قصيدة (نرغب المعين المبدي):²

دَحْلِينَا لَكَ بِالْقُرْآنِ... وَبِحَاهِ سَيِّدِي خَيْرِ النَّسَاجِ
وَالْبُخَارِيِّ وَالخَوْلَانِي... وَبِحَاهِ سَيِّدِي مَنْصُورِ الاج

في قصيدة (قم صلّي) يقول:³

*- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، ويقال بن دزبة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري الحافظ، ولد ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ألهمه الله حفظ الحديث فأتني عنه شيوخه، توفي رحمه الله يوم السبت سنة ست وخمسين ومائتين، ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 528-532.

¹ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، حياة البخاري، تح: محمود عمرو الأرنؤوط، دار التفائس، لبنان، ط 1، 1992م، ص 13.

² ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 150.

³ المصدر السابق، ص 171.

لِحُرْمَةِ الْكُتُبِ وَحَتَّىٰ بَدَاوِدَا... وَخَلِيلُ وَمَا فِي مُسْلِمٍ مَعَ الْبُخَارِيِّ

3/ العلماء الصّالحون:

لكونهم قطبا من أقطاب العلم والمعرفة والتّمسك بتعاليم الدّين الحنيف، وترحمًا على روحهم الطّاهرة، وتذكيرًا بأعمالهم الكبيرة، خصّ "بن خلّوف" لهؤلاء مكانا في ديوانه، نذكر منهم:

أ/ القيرواني*:

نسبة إلى قيروان، وهو العالم الصّليح في الدّين، ومثل لشاعر الأعلى في الالتزام والعلم، يقول في قصيدة (الموت لا غنى تدركني):¹

وَالشَّاذِلِيُّ وَالْقَيْرَوَانِيُّ... وَالقُرطُوبِيُّ وَالنَّسَاجِيُّ وَحُرُوفَ الْكِتَابِ

مَا أَقْوَاكَ رَاقِدَةً يَا عَيْنِي

يذكر الشّاعر (الشّاذلي) و (القرطوبي) و (النّساجي)، جملة علماء أجلاء متصوّفة أفنوا حياتهم في التّفقه في الدّين وحفظ الحديث الشّريف، جاء اسم (القيرواني) على سبيل الرّمز، رمز للدّين وصفاء النّفس، عكس دلالة سموّ النّفس ونزاهتها.

4/ ما دلّ على أمراء عثمانيين، قادة نصرانيين، زعماء قریش:

*- أبو زيد أبو عبد الله القيرواني المالكي، الامام العلامة، القدوة الفقيه، عالم أهل المغرب، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي ويقال له: مالك الصّغير، رحل إليه من البلاد من كتبه من ذلك نذكر: (المعرفة والتّفسير) (إعجاز القرآن) (كتاب الرّسالة) وغيرها، ينظر: شمس الدّين الدّهلي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربي، لبنان، ج 27، ص 183.

¹- ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 146.

أ/ ما دلّ على أمراء عثمانيين:

أ.1/ خير الدين*:

قائد الأساطيل العثمانية، المجاهد البحري، اسمه الأصلي خضر بن يعقوب، لقبه خير الدين باشا، عرف عند الأوروبيين بباربروس، أي (صاحب اللحية الحمراء)، قضى أمدًا طويلاً في الدفاع عن حرمة الدين التي انتهكت، فما في الدنيا أعزّ ولا أغلى من طلب إحدى الحسين الشهادة أو النصر¹، وفي هذا الإطار سار خير الدين لإعلاء راية الإسلام ضدّ الهجمات الصليبية.

يذكر "بن خلّوف" البطل (خير الدين) ثلاث مرّات في ديوانه، في قصيدة (قصّة مزغران) يقول:²

مِنْ هُوَ فُرْسَانُ ذَالِ الْقَوْمِ... إِلَّا زَادَ ظَلَامٌ عَلَى ظُلْمَةٍ

تَرَجَّاهُ الْإِسْلَامُ لَنْ يَقُومَ... خَيْرُ الدِّينِ بِسَايِرِ الْأُمَّةِ

الشّاهد في البيتين (خير الدين) جاء اسماً مركّباً تركيباً إضافياً، ذكره الشّاعر ليرمز به إلى البطولة والجهاد، هو الفارس الذي انتظرته جيوش العرب والبربر لهزيمة الإسبان، الذين أرادوا الاستيلاء على ولايتي وهران ومستغانم.

* - ولد سنة 1470م في جزيرة ميدي في الأرخبيل، هو خير الدين عبد الرحمن أصغر إخوته: إسحاق وإلياس وخضر، والده يعقوب، وأمه مسيحية، عمل وإخوته كفرسان في البحر ضدّ الجيوش الصليبية لإنقاذ المسلمين، توفّي عن عمر يناهز خمس وستين سنة باسطنبول، خلفه ابنه في حكم الجزائر، ينظر: بسّام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر.

¹ - بسّام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، دار التفائس، ط 1، 1980م، ص 26.

² - محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص 186.

يقول "بن خلّوف" في نفس القصيدة:¹

يَا سَايَلَنِي كَيْفَ ذَا الْقِصَّةِ... بَيْنَ النَّصْرَانِيِّ وَخَيْرِ الدِّينِ

والنّصراني هو قائد الحملة الإسبانية، والملاحظ أنّ تسمية (القصّة) لمعركة مزغران لم يكن من قبيل الصدفة، وإمّا عكس تطوّرات وتشابكات كبيرة في مجريات الأحداث آنذاك، انتهت بانتصار الجيش الجزائري.

حمل اسم (خير الدّين) دلالة حبّ الوطن وبسالة الجهاد.

ب/ ما دلّ على قادة نصرانيين:

ب.1/ فرغنسا:

هو أحد القادة النّصرانيين الذين جنّدوا لمهاجمة المسلمين والاستيلاء على الأراضي الجزائرية، في حملة شنتها إسبانيا على دول شمال إفريقيا.

جاء ذكر هؤلاء القادة في الديوان، ليشير إلى خيبتهم في تحقيق مطامعهم، وعبرة لكلّ من تناول على الأراضي الإسلامية آنذاك، ومنهم (فرغنسا) الذي ورد ذكره في قصيدة (قصّة مزغران):²

فرغنسا بالحُبلِ محزوم... وَيُغِيثُهُ اذْيَابُ الْفَرْمَةِ

يصوّر البيت مقتل القائد (فرغنسا) ملطّخاً بالدماء، مشدوداً في حبل، والأسرى الإسبان ينظرون إليه يائسين من النّجاة، حمل اسم (فرغنسا) دلالة الخيبة والهزيمة.

¹ - المصدر السابق، ص 182.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 186.

ج/ ما دلّ على زعماء كفّار من الأوّلين:

ج.1/ بوجهل*:

هو أكثر الأشخاص عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مات مشركاً ولم يسلم، سمّاه المصطفى الأمين عليه الصلّاة والسّلام (فرعون الأُمّة) لكثرة إيدائه له ولأنصاره، عرف باسم (أبي جهل) لجبروته وخطرته، كان زعيم الشّرك الأكبر، جسّد الجهل بكلّ معانيه، ذكره الشّاعر في الديوان بقوله (بوجهل) دون تحقيق الألف ميولاً لسهولة النّطق وفي الفصحى (أبو جهل).

يقول الشّاعر في قصيدة (مفتاح خير إلّا ينفذ):¹

عَدَاكَ بوجهل الكافر... مَذْمُومٌ لَعَنَهُ اللهُ

يُهَجِّي وَيَكْذِبُ وَيُعَاقِرُ... وَيُعَيِّرُ لَنْ يُخْزِيَهُ اللهُ

ويواصل قوله مؤكّداً خطرته الرّجل وتجرّه:²

هَذَاكَ بوجهل المُفسِد... مَا تَقَّوْمُ مِنْ قَبْرِهِ دُودًا

المبحث الثالث: الأسماء الدالة على العلاقات الأسرية والاجتماعية.

إنّ المعجم اللّهجي لديوان "سيدي الأخضر بن خلّوف" غنيّ بالأسماء الدالة على العلاقات

الأسرية والاجتماعية، ربّناها وفق الحقول الدّلالية التّالية:

*- أبو جهل: هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من المشركين الجبابرة.

¹- ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 80.

²- المصدر نفسه، ص 80.

1/ علاقات النسب والقربة:

ما ميّز هذا الحقل هو الألفاظ الدالة على النسب والقربة، منها اسم (أولادي) الذي تكرر أربع مرّات، و (الأولاد) تكرر ثلاث مرّات، وورد قوله: (أولاد خلّوف) مرّتين وغيرها، واكتفينا بدراسة كلمتين هما (أولادي)، (أمّي):

أ/ أولادي:

من الفعل الثلاثي (وَلَدَ) على وزن (فَعَلَ)¹: نقول "ولدت الأنثى (تلد) ولادا، وولادة: وضعت حملها فهي والد ووالدة"²، و (أولاد) مفردة (ولد) يطلق للدلالة على "كلّ ما وُلِدَ ويطلق على الذكر والأنثى والمثني والجمع"³.

يقول الشّاعر في ديوانه: في قصيدة (أحسن ما يقال عندي)⁴:

الأتراك اللّي تَزِدْكَ... خَدَمْتُ أَوْلَادِي رَاعِيًا

الشّاهد في البيت هو لفظ (أولادي)، الدال على علاقة الشّاعر الأسرية التي تربطه بأبنائه، سواء كانوا ذكورا أم إناثا، وجاء اسم (أولادي) مضافا إلى ياء المتكلم لتخصيص هذه القربة.

وفي قصيدة (إذا تحيرت من ذنوبي) جاء اسم (أولاد) مضافا إلى هاء الغائب في قوله:⁵

¹ - خديجة الحديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، ص 245.

² - مجمع اللّغة العربي، معجم الوسيط، ص 1056.

³ - المصدر نفسه، ص 1056.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 43.

⁵ - المصدر نفسه، ص 181.

أَرْحَمُ جِدِّي الْخُلُوفِ وَأَبِي... وَأَوْلَادُهُ وَإِخْوَاتِهِ وَجَابِرُ

ينادي الشاعر أولاده مودّعا، بقوله في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):¹

في الليل والنهار انعط بالشاهدة ... وأنا في خيمتي متقبل مشضوف

ابقاوا بالسَّلَامَةِ يَا اولادِ خُلُوفِ

الشّاهد (يا اولاد خلوف) اسم (يا أولادي) جاء اسم (أولاد) منادى، المراد به (يا أولادي).

ب/ أمي:

أمّ المرأة وأمومة، أي صارت أمّا، والأمّ هي الوالدة، وتطلق على الجدّة أيضا، ويقال "حواء أمّ البشر".²

إنّ "بن خلوف" مثل الإنسان البار بوالديه، فهو دائم الدّعاء لهما، ذاكرا والدته بـ (أمّي، أمّا، أمّه) تسع مرّات في ديوانه، منها ما قاله في قصيدة (لولا أنت):³

يَوْمٌ وَقُوفِ الْخُلُقِ لَيْسَ تَعْقُلُ عَنْ أَبِي... وَأُمِّي وَاهلي نُزِيدُ وَجْهَ الْحَبِيبَةِ

ويقول في قصيدة (مقلّب القلوب ربّي):⁴

بُويَا وَأُمِّي مَعَ جُدودي... وَاللّي عَشِقُوا وَكُلَّ تَابِ

¹ - المصدر السابق، ص 193.

² - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 27.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 67.

⁴ - المصدر نفسه، ص 137.

الشّاهد في البيت قوله (أمّي) جاء اسما مضافا إلى ياء المتكلم للتخصيص، يطلب الشّاعر المغفرة دوما لأهله ووالديه، ممّا يؤكّد طاعته لهما ومحبّته لعشيرته وناسه.

يقول في قصيدة (إلا وجه الحبيب غاب):¹

ارحمني وأرحم العجوز أمّي حولة... وأرحم من هم الآن خلفي وأمامي

ويقول في قصيدة (قصّة مزگران):²

وأمة من بيت محسنات... اليعقوبية لالة حولة

الشّاهد في قوله (أمة) جاءت الكلمة مضافة إلى هاء الغائب الذي يعود على الشّاعر، يريد القول أنّ والدته شريفة النسب.

2/ ما دلّ على أسماء الشّاعر وأفراد أسرته:

1.2 ما دلّ على أسماء الشّاعر:

يذكر "بن خلّوف" لونين لاسمه، فتارة هو (الأخضر) وتارة أخرى هو (الأكحل) فلماذا يميل الشّاعر إلى توظيف اسم (الأكحل) في بعض القصائد دون الأخرى، ليعود إلى استعمال اسم (الأخضر)؟ ذلك ما نحاول الوصول إليه في هذه الالتفاتة.

أ/ الأكحل:

¹ - المصدر السابق، ص 114.

² - المصدر نفسه، ص 187.

وظّف "بن خلّوف" اسم (الأكحل) عشر مرّات في ديوانه، منها ما قاله في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):¹

يَا لَإِيْمَ لَا تَلُوْمُ الْأَكْحَلِ بِأَجْهَرَةٍ... إِذَا زَامَ الرَّعْدِ وَزَادَ غَيْمِهِ جَلْجَالِي
وَإِذَا شَالَ الْبَرْقِ عَن بَيْتِي مَرَّةً... لَا شَيْكَ نَرَوِي مِنْ مُسْوِكِ الْغَوَالِي

نفس الشاعر هي نفس منهكة، متعبة لكثرة المعاصي والذنوب، يذهب بخياله بعيدا ليصوّر حالة الخوف والفرع بلوحة فنية السماء ملبّدة فيها بالغيوم ويسمع للرّعد دويًا قويًا هو رمز لمناجاة النفس وتأنيب الضمير، ليلمح ضوء جميلًا في الأفق، إنّه المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي شبّهه بالمسك الفوّاح، فيتّبع خطاه.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (إذا تخيّرت من ذنوبي):²

أَرْحَمُ فِي كُلِّ حِينٍ الْأَكْحَلِ... وَاعْفِرْ ذَنْبَ الْمُؤْمِنِينَ كِلَا

يطلب الشاعر الرّحمة والمغفرة من المولى جلّ جلاله، له ولجميع المؤمنين، موظفًا اسم (الأكحل)، والملاحظ من المثالين أنّ التّسمية عكست دلالة تشاؤمية لصراع ظلّ يراود الشاعر، هو اتّهام النفس بالتّقصير، ولما يراها مثقلة بالذنوب، تسير لمصير مجهول عاتمة أفقه، يميل لتوظيف اسم (الأكحل) الذي يعبر عن واقع نفسي مرير عاشه الشاعر.

إنّ اسم (الأكحل) هو رمز لليأس والقنوط، واللّوم والعتاب، وإشارة إلى سوء الخاتمة.

ب/ الأخضر:

¹ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 58.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 181.

تكرّر اسم (الأخضر) في ديوان "بن خلّوف" ثمانى عشرة مرّة، منها ما جاء في قصيدة (مفتاح خير إلا ينفذ):¹

مِنْ صَابِ الْأَخْضَرِ يَتَغَمَّدُ... فِي ثَوْبِ رَحْمَةِ مَوْجُودِهِ

يتساءل الشاعر عن عاقبته، متمنياً أن يرحمه الرحمن جلّ و علا برحمته الواسعة، وفي توظيف اسم (الأخضر) انشراح للنفس وأمل في المغفرة.

يقول في قصيدة (أحسن ما يقال عندي):²

يَكْفَانِي صَدَقِي وَنِيَّةٍ... الْأَخْضَرُ كَيْفَ يَكُونُ حَاطِي
تَسْعَةً وَتَسْعِينَ رُؤْيَةً... وَالْعَاطِي مَا زَالَ يُعْطِي

يتحوّل شعور الخوف إلى اطمئنان نفسي، يفسّره الشاعر برؤى متعدّدة للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، أتى ذلك الشّعور الصادق بعد معاناة طويلة قضاها في معاتبة نفسه، فمهما قدّم من أعمال صالحة يبقى غير واثق من مصيره.

يتوضّح من المثالين أنّ تسمية (الأخضر) حملت دلالة تفاعلية، رمز الشاعر بها إلى الأمان والاطمئنان.

2.2 ما دلّ على عائلة الشاعر:

أ/ أمّه:

أ.1/ خولة، لالا، خولة:

¹ - المصدر نفسه، ص 82.

² - المصدر السابق، ص 46.

يفتخر "بن خلّوف" بنسب والدته الشّريف، معترفا بفضلها عليه، ويكرّر اسمها (خولة) ثلاث مرّات في ديوانه، يقول في قصيدة (قصّة مزگران):¹

وَأَمَّهُ مِنْ بَيْتِ مُحْسِنَاتٍ... أَلْيَعْقُوبِيَّةُ لَالَاةُ خَوْلَةٌ

ويقول في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):²

مِحَالٌ كَالْخُلُوفِيِّ تَوَلَّدَ شَيْءٌ وَالِدَةٌ... غَيْرَ الْعَجُوزِ خَوْلَةٌ حَمَلَتْ بِالْجُوفِ

الشّاهد في قول (لالاة خولة) و (خولة)، والّآفت للانتباه كلمة (لالاة) التي سبقت الاسم، جمعها (لالات)، وهو لفظ فارسي تنادى به النّساء³، خاصّة في المغرب الأقصى، احتراماً لفضلها ولتبيان مكانتها في المجتمع الذي تعيش فيه.

أمّا اسم والدة الشّاعر (خولة) فيعني الغزالة -الظبية-⁴، استحساناً بجمال من يطلق عليها الاسم الذي عكس دلالة الأصالة: أصالة النّسب وشرف الرّفعة، كما رمز للامتنان والشّكر والعرفان بالجميل.

ب/ أولاده:

ذكر "بن خلّوف" أولاده (محمد، بالقاسم، أحمد، الحبيب، حفصة) مرّة واحدة في ديوانه:

ب.1/ محمد:

¹ - المصدر نفسه، ص 187.

² - المصدر نفسه، ص 192.

³ - عبد المنعم سيد عبد العال، معجم شمال إفريقيا تطوان وما حولها، دار الكتاب العربي للطباعة والنّشر، القاهرة، 1968م، ص 203.

⁴ - وليد ناصيف، الأسماء ومعانيها، دار الكتاب العربي، سوريا، ط 1، 2002م، ص 58.

سمّى ولده الأكبر على اسمه صلى الله عليه وسلم، يقول في قصيدة (ابقاوا بالسلامة) موصيا
إياه بمسؤوليته اتجاه بيته أو خيمته:¹

أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ أَتَهْلَى فِي خَيْمَتِي... أَنْتُ كَبِيرَ دَارِي وَأَنْتَ مَوْلَاهَا

ب.2/ بالقاسم:

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):²

وَأَنْتَ يَا بِالْقَاسِمِ عَمَّمِ بِعِمَامَتِي... تَضْحَى لَكَ هَيْبَةً لِمَنْ يَرَاهَا

والشاهد في قوله (بالقاسم) ترك لولده عمامته ويوصيه أن يضعها لتكون هيبة.

ويعني اسم القاسم، المعطي والموهب الذي يقسم بالعدل³، والأصل (أبا القاسم) وأدغمت
الألف في ألف حرف النداء لتتطق (با القاسم) تخفيفا للنطق.

ب.3/ أحمد:

من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم، ضدّ الدم والأكثر حمدا، يقول "بن خلّوف" في قصيدة
(ابقاوا بالسلامة):⁴

وَأَنْتُ يَا أَحْمَدَ حُذِّ إِدِّي سَبَّحْتِي... بِهَا إِفْتَكَّرَ لِي وَقْتًا تُقْرَأُهَا

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 192.

² - المصدر نفسه، ص 192.

³ - وليد ناصيف، الأسماء ومعانيها، ص 236.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 192.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

أهدي الشاعر السبحة المخصّصة لتحميد الله تعالى وتكبيره وتسبيحه، لولده (أحمد) الذي حمل معاني الحمد المبارك الكثير، وهو ما أراده "بن خلّوف" من ابنه، دلّ اسم (أحمد) على دلالة دينية مثلت ذكره تعالى وحمله.

ب.4/ الحبيب:

اسم (الحبيب) يعني المحبوب¹، سمى الشاعر أصغر الذكور بهذا الاسم تعبيرا عن محبته له، ترك له برانيس الصّوف لتبقى له ذكرى، يقول:²

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَوَلَدِي نُطْفَةٌ مِنَ الْكَابِدَةِ... خُذْ شَمَلْتِي وَبِرَانِسَ الصُّوفِ

اسم (الحبيب) في البيت رمز للحبّ والعطف.

ب.5/ حفصة:

هو أحد أسماء الأسد، يكتى (أبا حفص)، و (أمّ حفصة) اسم من أسماء الدّجاجة، والحفص البيت الصّغير³، ويدلّ على الرّحمة أيضا.⁴

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):⁵

اتهلوا يَا وَوَلَدِي حَيْتِكُمْ هَجَالَةَ... حَفْصَةُ بِنْتِ الْاَكْحَلِ مَدَّاحِ الْبَشِيرِ

¹ - وليد ناصيف، الأسماء ومعانيها، ص 58.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 192.

³ - نادر موسى الجيناوي، موسوعة الأسماء ومعانيها، دار الإسرائ، عمّان، الأردن، ط 1، 2002م، ص 46.

⁴ - وليد ناصيف، الأسماء ومعانيها، ص 236.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 193.

يوصي أولاده بالعطف والرّحمة على أختهم الوحيدة والاعتناء بها، موظفا اسم (حفصة) للدلالة على مدلول الاسم (الرّحمة) بكلّ معانيها.

3. العلاقات الفردية والاجتماعية:

لا يستطيع الإنسان تحقيق حاجاته المختلفة إلاّ باحتكاكه مع غيره، لما زرعه الله فيه من بذور الاجتماع، فهو الكائن الحيّ الاجتماعي فطرة و«غريزة» و«ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان (مدني بالطبع)»¹، فلا تتحقّق الغايات وتؤمّن المصالح إلاّ بالتجمّعات البشرية التي تولّد علاقات اجتماعية مختلفة، ومن ذلك تنوّعت الأسماء الدالة على العلاقات الاجتماعية بمختلف أنواعها: الفردية منها والأسرية، وما تعلقّ منها بالمحيط عامّة، معبّرة عن مفهوم الإنسان الاجتماعي الساعي إلى تكوين أسرة وعلائق مختلفة.

جاء المعجم اللّهجي ثريّا بالألقاب التي خصّ بها الشاعر الرّسول صلى الله عليه وسلم، عددنا أربع مئة وثلاثة لقاها، منها: صاحب الغماما²، صاحب المقام الرّفيع³، مفتاح الخير وغيرها كثير⁴. يقول "بن خلّوف" في قصيدة (بسم الله بدّيت انزم):⁵

قَالَتْ لِصَاحِبِ الشَّفَاعَةِ... تَاجُ الْأَنْبِيَا

أَعْطَانِي مَوْلَايَ رَفَعَةً... فِي دَارِ الدُّنْيَا

¹ - عبد الرّحمن بن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ضبطه: خليل شحادة، مراجعة: سهيل ركاز، دار الفكر، لبنان، ج 1، 2001م، ص 54.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 46.

³ - المصدر نفسه، ص 49.

⁴ - المصدر نفسه، ص 151.

⁵ - المصدر نفسه، ص 129.

وصاحب الشّفاة هو الرّسول صلى الله عليه وسلم، آخر الأنبياء والرّسل وتاج المرسلين، والشّاعر يخصّ النبيّ بهذه الألقاب تعظيماً لمكانته وتعبيراً عن حبه له.

3.1 ما دلّ على أصحاب الشّاعر وأحبابه وأقرانه:

للشّاعر علاقات عديدة وضّحها المعجم اللّهجيّ المتنوّع، وإنّ لأصدقائه وأقرانه حظاً وافراً في ذلك، ممّا يترجم علاقة وطيدة جمعتهم بهم أيّام حياته، فهو يدعو لهم ويدكّرهم في أشعاره، بلغ عدد الأسماء الدالة على ذلك أربعين اسماً، مثل: لرفاقي¹، صديق²، يا حضرة³.

يقول الشّاعر في قصيدة (مقلّب القلوب ربّي):⁴

نَشْرُحُ لِلْمَاجِيِّ وَغَادِيٍّ... أَبْيَضُ صَافِي زُلَّالٍ عَادِبٍ

يواصل قوله:⁵

وَجَمِيعَ الْجَالِسِينَ عِنْدِي... مُحْشَرَهُمْ فِي الْجِنَانِ طَيِّبٍ

كان لسيدى الأخضر بن خلّوف أصدقاء يجالسهم، فيأخذون منه الشّعْر، وينهلون من نظمه أبياتا صافية عذبة، والشّاهد في البيتين قوله (للماجي وغادي) و (الجالسين) يدلّ على قوّة الصّلة

¹ - المصدر نفسه، ص 76.

² - المصدر نفسه، ص 87.

³ - المصدر نفسه، ص 123.

⁴ - المصدر نفسه، ص 136.

⁵ - المصدر السابق، ص 137.

التي ربطته بالوفادين عليه، الراغبين في تعلّم الشعر وحفظه، لقوله: في قصيدة (بسم الله نبتدا
القصيدة):¹

يَا حَافِظُ حَدِّ لَا غَنَا مُوتِي غَدْرًا... نُورِثُ مَدَحَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ اِعْيَانِي

والشاهد في قوله (يا حافظ)، لم ينس الشاعر أحبّاءه، سواء الجالسين عنده أو الحافظين لمديحه،
وجميع من قصده، بالدعاء لهم، استعمل صيغة النداء للفت الانتباه.

3.2 ما دلّ على الرجال الأتقياء والصالحين:

يذكر الشاعر الرجال الصالحين أهل الدين، كما وصفهم في قصائده بجملة من الأسماء التي
توضّح النهج الذي سلكه هؤلاء، باتباعهم لخاتم الأنبياء والمرسلين، بلغ عددها مئة وثلاثة عشر اسما
منها: السدات²، ساداتي³، الأقطاب⁴، رجال الله الأخيار⁵، وغيرهم.

يقول في قصيدة (مقلّب القلوب ربّي):⁶

نَحْمَدُ رَبِّي السَّمَا وَالْأَرْضَ... رَاوِي عَنِ الْاِقْطَابِ جَمَلًا

يقول في قصيدة (قدر ما في بحر الظلام):⁷

¹ - المصدر نفسه، ص 124.

² - المصدر نفسه، ص 119.

³ - المصدر نفسه، ص 138.

⁴ - المصدر نفسه، ص 134.

⁵ - المصدر نفسه، ص 172.

⁶ - المصدر السابق، ص 134.

⁷ - المصدر نفسه، ص 52.

وَكُلَّ الذَّاكِرِينَ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَأَهْلَ التَّوْحِيدِ الْعَابِدِينَ وَالْعَابِدَاتِ

الشّاهد في هذه الآيات في قوله (الأقطاب) و (الذّاكرين)، (المؤمنين)، (المؤمنات)، (أهل التّوحيد)، (العابدين)، (العابدات)، عكست الأسماء دلالة دينية مثلت العبادة والتّقوى.

إنّ تقدير الشّاعر لجملة الرّجال الصّالحين هو دليل على اهتمامه بالجانب الدّيني من جهة ويكشف لنا مكانة الرّجل، والأصفياء الأخيار، التّابعين للرّسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه وآله رضوان الله عنهم في ذلك المجتمع الذي عاش فيه "بن خلّوف" من جهة أخرى.

3.3 ما دلّ على خادمه:

كان للشّاعر خادم، قضى معه سبعين عاما في خدمته، وأصله من جبال الظّهراء: أوصى أولاده بشكره وتكريمه، يقول:¹

إزفَعُوا عَلَامَ حَدِيمِ اللَّهِ بِالظَّاهِرِ... إِصْلِهِ اعزافري مِنْ جَبَلِ المَرْمَارِ
سَبْعِينَ عَامًا عَدَاهَا لِي شَاكِرٌ... جَارِي فِي خِدْمَتِي كُلَّ لَيْلَةٍ وَنَهَارٍ

والشّاهد في قوله (خدِيم) أي خادم في الفصحى، والخادم هو من يسهر على راحة مخدومه، ذكره "بن خلّوف" مرّة واحدة في ديوانه، ليرمز به إلى الطّاعة.

4.3 ما دلّ على اللّائمين العاذلين:

¹ - المصدر نفسه، ص 192.

جاء في الديوان الأسماء التالية: (ساييني)¹، (حضرة)²، (لايم)³، (عدال)⁴، سبق "بن خلوف" كلّ لفظ منها بحرف النّدا (يا)، لتخصيص المنادى وتعيّنه، وليلفت انتباه من يتحدّث معهم فينصتوا لكلامه ويعذروه عن مدح المصطفى وحبّه له، وفي مواطن أخرى يستخدم كلمات صريحة مثل: (لييب)، (فاهم).

هذا ويكرّر قوله: (يا بونادم) سبع مرّات، يقول في قصيدة (شايين عشت لابد تندم):⁵

لله توب يا بونادم...

واتفكر القبر عذابه يلقاك

لله توب يا بونادم

يلوم الشّاعر كلّ إنسان على تقصيره في أداء واجباته دينه، ويتوجّه إليه بالنّصح والإرشاد، طالبا منه التّفكير في العواقب وعذاب القبر، والشّاهد في قوله (يا بونادم) يناديه الرجوع والتّدم عمّا اقترفه في مسيرة حياته، وترك الدّنيا والعمل للآخرة.

5.3 ما دلّ على حبّه للرّسول صلّى الله عليه وسلّم:

¹ - المصدر السابق، ص 182.

² - المصدر نفسه، ص 56.

³ - المصدر نفسه، ص 58.

⁴ - المصدر نفسه، ص 58.

⁵ - المصدر نفسه، ص 176.

عددنا اثنين وستين ومائتين اسما في هذا الحقل، منها: الوالع¹، هوى²، عشقي³، وغيرها.

وظّف "بن خلّوف" جملة من الأسماء لتبيان العلاقة الوطيدة التي تربطه بخاتم الأنبياء والمرسلين، فهو مشغوف بمدحه، ووالع في حبّه، كما يقول في قصيدة (لله الحمد زاد فيّا):⁴

قُولِي فِي الرَّسُولِ عُمْدَةً... حُبُّهُ فِي خَاطِرِي أُسْكِنِي

يقول في قصيدة (نرغب المعين المبدي):⁵

إِنَّ الْخُلُوفَ عَاشِقَ مَدَّاحٍ... يَمْدَحُكَ لَنْ تَفْنَى عُمْرُهُ

والشّاهد في الأمثلة قوله (حبّه) و (عاشق)، يعبران عن درجة حبّ الشّاعر للمصطفى عليه الصّلاة والسّلام.

6.3 ما دلّ على أهل الكفر:

بلغ عدد الأسماء في هذا الحقل ثمانين اسما، دالّا على أهل الكفر والبدع، يذكّرهم الشّاعر تشاؤما بعواقبهم، من ذلك نذكر الكافر⁶، اليهود⁷، المشركين⁸، وغيرهم.

¹ - المصدر السابق، ص 181.

² - المصدر نفسه، ص 106.

³ - المصدر نفسه، ص 84.

⁴ - المصدر نفسه، ص 95.

⁵ - المصدر نفسه، ص 151.

⁶ - المصدر نفسه، ص 44.

⁷ - المصدر نفسه، ص 72.

⁸ - المصدر نفسه، ص 117.

يقول في قصيدة (نرغب المعين المبدي):¹

يُعَايِرُونِي قَوْمَ الْإِشْرَاكِ... وَالْيَهُودُ ابْنَانَا الشَّتْمَا

ويواصل قوله:²

مِنَ الصُّهُودِ وَحُرِّ الْبَرْدِ... تَوْتَقِدُ لِلنَّاسِ الْفُجَّارَ، يَا الْمُخْتَارِ

فِي عَظْمِ كَافِرٍ وَيَهُودِيٍّ... وَالْعَصَاتُ ابْنَانِ الْكُفَّارِ، يَا الْمُخْتَارِ

الشاهد في هذه الأبيات قوله (قوم الاشراك)، (اليهود)، (ابناينا الشتما) (للناس الفجار)،

(كافر)، (يهودي)، (العصات)، (ابناين الكفار).

7.3 ما دلّ على خلق معنوي سيء:

إنّ عدد الأسماء في هذا الحقل كثير، تجاوز الأربعين اسماً منها: العشّاش³، الكذاب⁴، البخيل⁵،

وغيرهم.

يقول في قصيدة: (قم صلي):⁶

¹ - المصدر السابق، ص 148.

² - المصدر نفسه، ص 151.

³ - المصدر نفسه، ص 54.

⁴ - المصدر نفسه، ص 182.

⁵ - المصدر نفسه، ص 113.

⁶ - المصدر نفسه، ص 167.

قُمْ صِلِيَّ وَاحْزِي اللَّعِينِ يَا الْبَخِيلِ... سَعِدْنَا بِسَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ وَالرِّسَالَةِ
قُمْ واطع الرَّبِّ الْجَلِيلِ يَا الْبَخِيلِ... لَا غَنَا يَاتِيكَ الرَّحِيلَ قَبْلَ زَلَّةٍ

الشّاهد في البيتين قوله: (البخيل)، شبه الشاعر تارك الصّلاة بالإنسان الشّحيح الذي يأبى أداء الفرائض، ووجه الشّبه بينهما هو الامتناع.

إنّ الأسماء الدالة على الأخلاق المعنوية السيئة المذكورة في الديوان، تعبّر عن نبذ الشاعر لذلك السلوك، ولتذكير أولئك المذمومة صفاتهم بعواقب أعمالهم.

8.3 اختصاص بعض الناس في حياتهم:

بلغ عدد الأسماء في هذا الحقل مئة وسبعين وأربعون اسماً منها: تاجر¹، إمام²، طالب³، وزير⁴، وغيرهم، يقول الشاعر في قصيدة (نرغب المعين المبدي):⁵

صَانِعُ رَائِسِ كَيْسِ بَلَدِي... صَنَعْتِي فِي الْمُعَنَى عِزَارِ، يَا الْمُخْتَارِ
مَا نَتَعَبُ رَاسِي بِيَدِي... مَنَزِلِي حَانُوتِ الْعُطَارِ، يَا الْمُخْتَارِ

إنّ "بن خلّوف" في نظمه للشّعر، هو الصّانع الحاذق، الذي يحسن عمله بالقليل من الكياسة فيصبح كالرئيس بين زملائه، لينسج معاني عظيمة، بكلمات بسيطة، عظّمها بفضل القليل من التّفكير، وما تكتبه أنامله فتفوح رائحة شعره العطرة من منزله.

¹ - المصدر السابق، ص 110.

² - المصدر نفسه، ص 108.

³ - المصدر نفسه، ص 108.

⁴ - المصدر نفسه، ص 76.

⁵ - المصدر نفسه، ص 149.

والشاهد في قوله (رايس)، (صانع)، (الطار) وكلها تدلّ على اختصاص معيّن في الحياة.

9.3 ما دلّ على المجاورة:

وظّف في هذا الحقل جملة كلمات منها: جار¹، جيراني²، اصحاب³ وغيرها.

يقول الشاعر في قصيدة (نرغب المعين المبدي):⁴

وَلَا تَسَلِّمْ فِي وَالِدِيٍّ... وَالْقُرْبَى وَأَهْلِيٍّ وَالْجَارِ، يَا الْمُخْتَارِ

ويقول أيضا في قصيدة (لله الحمد زاد فيّا):⁵

يَعْفُرُ ذَنْبُ الْعِزَارِ فِيَا... وَالْمَشْغُوفِينَ بِمَدِيحِ الْعَدْنَانِيِّ

والشاهد في البيتين (الجار) في الأول و (المشغوفين) في الثاني، دلّ هذا الأخير على شعراء المديح النبوي، الذين يشاركون الشاعر مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حمل الاسم دلالة المشاركة في الاختصاص، دلّت كلمة (الجار) على صلة قويّة طيبة، ربطت الشاعر بجيرانه أو من لاصقوه في المسكن، حتّى طلب لهم الشفاعة أيضا يوم الحساب.

¹ - المصدر السابق، ص 97.

² - المصدر نفسه، ص 169.

³ - المصدر نفسه، ص 113.

⁴ - المصدر نفسه، ص 150.

⁵ - المصدر نفسه، ص 95.

10.3 ما دلّ على علاقة تعليمية:

للشاعر شيوخ تعلّم منهم، يذكرهم ترخّماً على روحهم الطاهرة وعرفانا بجميلهم، يقول في نظم (الموت لا غنى تدركني):¹

أَرْحَمُ وَالِدِيَّ وَأَشْيَاخِي... وَأَرْحُمُ جَمِيعَ مَنْ عَلَّمَنَا

والملاحظ أنّ عدد الكلمات في هذا الحقل قليل، وذلك راجع إلى رغبة في نفس الشاعر أن يبقى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فوق كلّ ذكر واعتبار.

عكست كلمة (أشياخي) معاني الاحترام والتقدير والتبجيل لشيوخ الشاعر، ومن تعلّم على يديهم.

11.3 ما دلّ على علاقة دينية:

سلّطت الأسماء الواردة في هذا الحقل الضوء على علاقة الشاعر بخالقه جلّ جلاله، ميّزها منتهى الخشوع، وإمام بالدين وأحكامه، وخشية من الله وحده، لأنّ الإيمان المطلق الذي لا يعتوره شكّ بالعبادات وأمور الغيبات هو تزكية للنفس، وتطهير لها "سرّاً وعلانية من الخبث والدنس في عقيدة المرء وسلوكه ومعاملته لنفسه ولربّه أو لأهله وعشيرته".²

أ/ ما دلّ على الغيبات:

أ.1/ الملائكة:

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 145.

² - الاتّحاد العام لجماعة القراء، مجلّة كنوز الفرقان، العددان الخامس والسادس، يناير وفبراير، 1953م، ص 22.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

من الملائكة والملائكة، واحده ملك، وتعني الرسالة¹، يقول الله جلّ جلاله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾²، خصّهم المولى تعالى بالرسالة إلى الرسل، ويصفهم في آيات الذكر الحكيم "بالقوة في العبادة، وفي الخلق، وحسن المنظر، وعظمة الأشكال، وقوة الشكل في الصور المتعددة"³، والتّصديق بوجودهم هو أحد أركان الإيمان، ويمثّلون عالما غيبيا "لا يعلم حقيقته إلا الله سبحانه، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون، ويتّصفون لا بذكورة ولا بأنوثة، وجودهم ثابت بالدليل، لا يلحقه شك"⁴.

ذكر "بن خلّوف" في ديوانه الأسماء التّالية: الأملاك، ملايك، الملاكى، وغيرها، وكلّها تصبّ في معنى واحد هو الدّلالة على الملائكة، ليعبر عن إيمانه الصّادق القويّ بهم، فلما كان أن عظم الله تعالى ملائكته الكرام، أصبح من الضّروري للشّاعر اليقين بوجودهم وذكرهم في قصائده.

يقول في قصيدة (بما في علمك القديم):⁵

يجيوا املاك كألرعد بوجوه سود... ما أعظم ليلة السؤل

الشّاهد في قوله (أملاك) هم الملائكة عليهم السّلام، ويقصد الشّاعر تحديدا ملائكة السؤل الكرام، ذكرهم من باب إيمانه المطلق بهم.

أ.2/ الشيطان:

¹ ينظر: أبو حاتم أحمد بن حمدان الرّازي، كتاب الرّينة في الكلمات الإسلامية، تح: حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدّراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط 1، 1994م، ص 342.

² سورة البقرة، الآية 34.

³ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والتهاية، ج 1، ص 91.

⁴ مصطفى عاشور، عالم الملائكة أسراره وخفاياه، مكتبة القرآن، القاهرة، ص 08.

⁵ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 158.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

من الفعل الرباعي (شطن) أي بعد¹، يضرب مثلاً للإنسان الأشتر القوي، "قال أبو عبيدة: كلّ عات متمرد من الجنّ والإنس والدّواب هو الشيطان"²، فالشياطين هم عتاة الجنّ ومردتهم، وسموا كذلك لتباعدهم عن الخير ولغيهم وهلاكهم³.

سأقت العرب الكلمة للدلالة عمّن انشغل بالغزل، وتنحّى عن الناس وانفرد، ومنه قول "جرير" في ديوانه:⁴

أَزْمَانٌ يَدْعُونِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَزَلِي... فَكُنْ يَهْوِينِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانًا

والشيطان هو قرين الإنسان الذي يجرّضه على ارتكاب الذنوب، ومهما اختلف في تفسير اللفظ، فإنّ المدلول الواحد، يطلق على "روح شريرة غير مرئية، تدعو إلى المعاصي والآثام"⁵.

يذكر "بن خلّوف" في ديوانه الشيطان في مواقف عديدة، كما يشير إلى إبليس لعنه الله، ولنا أن ننوّه، أنّ إبليس هو الشيطان الأكبر، كفر لأنّه "أبى السجود واستكبر وطعن واعتقد أنّه محقّ في تمرّده، واستدلّ أنّه خير من آدم عليه السلام تسفيها لأمر الله وحكمته"⁶.

يقول الشاعر في قصيدة (قم صلّي):⁷

-
- 1- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 332.
 - 2- أبو حاتم أحمد بن حمد بن حمدان الرّازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ص 362.
 - 3- ينظر: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسّسة الرسالة، ط 1، 1992م، ج 1، ص 56.
 - 4- ديوان جرير، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، ط 3، المجلد 1، ص 165.
 - 5- ينظر: نهاد توفيق نعمة، الجنّ في الأدب العربي، رسالة ماجستير مخطوط، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1960م، ص 55.
 - 6- إبراهيم محمد الجمل، مملكة إبليس، مكتبة الحياة، الإسكندرية، 2002م، ص 56.
 - 7- ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 167.

قُمْ صِلِيَّ وَاحْزِي الشَّيْطَانَ يَا الْغُفْلَانَ... عِنْدَمَا لَاحَ الْفَجْرُ وَبَانَ قُمْ صِلِيَّ

(اخزي) بمعنى (أرجم) و (تعوذ) يقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾¹، والشاهد في قوله (الشيطان)، حمل دلالة تشاؤمية، رمز بها إلى الإبعاد والطرْد والتفوق.

ب. ما دلّ على الموت والحساب والجزاء والعقاب:

ب.1/ الموت:

من الفعل الثلاثي الأجوف (مات) يموت موتا بمعنى فارق الحياة²، والموت ضدّ الحياة، وهو الرحلة الأبدية من دار الفناء: الدّنيا إلى دار البقاء: الآخرة، وكان من معجزة الله في خلقه أن تدرك الموت كلّ المخلوقات الحيّة، يقول جل جلاله في سورة الجمعة: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾³، وفي هذا تقول فاطمة الزهراء بنت الرّسول صلى الله عليه وسلم في قصيدة عنوانها (الجزاء):⁴

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْمَمَاتَ سَبِيلُنَا... وَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي يَوْمِهِ مَاتَ فِي غَدٍ

¹ - سورة التحل، الآية 98.

² - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 890.

³ - سورة الجمعة، الآية 08.

⁴ - ديوان فاطمة الزهراء، ص 66.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

ولما كان الموت حقًا على كلّ مخلوق، خصّه النَّاسُ بالدراسة والوصف، فأدرجوا له أسماء عديدة منها: الهميغ، وأمّ قشعم، والمنون¹، وسمّاه الله تعالى مصيبة، في قوله: ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾²، وذلك "لأنّه تبدّل من حال إلى حال وانتقال من دار إلى دار، وهو المصيبة العظمى والرزّية الكبرى"³. وفي ديوان "بن خلّوف" تنويع في الدلالة على الموت بأسماء عديدة منها: الحملة⁴، القبر⁵، الممات⁶، وغيرها.

يقول في قصيدة (شايين عشت لا بد تندم):⁷

سَفَرًا طَوِيلٌ هَذَا يَا سِرِّ... مَنْ مَاتَ مَا رَجَعَ لِلدُّنْيَا

الشّاهد في قوله (سفرًا طويل) والصّواب (سفر طويل) في الفصحى، يقصد به التّوم الثّقيل الأبدي: الموت، وكلمة (سفر) توحى بالانتقال من حال إلى حال.

ويقول الشّاعر في قصيدة (الموت لا غنى تدركني) بحزن كبير:⁸

¹ ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، الغريب المصنّف، تح: محمد المختار العبيدي، نشر مشترك المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون و دار سحنون، تونس، ط 1، 1996م، ج 3، ص 810-811.

² سورة المائدة، الآية 106.

³ أحمد فريد، البحر الرائق في الرّهد والرقائق، مكتبة الصّحابة، جدّة، ط 2، 1991م، ص 262.

⁴ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 176.

⁵ المصدر نفسه، ص 167.

⁶ المصدر نفسه، ص 140.

⁷ المصدر نفسه، ص 176.

⁸ المصدر نفسه، ص 138.

الْمَوْتُ لَا غِنَى تُدْرِكُنِي... صَحَّ الْخَبْرُ بِلَا شَكِّ وَلَا الْإِرْتِيَابُ
لَيْتَهُ الرَّحِيلُ مَا يَاتِينِي... فِي كُلِّ حِينٍ حَاجِلَةً سَافِرٌ بِهَا الْعِقَابُ
مَا اقْوَاكَ رَاقِدَةً يَا عَيْنِي... مَا تَفْتَكِرِي رَحِيلَكَ وَالرَّقْدَةَ فِي التُّرَابِ

وتصبّ الشواهد في هذه الأبيات (الموت)، (الرحيل)، (رحيلك)، (الرقدة) في وادي الموت، يوظفها الشاعر لمعابرة نفسه على غفلتها، وذلك ما أراده من قول (راقدة) بمعنى غافلة، وضرورة التدبّر في لقاءه تعالى والاستعداد له، وشبه الموت بطائر جارح (العقاب) يراقب من السماء فريسته وهو متمكّن منها لا محالة، والإنسان هو غنيمة هذا الأخير التي لا حول ولا قوة، ووجه الشبه بينهما الاستيلاء والقهر والسّرعة.

ويتميّ "بن خلّوف" تأخير أجله في ذكره كراهة الموت، حتّى يستعدّ له بالعمل الصّالح والمبادرة إلى التّوبة، وكثيرا ما يكثر من ذكرها في قصائده، ردعا لنفسه من ارتكاب المعاصي، وتركها للدنيا وتصغيرا وفضحا لها، وجاء توظيفها مقرونا بالتّوبة التي تحمل معاني الخشية والخوف.

وجاء ذكر (الموت) في الديوان ترغيبا للتخلّص من دار الغرور والانتقال لجوار الله تعالى، وترهيبا من خشية اللّقاء الذي لم يسبقه استعداد.

ب.2/ الحساب:

يذكر الشاعر جملة من الأسماء الدالة على الحساب في ديوانه منها (يوم النّشور)¹، (يوم القصاص)²، (يوم الميعاد)³، وغيرها كثير، يقول في قصيدة (ابقاوا بالسلامة)⁴:

وَكُلٌّ مَن عَطَى لَنَا قَلْبُهُ بِالرِّضَى... مَحْفُوظٌ فِي الْحَشْرِ يَوْمَ النَّاسِ وَقُوفٌ

ويقول في قصيدة (إلا وجه الحبيب غاب)⁵:

وَيَوْمُ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ... الْأَوَّلُ تَنْفَتِحُ قُصُورُ الْجَنَّةِ لَهُ

الشّاهد في البيتين قوله في البيت الأوّل: (الحشر)، والبيت الثّاني: (يوم البعث والحساب)، يذكره الشّاعر إيماناً به، وتذكيراً لكلّ من يقرأ ديوانه، وردعا لنفسه، أنّ يوم الحساب هو الحقّ، ولا شكّ أنّ هناك فرقا بين المعنيين.

إنّ البعث "هو إحياء الأموات وإخراجهم من قبورهم والحشر سوقهم جميعا إلى الموقف الهائل، جمع الأوّلين والآخريين والجنّ والإنس، والعاقل وغير العاقل، وأهل السّماء وأهل الأرض"⁶.

تشير الكلمة الأولى إلى إعادة الرّوح للمخلوقات، وخلق الحياة فيهم، أمّا الثّانية فتدلّ على عرض الأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 169.

² - المصدر نفسه، ص 65.

³ - المصدر نفسه، ص 116.

⁴ - المصدر نفسه، ص 190.

⁵ - المصدر نفسه، ص 112.

⁶ - أبو عبيدة محمد بن يوسف السنوسي، المنهج السّديد في شرح كفاية المرید، شرح المنظومة المسماة بالجزائرية لأحمد بن عبد الله الرّواوي الجزائري، تح: مصطفى مرزوقي، دار الهدى، ملبانة، الجزائر، ص 404.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

لَكُمْ مَوْعِدًا¹، وكان من حكمة الله تعالى أن سمّي سورة في القرآن الكريم باسم (سورة الحشر)، تذكيرا لعباده المؤمنين بالحساب و أمن لهم في الدنيا والآخرة.²

ب.3/ الجزء والعقاب:

ما ميّز الديوان هو كثرة الألفاظ الدالة على هذا الحقل، من ذلك ذكر الجنة جزاء لكلّ نفس تائبة مؤمنة، وذكر النار عقابا لكلّ إنسان جبار عنيد، اكتفينا بدراسة دلالة هذه الأخيرة التي خصّ الشاعر لها كلمات منوّعة، منها: السّعير³، صهدها⁴، الحريق⁵، تجاوزت ثمانين اسما، والسّعير من النار، واستعرت النار: التهبت، "قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا حَبَّثَ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾، أي تأجّجا".⁶

يقول الشاعر في قصيدة (بما في علمك القديم):⁷

ونكثروا ذِكْرَ الْحَكِيمِ... المنجي مِنَ السَّعِيرِ رَبِّ الْعِبَادِ

¹ - سورة الكهف، الآية 48.

² - ينظر: الغزالي، أسرار خواص كتاب الله العزيز، تح: عبد الحميد صالح الحمدان، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، ص 58.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 109.

⁴ - المصدر نفسه، ص 167.

⁵ - المصدر نفسه، ص 154.

⁶ - عبد العال سالم مكرم، الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1996م، ص 80.

⁷ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 158.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

والنّار هي "الدار التي أعدّها الله للكافرين به، المتمرّدين على شرعه، المكذّبين أرسله، وهي عذابه الذي يعدّب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين"¹، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾².

جاء في قصيدة (يا كوثر اللّبن):³

بَاغِيكَ تَقُولُ لِلنَّارِ أُحْدِرِي بَالِكَ... لَا تَحْرِقِي جَسَدِهِ بِنِ حُلُوفِي هَيْهَاتَ

ويحمل الشّاهد (للنّار) في دلالة معاني الألم والعذاب، والأحزان، ما تعجز الأقلام عن وصفه، يتميّ الشاعر عتق جسده من النّار، بنفس خائفة، يقول في نفس القصيدة:⁴

يَا سَيِّدُ نَزَعْبِكَ بِالشَّفَاعَةِ لَكَ... حَرَّرَ جَوَارِحِي مِنْ هَيْبِ تَلْظَاتِ

(تلظات) بمعنى لظى في الفصحى، اسم من أسماء النّار، سمّيت كذلك لكثرة شررها وشدة التهاجها، وهي علم على جهنّم⁵، يقول الله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَى ﴾⁶.

عكست كلمة (لهيب تلظات) معاني الرّهبة والفرع حيناً، والخوف والنّفور حيناً آخر.

ج. ما دلّ على غيبات أخرى:

¹ - عمر سليمان الأشقر، الجنّة والنّار، دار النَّفائس، الأردن، ط 7، 1998م، ص 11.

² - سورة النَّساء، الآية 145.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 97.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 97.

⁵ - ينظر: عبد العال سالم مكرم، الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني، ص 79.

⁶ - سورة المعارج، الآية 15.

ضمّم هذا الحقل غيبيات، أخبرنا بها رسول الله صلى عليه وسلّم، كالقلم واللوح والأعراف وغيرها، اكتفينا بالوقوف على كلمتي (الكرسي) و (عرش الرحمن).

ج.1/ الكرسي:

كرسي الله تعالى: ملكه¹، يقول جل جلاله في سورة البقرة: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾²، اختلف العلماء في تفسيرهم لكرسيّ الله تعالى، فمنهم من أجمع أنّه قدرته التي بها يمسك السماوات والأرض، ومنهم من قال علمه الواسع، وبعضهم ذهب أنّ "جميع ما خلق الله في جوف الكرسي"³.

ج.2/ عرش الرحمن:

العرش هو البيت والمنزل ويعني السّيرير أيضا، ويدلّ على ما يستظلّ به، لقول الخنساء في قصيدة (تركنتي يا صخر):⁴

إِنَّ أَبَا حِسَانَ عَرْشِ هَوَى... مِمَّا بُنِيَ اللَّهُ يَكُنْ ظِلِيلِ

ذكر الله جلّ و علا عرشه في القرآن الكريم، يقول تعالى في سورة يونس: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾⁵، أي استوى وعلا عليه⁵، وللكلمة تأويلات عديدة، اجتهد العلماء في تفسيرها، والعرش حقيقة لا يعلمها إلا الخالق سبحانه.

¹ - مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، مصر، ط 2، 1989م، ج 1، ص 962.

² - سورة البقرة، الآية 255.

³ - أبو الحاتم أحمد بن حمدان الرّازي، الرّينة في الكلمات الإسلامية العربية، ص 330.

⁴ - ديوان الخنساء، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 2004، ص 96.

⁵ - ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 593.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (إلا وجه الحبيب غاب):¹

سَبْعَةُ نَيْرَانٍ حَامِيَةٍ سَبْعَةِ جَنَاتٍ... وَالْكُرْسِيُّ الْوَسِيعُ وَعَرْشُ الرَّحْمَانِ

إنّ ذكر (الكرسي) و (عرش الرّحمان) والغيبات الأخرى في الديوان، هو دليل قاطع على قوّة العقيدة الدينية للشاعر.

د. ما دلّ على العبادات:

إنّ ديوان الشاعر زاخر بالألفاظ الدالة على العبادات، فرايضي²، الصّيام³، الجهاد⁴ وغيرها، ومن هذه الأسماء نخصّ اسم (الزّكاة) بالدراسة.

د.1/ الزّكاة:

تعني البركة والنّماء⁵، "قال ابن قتيبة: الزّكاة من الزّكاء وهو النّماء والزيادة، سمّيت بذلك لأنّها تثمر المال وتنمّيه"⁶، ويعدّ العمل الصّالح زكاة أيضا، لأنّه يزكّي صاحبه، أي يطهره ويصلحه ويرفع ذكره⁷، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾⁸، والزّكاة اصطلاحا: هي نصيب من المال، يدفعه

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 108.

² - المصدر نفسه، ص 143.

³ - المصدر نفسه، ص 156.

⁴ - المصدر نفسه، ص 156.

⁵ - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 396.

⁶ - أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتّطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر، بيروت، ط 1، 1993م، ص 166.

⁷ - ينظر: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، الزّاهر في غريب ألفاظ الشّافعي، تح: شهاب الدّين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، 1994م، ص 108.

⁸ - سورة المؤمنون، الآية 04.

كلّ مسلم إذا بلغ النّصاب، وتعني الإنفاق في سبيل الله تعالى، ولا بدّ من إخلاص النية في ذلك "لأنّ الرّكاة عبادة عظيمة، أحد أركان الإسلام، كالصّلاة، لا يقصد منها إلاّ الثّواب".¹

يقول الشّاعر "بن خلّوف" في قصيدة (المهارب قط ما ينام):²

لِأَهْلِ الصَّلَاتِ وَالصِّيَامِ... وَأَهْلِ الْجِهَادِ وَالزَّكَاةِ وَالْأَذَانَ

إنّ كلمة (الصّلات) في اللّهجة، هي (الصّلاة) بناءً مربوطة في الفصحى وهو الأصحّ، و (الصّيّام) هو الصّيّام و (الجهاد) والرّكاة (الرّكاة)، عكست المفردات إمام الشّاعر بتعاليم دينه، معرفة وعملا، وهي رمز من رموز العبادة.

هـ. ما دلّ على مناسبات وأعياد دينية:

هـ.1/ العيد:

من الفعل الثلاثي عاد، يعود، عودة: "كأنّهم عادوا إليه وقيل اشتقاقه من العادة، لأنّهم اعتادوه"³، جمعه أعياد "قال الأزهري والعيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح والحزن،... وابن الأعرابي: سمّي العيد عيداً لأنّه يعود كلّ سنة بفرح مجدّد"⁴، وعيّد المسلمون: شهدوا العيد

¹ - أبو الحسن عليّ الحسيني التّدوي، الأركان الأربعة (الصّلاة، الرّكاة، الصّوم، الحجّ) في ضوء الكتاب والسّنّة، دار القلم، الكويت، ط 3، 1974م، ص 114.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 156.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ص 3159.

⁴ - المصدر نفسه، ص 1359.

واستمتعوا به، وهو مناسبة دينية، يجتمع فيها المسلمون، فيهنّئ بعضهم بعضاً، فرحاً لقدمه، وتعبيراً عن رضاهم لأداء مناسك دينهم على أكمل وجه، سواء أكان صوماً أو أضحية أو زكاة وغيرها.

يقول المتنبي:¹

هَينِئاً لَكَ العَيدُ الَّذِي أَنْتَ عَيدُهُ... وَعَيدَ لِمَنْ سَمَّى وَضَحَى وَعَيداً

ويعظّم "بن خلّوف" في ديوانه أعياد المسلمين، فيذكر فضل الجمعة المباركة وعاشوراء والعيد،

يقول:²

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ قَدَّرَ فَضْلُ الْجُمُعَةِ... وَفَضْلُ عَاشُورَةٍ وَالْعَيدِ يَمْضِي وَيَأْتِي

ويقول أيضاً في قصيدة (نرغب المعين المبدي):³

بِحَاهِ عَاشُورَةٍ وَالْعَيدِ... وَالِدُّعَاءُ فِي جَوْفِ الْأَسْحَارِ، يَا الْمُخْتَارَ

حملت الكلمات (الجمعة) و (عاشورة) و (العيد) في الأبيات السابقة، دلالة عظمة المناسبة

ومثلت قطبا للفرح والاحتفال.

ل. ما دلّ على الكتب السماوية:

ل.1/ التّوراة:

اسم الكتاب الذي أنزله الله جل جلاله على سيّدنا موسى عليه السّلام، وهو من أقدم الكتب

السّماوية التي نصّ عليها القرآن الكريم واشتقاقه من الفعل وَرَى فتكون "تفعلة في لغة طي، لأنهم

¹ - ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج 2، ص 07.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 66.

³ - المصدر نفسه، ص 149.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

يقولون في التّوصية توصاة وللجارية جارة... قال البصريون تورا أصلها فوعلة"¹، فتكون وورا وتقلب الواو الأولى تاء لتصير تورا.

جاء لفظ التّورا في القرآن العظيم مكرّرا ثماني مرّات²، منها قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾³، ومن المفسّرين من ذهب أنّ لفظ التّورا عرب عن الكلمة (طورا) العبرية، وقد طرأ على الأصل تغييرات كما يلي:

طورا ← تُورا ← تورا ← تورا.⁴

والتّورا تعني العهد القديم عند النّصارى⁵، سمّيت كذلك من باب إطلاق الجزء على الكلّ، ويقصد بها تحديدا الأسفار الخمسة التي نزلت على سيّدنا موسى عليه السّلام، وهي:

سفر التّكوين: فيه مرويات عن بدء الخلق والكون وغيرها، وسفر الخروج "هو السّفر الذي يروي قصّة فرار اليهود من مصر وتيهيم في صحراء سيناء"⁶، وسفر اللاويون هو تعداد طويل لطقوس اليهود⁷، وسفر العدد هو السّفر الرّابع الذي يحوي تعداد اليهود المسلمين آنذاك، أمّا السّفر الأخير هو سفر التّثنية يتكرّر فيه ذكر ما قيل في الأسفار الأولى.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 53، ص 4822.

² - ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 1364هـ، ص 158.

³ - سورة آل عمران، الآية 03.

⁴ - إدريس سليمان مصطفى، العرب الصّوتي في القرآن (دراسة ومعجم)، رسالة ماجستير مخطوط، كلية التربية، جامعة التّكوين المتواصل، 2006م، ص 90.

⁵ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 90.

⁶ - ليوتاكس، التّورات كتاب مقدّس أم جمع من الأساطير، تر: حسّان ميخائيل إسحاق، ص 164.

⁷ - المرجع نفسه، ص 187.

ويعرف التّوراة أيضا باسم التّاموس وأسفار الشّريعة¹، وشريعة موسى عليه السّلام هي شريعة عظيمة، وأمّته أمة كبيرة، لكنّهم تبدّلوا ونسخت ملّتهم، وبدّل دينهم، فمسحوا قرده وخنازير.²

ويقف "بن خلّوف" عند جملة من الكتب السّماوية في ديوانه، منها التّوراة، يقول في قصيدة (إلا وجه الحبيب غاب):³

لَوْلَاهُ مَا نُزِلَ كِتَابٌ... مِثْلُ التَّوْرَةِ وَالزَّبُورِ وَلَا إِنجِيلُهُ

والزّبور هو زبور سيّدنا داوود عليه السّلام، أمّا (إنجيله) هو الكتاب المنزّل على سيّدنا عيسى عليه السّلام، جاء ذكره بالهاء حفاظا على القافية وفي الفصحى (إنجيل).

ويقول في قصيدة (لولا أنت):⁴

وَمِنْ بَعْدِ التَّوْرَةِ بَشَرٌ بِكَ عَيْسَى... فِي الْإِنجِيلِ اللَّيِّ أَخَذَ مَنْ بَعْدَهُ أَوْرَاقَهُ

يشير الشّاعر في البيت إلى البشارات الأولى في الكتب السّماوية التي سبقت القرآن، بنوبة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، جاء ذلك في التّوراة والإنجيل معا، لقوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ

¹ - ينظر: نضال عبّاس جبر دويكات، قصّة موسى عليه السّلام مع فرعون بين القرآن والتّوراة (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير مخطوط، جامعة التّجّاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م، ص 19.

² - ينظر: ابن كثير، البداية والتهاية، ج 2، ص 217.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 108.

⁴ - المصدر نفسه، ص 68.

الفصل الأول الأسماء الدالة على الله عزّ وجلّ وملائكته والإنسان، وعلاقاته الاجتماعية والفردية والدينية

السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴿١﴾، وبشّر عيسى عليه السّلام باسمه صلّى الله عليه وسلّم لقوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. ²

إنّ معنى البيت مستوحى من الآيتين السّابقتين، ويعكس معرفة الشّاعر لهذه البشارات وإيمانه بها، ممّا يجسّد عقيدة دينية متينة، لأنّ التّصديق المطلق الذي لا يشوبه شكّ لهذه الأخيرة، هو مبدأ أساسيّ لعقيدة المسلم ³، والحجر الأوّل الذي يؤسّس عليه ركائز الدّين الإسلاميّ.

و. ما دلّ على غزوات الرّسول صلّى الله عليه وسلّم:

و.1/ بدر:

أي غزوة بدر: صادرت قريش أملاك المسلمين المهاجرين إلى المدينة فتنكّروا بقطع الطّريق عليها واعتراض قوافلها، فكانت معركة بدر الكبرى في 17 رمضان من الثّاني للهجرة، الموافق لـ 14 مارس 624م ⁴، وانتهت بفوز الرّسول صلّى الله عليه وسلم ومن معه فوزا مبينا.

و.2/ حنين:

¹ - ينظر: سورة الفتح، الآية 29.

² - سورة الصف، الآية 06.

³ - ينظر: سعيد بن الحسن الإسكندراني، مسالك التّظنر في نبوة سيّد البشر، تر: محمد عبد الله الشّرقاوي، مكتبة الزّهراء، القاهرة، ص 05.

⁴ - ينظر: شوقي أبو خليل، أطلس القرآن، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 1، 2003م، ص 205-206.

إحدى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، قادها ضدّ النصارى، للتفريق بين جموع الكفار الذين حشدوا وقبائلهم لقتال المسلمين في حنين، وحنين هو واد بين الطائف ومكة¹، جرت الحادثة شوال الثامن للهجرة²، وانتهت المعركة بهزيمة الكفار.

يقول "بن خلّوف" في ديوانه واصفا فرحة المسلمين بنصرهم:³

تَابِعِينَ السَّنَةَ بِالصِّدْقِ وَالسِّهَامِ... فِي بَدْرِ وَحَنِينٍ اتَقَرَعَتْ طُبُوهَا

ويقول أيضا في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي) متحدّثا عن يوم حنين:⁴

مِنْ بِهِ انْهَزَمَتِ الْعَسَاكِرُ يَوْمَ حَنِينٍ.. كَانَتْ الْانصَارَ حَاضِرَةً وَالْمُهَاجِرِينَ

نلتمس في لفظتي (بدر) و(حنين) معنى النصر والبطولة، وإنّ الغزوتين فخر لكلّ مسلم.

إنّ كثرة العلاقات الاجتماعية والفردية تعكس الجانب التواصلي للشاعر مع محيطه الذي يقوم أساسا على توظيف جملة من الأعضاء، كالعقل للتفكير، واللسان للكلام، وغير ذلك من أعضاء الإنسان الظاهرة منها والباطنة، التي تحمل دلالات عديدة بدورها، نحاول الوقوف عندها في الفصل الموالي بإذن الله.

¹ - ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 7، ص 05.

² - ينظر: شوقي أبو خليل، أطلس القرآن، ص 208.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 164.

⁴ - المصدر نفسه، ص 63.

الفصل الثّاني:

الأسماء الدالّة على أعضاء جسم الإنسان، جنسه وسنّه، وانتمائه

المبحث الأوّل: ما دلّ على أعضاء جسم الإنسان.

المبحث الثّاني: ما دلّ على جنسه وسنّه.

المبحث الثّالث: ما دلّ على انتمائه.

المبحث الأول: ما دلّ على أعضاء جسم الإنسان

يضمّ هذا الحقل الدلالي مجموعة الأسماء الظاهرة لجسم الانسان منها وغير ظاهرة، خصّ الشاعر المجموعة الأولى بذكر أعضاء جسمه، راجيا من المولى جلّ وعلا أن يعتق جسده من النار، والبعض الآخر جاء في ذكر الرسول عليه الصلّاة والسّلام، ليبرز لنا تعلقه وحبّه له، أمّا المجموعة الثانية فخصّها لذكر عقله الذي طار حبّا لخاتم المرسلين وولعه بمدحيه، فخاطره عليل وقلبه معذبه.

الأعضاء الظاهرة:

العين:

حاسة البصر والرؤية بها ينظر الإنسان والحيوان "والجمع أعين وأعينات... وأعيان وعيون"¹، والعين العضو الناظر لكلّ ذي بصر²، ومصدر سعادته والعين تظهر المحاسن وتكشف العيوب، لها دموع تخفف الآلام وتمسح الأحزان، سمّاها الرسول عليه الصلّاة والسّلام (الرحمة)³، وكلمة العين تحتضن الوجود الإنساني بأكمله، ففي لغة الإنسان هي حرف من حروف المعجم العربي، وفي ماله هي الذهب، وفي آلاته هي الميزان، وفي شرايه هي ينبوع الماء⁴، وغيرها.

¹ - أبو الحسن علي بن إسماعيل التّحوي اللّغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت 457 هـ)، كتاب المخصّص السّفر الأوّل، المطبعة الكبرى الأميريّة، بولاق، مصر، ط 1، 1316 هـ، ص 93.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 263.

³ - أبو الصّفاء خليل بن أبيك الصّفدي، صرف العين، تح: محمد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربيّة، ط 1، 2005م، ج 1، ص 36.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ص 64 - 66.

عبّر الشاعر عن كلمة (عين) بألفاظ كثيرة منها: أعياني، عين واحدا، عين، العين عيوني، العينين وغيرهم، تكرر كل ذلك ثماني وستين مرة، يقول "سيدي الأخضر بن خلّوف" في قصيدة (أحسن ما يُقال عندي):¹

حُبُّكَ فِي سُلْطَانِ جَسَدِي ... مَا عَزَّكَ يَا عَيْنُ وَاحِدًا

يراد بلفظ (يا عين واحدا) في هذا الموضع، كل ما هو فريد وثمين، فمثلت حاسة البصر بمكانة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن العين هي العضو الذي يميّز الأشياء ويدركها، والتّبي هو الشخص الذي ينير الطّريق.

جاء اللفظ بنفس المعنى في قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾²، يقول "علي بن جبلة" في ديوانه:³

وَمَا اكْتَحَلْتُ بِهِ عَيْنٌ فَتَبَقَى ... مَسْلَمَةَ الضَّمِيرِ مِنَ الذَّنُوبِ

وفي قول الشاعر في قصيدة (قدر ما في بحر الظلام):⁴

وَالْعُرْبَانَ أَهْلَ الْخَيْامِ ... وَعَدَدُ الْخَائِيِّ وَاللِّيِّ تُشَاهِدُهُ كُلُّ عَيْنٍ

وفي قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):⁵

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَدَّرَ أَوْزَارُ الْعَيْنِ ... سِيرَاجُ الْمُؤْمِنِينَ نُورُهُ لَا يَطْفئه

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 41.

² - سورة آل عمران، الآية 13.

³ - شعر علي بن جبلة الملقّب بالعمّوك (ت 213 هـ)، جمعه وحقّقه حسين عطوان، دار المعارف، ط 3، ص 37.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 51.

⁵ - المصدر نفسه، ص 59.

يحفّزنا الشاعر في البيتين للإكثار من الصلّاة على الرّسول صلى الله عليه وسلم عدد الأشياء التي تبصرها العين، وما أكثرها، وعدد ما يقع عليه النّظر، يريد من ذلك التّريغيب في الصلّاة على النّبي صلى الله عليه وسلم دون حساب.

وتستعمل كلمة (عين) للدلالة على نبع الماء فنقول العين الجارية "وإنّما سمّيت تشبيها لها بالعين النّاطرة لصفاتها ومائها"¹، ولسيلان الماء منها كخروج الدّمع من عين الإنسان.²

يقول "الأخضر بن خلّوف" في قصيدة (أويك راه علم شبيبي):³

وَعُيُونُهَا جَرَّاتٌ مَبْسُوكٌ وَكَافُوءٌ... مِنَ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ وَالْحُمُرِ وَذِيَانِهَا

جاءت كلمة (عيون) بصيغة الجمع للتعبير عن مياه عذبة تتدفّق في جنة الخلد، كما تبين الآية الكريمة: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾.⁴

عبّر الشاعر عن حاسة البصر بألفاظ أخرى منها:

الحاضي:

في قوله في قصيدة (اختارك الواحد الأحد):⁵

فِي اللَّيْلِ مَا تَنَامِ الْحَاضِي... مَا بَيْنَ السَّابِقِينَ أَسَهَّارًا

¹ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا معجم مقاييس، ج 4، ص 200.

² - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالزّاغب الأصفهاني (ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 355.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 174.

⁴ - سورة الرّحمن، الآية 50.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 76.

جاء الشاهد (الحاضي) بصيغة الجمع، مفردة لحظ و "لحظ العين أن تلحظ بها وألحاظ: مؤخر العين"¹، وكلمة (لحظ) في الديوان مرسومة بالضاد (لحض)، وفي الفصحى (لحظ) تسهيلا للتطق، كما في قصيدة (مقلب القلوب ربّي) يقول الشاعر:²

لَوْحٌ وَالْعَرْشُ شُوفَ لِحْضِي... وَالْحَرْفُ اللَّيِّ بَعَيْتُ تَيْلًا

البصائر:

مفردتها (بصر) من الفعل الثلاثي (بصر)، يقال: بصر الشيء أي نظر إليه حتى استبانه³، والبصر هو نور العين وما يبصر به الرائي، ويدرك المرئيات، والبصيرة هي نور القلب، فكأتهما جوهرا لطفان، خلق الله تعالى فيهما التين للإبصار والاستبصار.⁴

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۗ﴾⁵.

يقول الشاعر في قصيدة (بك طابت الأثمار):⁶

مَنْ تُرِ الشَّهَوَاتِ انْعَامَتِ الْبَصَايِرُ... لَكِنَّ أَهْلَ النَّسَبِ مُتَوَافِقِينَ بِكُرًا

¹ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مجمل اللغة، ج 1، ص 804.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 134.

³ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 59.

⁴ - ينظر: محمد الرازي فخر الدّين، تفسير فخر الرّازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط 1، 1981م، ص 59-60.

⁵ - سورة الملك، الآية 03.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 101.

يشبّه الشاعر حاله بإنسان أعمى فقد بصره من كثرة ذنوبه، والمقصود هنا فقدان البصيرة وليس البصر، فالمشبّه به هو ذلك الإنسان المتمرد المتعطّش لارتكاب المعاصي والآثام، حتى مات قلبه وضميره معا.

الأبصار:

"بصر به، يبصر، بصارة، وبصر يبصر بصرا علم به وراه... واستقصى النظر إليه وتأمله وتعرّفه وفيه تأمل".¹

يقول الله جل جلاله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۚ﴾².

يقول الشاعر في قصيدة (الموت لا غنى تدركني):³

نَدَعِيكَ لِلَّذِي يُحْشِرُنِي... يَوْمًا فِيهِ تَغْشَى الْأَبْصَارُ وَتَوَلَّى ذَهَابَ

يقول أيضا في قصيدة (ألا وجه الحبيب غاب):⁴

أُعْتَقُ جَسَدِيَّ مِنَ الْعَذَابِ... يَوْمًا تَشْخُصُ الْأَبْصَارُ مِنْ أَهْوَالِهِ

يدعو الشاعر الله سبحانه وتعالى العفو عند الحساب، راجيا شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم تسلب الأبصار: يوم يكون النظر بلا رؤية، نتيجة الرعب الشديد.

¹ - بطرس البستاني، قطر المحيط، طبع في بيروت، 1869م.

² - سورة الملك، الآية 23.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 158.

⁴ - المصدر نفسه، ص 114.

إنّ اختلاف اللفظ المستعمل للتعبير عن حاسة الرؤية فهو تارة: العين، اللحظ، الأبصار، البصر، وتارة أخرى البصائر، ليس من قبيل التنويع للدلالة على الثراء اللفظي، وإنما هي دقة في التعبير لإظهار خصوصية المعنى.

اليَد:

"من أطراف الأصابع إلى الكف"¹، الجمع أيد وأياد ويراد بها تسمية عامة الكف²، واليد هو العضو الذي يترجم جوارح الإنسان وأفكاره إلى عمل ملموس فيتحقق بها "الفعل ويتم بواسطتها العمل حسنه وقبيحه، ممدوحة ومذمومة، جيده وفاسده"³.

واليد هي أكثر الأعضاء استخداما في جسم الإنسان، وكان من حكمة الله تعالى أن خلق المحّ وخصّ منطقة كبيرة فيه لمراقبة حركة اليد⁴، ممّا يؤكّد أهميتها الكبرى.

تكررت كلمة (يد) في الديوان ثماني وعشرين مرّة، تنوّعت ألفاظها بصيغ عديدة منها: يد، بيده، باليدين وغيرها.

يقول المهلهل بن ربيعة في ديوانه، مشبّها حملة النّعش بالكواكب:⁵

كَأَنَّ الْجِدِّيَّ جِدِّيَّ بُنَاتِ نَعْشٍ... يَكْبُ عَلَى الْيَدَيْنِ مُسْتَدِيرٍ

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ص 4950.

² - ابن سيده، المخصّص، السفر الثاني، ص 02.

³ - محمود أحمد حسن المراغي، علم الدلالة، دار المعرفة الجامعية، 2007م، ص 93.

⁴ - بريان فارد، موسوعة جسم الإنسان، دار اليوسف، لبنان، ط 1، 1198م، ص 40.

⁵ - ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح طلال حرب، الدار العالمية، د ت، ص 43.

يقول "الأخضر بن خلّوف" متحدّثاً عن استعماله لحاسة اللمس في سنوات عمره الأولى، في قصيدة (مقلب القلوب ربي):¹

وَاللّي نَرَاهُ جَا فِي يَدِيّ... مَا قَلَّتِ احْنُوش وَلَا اعقارب

جاء في قصيدة (يا كوثر اللبن):²

يَا خَيْرٍ مَنْ جَلَسَ لَدَى يَدِ مَوْلَاهِ... فِي كُلِّ مَا طَلَبَ ابْنِ الْخُلُوفِ هَنِيهَ

وفي قصيدة (صلوا وسلموا):³

رَانِي غَدَا حَصِيمَتُكَ فِي دِيكَ الدَّارِ... بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تُعْطِينِي دِينِي

يسلم الشاعر أمره لله عزّ و جلّ، فهو العبد الضعيف الرّاجي رضوان الله تعالى القادر على قبول الدّعاء، حملت كلمة (يد) في البيتين معنى القوّة والسّلطة، وهي دلالة مجازية تفيد السّيطة والملكية والخير والفضل أيضاً.

أمّا في قصيدة (الهارب قط ماينام) ، فيوظّف كلمة (اليدين) بمعنى آخر، يقول:⁴

فِي دَارِ اللَّحْدِ نَنْدِفَنَّ مِنْ ذَاكَ لِذَاكَ... بِالْفَاسِ وَكَثْرَةِ الْيَدَيْنِ

الشّاهد (اليدين) بكسر الدّال وتضعيفها، وفي الفصحى (اليدين) بتخفيف الدّال وفتحها، وظّفت الكلمة بمعنى مجازي، يفيد البسط، يقول الزّبيدي: "بسط يده بما أحبّ وأكره (مدّها) ...

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 135.

² - المصدر نفسه، ص 99.

³ - المصدر نفسه، ص 132.

⁴ - المصدر نفسه، ص 153.

وأصل البسط النّشر وما عداه يتفرّع عليه¹، يقول الله تعالى: ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾².

وفي قصيدة (أحسن ما يقال عندي)، جاء اسم (اليد) مكرراً، وإنّ في تركيب التّكرار دلالة قويّة، نلتمسها من قوله:³

يَا قُطْعَانَ يَدِي بِيَدِي... مَا نَقَلْتُ حَتَّى يَسْجُدَ

يتحسّر الشّاعر مخاطباً نفسه، ثائراً لكثرة أوزاره، ويصف حاله بقوله (قطعان) بمعنى هو الوحيد المتسبّب في ابتعاده عن الدّين، وارتكابه الآثام بامتناعه عن الصّلاة والسّجود، وتشير كلمة (قطعان) إلى إحداث القطيعة، وتحمل دلالة التّركيب: (يدي بيدي) معنى المبالغة في الفعل، والتّعجيل في الحدث، ممّا ولد الفشل والخيبة في نفس الشّاعر.

هذا وجاء ذكر اليد اليمنى واليسرى في قصيدة (باسم الله نبتدأ القصيدة) مرّة واحدة على سبيل التّخصيص:⁴

فِي يَدِهِ الْيَمِينِ وَفِي يَدِهِ الْيُسْرَى... وَفِي الْعُنُقِ وَفِي الرَّجْلِ زَادُو حَيْرَانَ

وممّا يلاحظ توظيف كلمة (اليد) للدّلالة على معنى الكفالة والضّمان، وما أكّد المعنى المقصود إضافتها لكلمة (الكافلة)، يقول "بن خلّوف" في قصيدة (قدر ما في بحر الظّلام):⁵

¹ - الزّبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مكتبة الحياة، بيروت، 1305هـ، ج 5، ص 105، مادة (بسط).

² - سورة المائدة، الآية 28.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 44.

⁴ - المصدر نفسه، ص 124.

⁵ - المصدر نفسه، ص 49.

قَدَّرَ مَا قَبَضَتْ يَدَ الْكَافِلَةِ بِالْجَمِيعِ

(اليَد الكافلة) هي سلطة الله تعالى ورحمته التي وسعت، فكفلت جميع المؤمنين ورهنتهم بنعم

لا تحصى.

أما في قصيدة (أحسن ما يقال عندي)، يقول:¹

أَقْبَضَتِ الشَّيْطَانُ بِيَدِي... وَأَغْطَيْتُهُ مَيْتِينَ جَلْدًا

جاءت كلمة (بيدي) مضافة إلى ياء النسبة للتخصيص ومجرورة، يسرح الشاعر بخياله بعيدا، ليصوّر لنا مشادة، دارت بينه وبين الشيطان، فتمكّن منه "بن خلّوف" وأبرحه ضربا، وهو مشهد يحيلنا إلى استنباط دلالة مجازية لكلمة (بيدي) التي وظّفها الشاعر للتعبير عن الأسر والسقوط.

إنّ دلالات كلمة (يد) "تحمل المعاني المعنوية أكثر من احتمالها المعاني المادية، وذلك لأهميتها بالنسبة للإنسان"²، ترجمت في دلالتها على اللمس والقوة والسيطرة ودلالة البسيط، ودلالة التركيب والمبالغة، ومعنى الكفالة والضمان، ودلالة الأسر.

2- ما دلّ على الأعضاء الباطنة: (غير ظاهرة):

وظّف الشاعر جملة من الأسماء الدالة على أعضاء جسم الإنسان غير المرئية، كالقلب والروح والعقل، العظام... إلخ، ومن ذلك اخترنا اسمين للدراسة: (القلب، العقل).

أ - القلب:

¹ - المصدر السابق، ص 42.

² - سهام محمد أحمد أسمر، ألفاظ العقل والجوارح في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، (مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007م، ص 26.

"مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط"¹، يراد به العضو العضلي الأجوف الذي "يستقبل الدّم من الأوردة، ويدفعه في الشرايين، قاعدته إلى أعلى معلقة بنياط في الجهة اليسرى من التجويف الصدري وبه تجويفان: يساري به الدّم الأحمر، وسمي به الدّم الأزرق المحتاج إلى التنقية، وبكلّ تجويف تجويفان فرعيان، يفصل بينهما صمام، ويسمى التجويف العلوي: الأذين، والتجويف السفلي: البطنين، وقد يعبر بالقلب عن العقل"².

والقلب مشتقّ من الفعل الثلاثي قلب، يقلّب قلباً، وسمي ذلك "لأنّه أخلص شيء وأرفعه"³، وسمي (قلبا) لكثرة تقلباته.

ومن هذا المعنى، يقول البوصيري:⁴

رَاعَتْ قُلُوبُ الْعِدَا أَنْبَاءَ بَعْثِهِ... كَنِبَاءَةٍ أَجْفَلَتْ عُفْلًا مِنَ الْعَنَمِ

بمعنى تلقى الكفار نبأ بعث الرسول عليه الصلّاة والسّلام بروح وخوف كبيرين.

تكررت كلمة (القلب) في ديوان "بن خلّوف" واحدة وعشرون مرّة، واستعملت للدلالة على عضو الإنسان المعروف، وهي الدلالة المركزية الأولى للفظ، يقول الشاعر في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي) مصلياً على الرسول عليه الصلّاة والسّلام عدد مكونات أعضاء الجسم، القلب والعقل وغيرها:⁵

وَأَقْسَامُ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَالْجُرْحَا... وَالرَّابِعُ صَدَقَ اللِّسَانُ وَحَسَّنَ الْكَلَامَ

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 421.

² - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 753.

³ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللّغة، ج 5، ص 17.

⁴ - الطاهر بن عاشور، البلسم المريح من شفاء القلب الجريح (شرح لبردة البوصيري)، تعليق: عمر عبد الله كامل، ص 18.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 58.

وفي نظم (شايين عشت لا بد تندم)¹، يعبر "بن خلّوف" بـ (القلب) للدلالة على العقل مجازاً، بوجود القرينة السياقية في السياق الشعري في قوله (يأمر)، فجعل القلب كناية عن التدبّر.

جَمَعَ الْفُؤَادُ وَخَلَقَ قَلْبِكَ... سُلْطَانُ يَأْمُرُ الضَّعِيفَةَ

كما جاءت كلمة (قلب) للتعبير عن مفهوم الطّهارة والصّفاء، يقول الشّاعر في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):²

مَغْسُورُ الْقَلْبِ مِنْ سَوَادٍ وَمَنْ حَمْرًا... لَا حِقْدٌ وَلَا حَسَدٌ مِنَ الْغِشِّ زُلَالِي

ويقول في نفس القصيدة:³

يَا صَابُونَ الْقَلْبِ رَاهٍ فِي قَلْبِي وَسَجَةٌ... مَا يَدْرِي بَعْلَةَ الْعَلِيلِ إِلَّا الْوَحِيدِ

يعبر الشّاعر عن نفس طاهرة نقيّة، هي نفس النّبي عليه الصّلاة والسّلام لقوله (صابون القلب)، فشفاعته هي الدّواء الذي يذهب علّة المريض الكثيرة أوزاره.

تستعمل كلمة (قلب) للتعبير عن معاني كثيرة منها: الوقع، نقول: "وقع الأمر في نفسي، ووقع في ضميري، ووقع في روعي، وفي خلدي"⁴، وقد يراد به الرّوح والعلم والشّجاعة، ومنهم من يعتبر الشّهامة نتاجاً لذكاء الفؤاد وحده القلب.⁵

¹ - المصدر نفسه، ص 177.

² - المصدر السابق، ص 60.

³ - المصدر نفسه، ص 58.

⁴ - ابن السكّيت يعقوب بن إسحاق، كتاب الألفاظ، تح: فخر الدّين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م، ص 404.

⁵ - أبو عبيد القاسم بن سلام، الغريب المصنّف، تح: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الثقافة الدّينية، ط 1، 1989م، ج 1، ص 327.

يقول "الأخضر بن خلّوف" في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):¹

مُحَمَّدٌ رَاحَةَ الْعِبَادِ الْمَشْهُورَةِ... مَدْحُهُ لَا زَالَ يُحَلِّي فِي قَلْبِي وَيَلَالِي

ويواصل قوله في نفس القصيدة:²

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَدَّرَ حُرُوفُ الطَّ... هُرِّ الْقَلْبِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ

إنّ مدح الرسول عليه الصلّاة والسّلام هو الغذاء الذي يشبع روح الشّاعر وفؤاده، فأصبح

كالتّجمة الواقعة التي تلمع في ليل حالك.

يرغب الشّاعر في الصلّاة على النّبي عليه الصلّاة والسّلام دون حساب في البيت الثاني،

ويصفه بقوله: (طاهر القلب)، والرسول صلى الله عليه وسلم طاهر الرّوح والفؤاد والجسد معا، يدلّ

لفظ (قلبي) و (القلب) على الرّوح والفؤاد.

وظّف الشّاعر (القلب) للتعبير على الحسرة والحزن، يقول في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):³

لَا حَالُ حَالَتِي مُتَمَكِّنٌ وَالْقَلْبُ ذَابَ... ظُهُرِي احْتَنَى وَشَيْبِي وَّلِي مَظْفُورٍ

شبهه "بن خلّوف" حالته التّفيسية الحزينة، بشمعة تذوب، تنير في سنوات العمر، لتتطفئ شيئا

فشيئا بمرور الوقت.

يقول في قصيدة (الا وجه الحبيب غاب) ، متحسّرا لوفاته عليه الصلّاة والسّلام:⁴

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 59.

² - المصدر السابق، ص 59.

³ - المصدر نفسه، ص 193.

⁴ - المصدر نفسه، ص 58.

حَسَيْتُ الْقَلْبَ ذَابَ مَنْ ذَا الْكَيْتِ... بَعْدَ الْمُصْطَفَى سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ

عكست كلمة (قلب) معنى الظلالة والغفلة في قصيدة (محمد خير الأنام):¹

يَا مَاذَا مَنْ قَلْبٍ عَامِي... يَهْتَفُ فِي بَحْرِ الظَّلَامِ

شبهه "بن خلوف" القلب برجل أعمى تائه يسير في الظلام، يهتف دون خلاص، ليعبر على الإنسان الغافل الذي فقد بصيرته بكثرة أوزاره.

ب- العقل:

"نقيض الجهل، عقل يعقل عقلا فهو عاقل"²، يضمّ معنى الإدراك والفهم معا نقول عقل - عقلا: "أدرك الأشياء على حقيقتها"³، وأصل العقل الإمساك والكفّ والمنع: يراد به "القوة المتهيئة بقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل"⁴، وتقول العرب في أمثالها "العاقل من عقله في إرشاده، ومن رأيه في إبداد، فقولُه سديد، وفعله حميد"⁵، لذلك رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ العقل أصل الدين وأساس فهمه على حقيقته، ومن حكمة القرآن أن تكون ألفاظ العقل فيه حاملة لدلالات عديدة منها: الفقه والأدب والعلم "وجعل الوصول إلى المعرفة من خلال استخدام ألفاظ الجوارح التي تدلّ على الدعوة إلى إعمال العقل"⁶، و "اكتشاف المجهولات عن طريق المعلومات، والمفكر مكتشف ما دام مفكراً"⁷.

¹ - المصدر نفسه، ص 85.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 203.

³ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 616.

⁴ - الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 341.

⁵ - أبو يعقوب يوسف بن طاهر الخوي، فرائد الخرائد في الأمثال، تح: عبد الرزاق حسين، دار التفائس، الأردن، ص 367.

⁶ - سهام محمد أحمد الأسمر، ألفاظ العقل والجوارح في القرآن الكريم، ص 34.

⁷ - عبد الحميد بن باديس، مجالس الذّكر من كلام الحكيم الخبير، وزارة الشؤون الدينية، ط 1، 1982م، ص 137.

تكررت كلمة (عقل) ومشتقاتها في ديوان "بن خلّوف" سبع مرّات.

يقول الشّاعر في قصيدة (نبتدأ الكلمة):¹

لَا أُلَّهُ إِلَّا اللَّهُ نُورَ الْعُقُولِ... نُورُ قَلْبِي بِهَا يَا حَامِي الْحَمَا

الشّاهد في البيت (العقول) وفي الفصحى (العقول) بضمّ العين، جمع مفردة (العقل) دلّت الكلمة على الوجهة والطّريق، ينير توحيد الله جل جلاله القلوب، بتوجيهها إلى الصّراط المستقيم.

يصف الشّاعر نفسه مادحا في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي) موظّفا كلمة (العقل) بمعنى

جديد يقول:²

وَأَنَا يَا مَدَّاحُ الرَّسُولِ بِلَا فَخْرَةٍ... مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ ضِيَا أُنْجَالِي

يضمّ (القلب) دلالة الرّوح والكيان والفؤاد.

جاء في قصيدة (الرشيد مصباحي):³

شَاشَتْ جَوَارِحِي... عَقْلِي طَارَ مَعَ الطُّيُورِ كَأَنَّهُ إِرْتِحَالِي

يعبّر الشّاعر عن فرحه وسعادته، راجيا شفاعة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم والشّاهد في

قوله (عقلي) جاء اسما مضافا إلى ياء التّسبة للتّخصيص المعنى، دلّ اللفظ على الانطراب والفرح.

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 161.

² - المصدر السابق، ص 62.

³ - المصدر نفسه، ص 90.

يَصوِّرُ الشَّاعِرُ حَالَةَ ذَعْرٍ، أَصَابَتْهُ يَوْمَ الْحِسَابِ خَوْفُهُ وَارْتِبَاكُهُ الْكَبِيرِينَ، فَيَسْرِعُ نَحْوَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَلْهُوفاً طَمَعاً فِي شَفَاعَتِهِ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةٍ (ابقاوا بالسلامة):¹

نرجاه في نهارِ الشُّومِ المتوخذة.. عَقْلِي لِيَهْ يُلَجَّأُ مِثْلُ الْمَلْهُوفِ

دلّت كلمة (عقلي) على الجسد والروح معا.

المبحث الثاني: ما دلّ على جنسه وسنّه.

1- ما دلّ على جنسه:

تنوّعت الأسماء الدالة على الجنس في الديوان، عدّدتنا خمسة وخمسين اسماً منها: ذكر، أنثى، رجل، آدمة، الرجال، النساء، النسوة، ولد، بنت وغيرها، ومن هذه الأسماء نختار كلمتي (رجل) و (النسوة).

أ- رجل:

"معروف الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأة"²، يطلق الاسم للغلام إذا بلغ تمييزاً له، ويقال "رجلت المرأة إذا كانت مشبّهة بالرجل في بعض أحوالها"³، ويقول الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يُقَوْمُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝٢٠﴾⁴.

يقول "النابعة الذبياني" في ديوانه:⁵

¹ - المصدر نفسه، ص 191.

² - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ص 1596.

³ - الرّاعب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، ص 189.

⁴ - سورة يس، الآية 20.

⁵ - ديوان النابعة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص 97.

وَإِذَا يَعِضُّ تُشِدُّ أَعْضَاؤُهُ... عَضَّ الْكَبِيرُ مِنَ الرُّجَالِ الْأَدْرَدِ

يقول "سيدي الأخضر بن خلّوف" في قصيدة (لولا أنت):¹

أَبْعَدَنِي مِنْ قَوْمٍ غَابِطَةٍ فِي الْعِنَادِ... يَأْتُو بِوُجُوهِ مُكَبَّلِينَ رَجُلٌ وَأُدْمَةٌ

يدعو الشاعر ربّه النّجاة من العذاب يوم تكبّل الوجوه، وجوه الكفّار أجمعين رجلا وامرأة والشاهد في قوله (رجل) بكسر الجيم في العامية وضّمّها في الفصحى (رجل) ويريد بقوله (آدمّة): الأنثى أو المرأة تحديداً.

يقول في قصيدة (سيد المهاجرين وسيد الأنصار):²

بَعْضَ الرُّجَالِ غَفَلُوا وَكَثِيرَهُمْ رَجَحُوا... بِكَثِيرِ الصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِي الْبَشِيرِ

الشاهد في قوله (الرجال) بتخفيف الرّاء بخلاف الفصحى (الرّجال) بشدّ الرّاء وكسرهما، والمراد من كلمة (الرّجال) هنا جماعة المسلمين السّائرين على خطى الرّسول صلى الله عليه وسلم والمكثرين من الصّلاة عليه أثناء اللّيل والنّهار.

يقول في قصيدة (دقة الحب):³

عَمَّرَتْ أَحْمَالَ فِي هَوَى سَيِّدِ الرُّجَالِ... وَكُلَّ مِثْقَالَ تُوزِنُهُ الْأَجْبَالِي

وصف الشّاعر خاتم النّبیین والمرسلين بقوله (سيّد الرّجال)، كيف لا وهو سيّد رجال الدّنيا والآخرة، سيّد الأمّة قاطبة، سيّد المسلمين وسيّد النّبیین، حملت كلمة (رجال) دالتين متجاورتين:

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 70.

² - المصدر السابق، ص 87.

³ - المصدر نفسه، ص 106.

دلالة التّخصيص، ودلالة التّعميم، تخصّيص لكونه (سيّد الرّجال) وحده، لا ينافسه في هذا اللّقب أحد، ودلالة الشّمول والعموم في كون كلمة (رجال) جمعت رجال الدّنيا بأسرها، ما مات منهم ومن ما زال حيّاً.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (جف المداد):¹

بِحُرْمَةِ الْمَذَاهِبِ زَوَّلَ انْكَادِي... قَدَّمْتُ لَكَ رُجَالَ اللَّهِ الْاِخِيَارِ

المقصود (رجال الله)، التّائبين العابدين، من النّبیین وكلّ من اتّبع طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم، خصّت كلمة (رجال الله) جماعة معيّنة من الرّجال.

ب- النّسوة/النّساء:

من الفعل (نسا) أصله (نسو)، نقول "النّسوة والنّسوان والنّسون، كلّه جملة النّساء"²، مفرده: امرأة وليس لها جمع من واحدها³ على وزن فعلة وهو وزن من أوزان جموع القلّة، و "قيل إنّ النّساء جمع النّسوة، فهو جمع واحده اسم جمع"⁴، ويدلّ على جماعة النّساء البالغات، يقول "جرير" متغنّيًا بنساء (بني نمير):⁵

¹ - المصدر نفسه، ص 172.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 219.

³ - محمد ياس خضر الدّوري، دقائق الفروق اللّغوية في البيان القرآني، رسالة دكتوراه مخطوط، جامعة ابن رشد، بغداد، 2005م، ص 318.

⁴ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السّلام محمد هارون، مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، ج 2، ص 285.

⁵ - ديوان جرير، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، المجلّد الأوّل، ط 3، ص 820.

وَقَدْ جُلْتُ نِسَاءَ بُنِّي نَمِيرَ... وَمَا عَرَفْتُ أَنَامِلَهَا الْخِضَابَا

إِذَا حَلَّتْ نِسَاءَ بُنِّي نَمِيرَ... عَلَى تَبْرَأَكْ خَبَيْتِ التُّرَابَا

وفي قصيدة (محمد راحة العقاب) يقول "بن خلّوف"¹:

مَا وَلَدَتْ فِي النَّسَا مِثْلُ بِنْتٍ وَهَبَّ... وَأُمَّهُ مِنْ بَعْدَهَا حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ

جَادِجَةٌ فَابِزَةٌ عَلَى النَّسْوَةِ فِي الزَّيْنِ... أَوَّلَ مَا صَدَّقْتُ رَسُولَ اللَّهِ هِيَ

كلمة (النّسا) هي (النساء) في الفصحى، حذفت الهمزة تخفيفاً للنطق، وظّفت لمطلق التعبير عن جماعة الإناث، رمزت للعموم والشمول، ودلّت على جميع نساء العالمين، أمّا (النسوة) فجيء بها لتخصّ إناث معدودات أو نساء ذلك العصر الذي عاشت فيه خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (سيد المهاجرين وسيد الأنصار)²:

كُنَّ أَزْهَاتٌ يُمْنَةٌ بِوَلَدِهَا الْمُخْتَارِ... فَازَتْ عَلَى النَّسَا بِالشَّفِيعِ مُحَمَّدِ

إنّ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم هو شرف عظيم لوالدته أمينة بنت وهب وتميّز لها على نساء العالمين ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

2- ما دلّ على سنّه:

تنوّعت الكلمات الدالة على مراحل سنّ الإنسان منها: شوب صغرى، شبابي الشيخ وغيرها، أخذنا الشّاعر من خلالها في جولة لاسترجاع ذكريات سنون خلت أيام صباه وصغره وشبابه، ليصل

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 118.

² - المصدر السابق، ص 88.

إلى كهولته بعد أن صار عاجزا، ونلتمس نبرة حزن وألم في قصائده على الأيام الخوالي التي ضاعت كما قال سدي.

ويذكر "بن خلّوف" شيوخه ومعلميه، شاكرا صنيعهم، ومن هذه الأسماء اخترنا اسمين للدراسة:

أ- الشيب:

يطلق للدلالة على بياض الشعر نتيجة لتقدّم السنّ، من فعل شاب يشيب شيبا "ورجل أشيب وقوم شيب، ولا ينعت به المرأة، فلا ياقل امرأة شيباء: يقال شاب رأسها"¹ أو يقال امرأة شمطاء²، وكثيرا ما ألف العرب قصائدا في الشيب والشباب، ومن ذلك نذكر ما قاله "أبو تمام حبيب بن أوس الطائي" في ديوانه:³

فِيَا أَسْفِي أَسَفْتُ عَلَى شَبَابٍ... نَعَاهُ الشَّيْبُ وَالرَّأْسُ الخُضِيبُ
عَرَّيْتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكُنْتُ غُصْنًا... كَمَا يُعْرَى مِنَ الْوَرَقِ الْقُضِيبِ
فِيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا... فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ المَشِيبِ

إنّ المفهوم المتداول لكلمة (شيب) هو تقدّم السنّ، بيد أنّ بياض الشعر لا يرتبط بمرحلة من عمر الإنسان، فقد يشيب الرّجل وهو لا يزال في ريعان شبابه، يقال للرّجل "أول ما يظهر الشيب به: قد وخطه الشيب"⁴.

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط 2، ص 369.

² - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 502.

³ - أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، كتاب الوحشيات، تعليق: عبد العزيز اليماني الرّجكوتي، دار المعارف القاهرة، ط 3، ص 287.

⁴ - أبو منصور التّعالبي، كتاب فقه اللّغة وأسرار العربية، تعليق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 2، 2000م، ص 134.

ومن معاني كلمة (الشَّيب) في الديوان، ما دلّ على عضو من أعضاء جسم الإنسان (الشَّعر):
يقول "بن خلّوف" في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):¹

حَالُ حَالَتِي مُتَمَكِّنٌ وَالْقَلْبُ ذَابٌ... ظَهْرِي احْتَنَى وَشَيْبِي وَلَّى مَضْفُورٌ

يقصد بكلمة (شبي) شعره الذي طال حتّى ضفّره.

يقول في قصيدة (لو لا أنت):²

قَدَّرَ الشَّيْبُ اللَّيِّ كَانَ أَسْوَدُ غُرَابِي... تَتَبَدَّلُ الْأَنْوَارُ تَعُودُ مُتَلَوِّينَ

يحثنا الشاعر على الصلّاة على الرّسول عليه أزكى الصلّاة والتّسليم، عدد شعر رأسه الذي كان أسودا فاحما وأصبح أبيضاً.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (جف المداد):³

وَالْيَوْمُ عَادَ شَيْبِي شُهْبَةً مُجَرَّدَةً... مَا صَبَّتْ مَا نَدْرَفُ فَالْعَيْبُ الْوَادِي

عكست كلمة (الشَّيب) لون الشَّعر الأبيض الذي تخلّله سواد، وتعدّدت الكلمة مدلول اللّون، لتشير إلى شعر الإنسان بأكمله.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (بما في علمك القديم):

فَالْعَبْدُ الشَّايِبُ الْهَرِيمُ... كَبِيرُ السِّنِّ تَعْتِفُهُ وَصَيْفُ وَعَبْدُ

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص: 193.

² - المصدر نفسه، ص 68.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 170.

الشاهد في البيت (الشَّايِب) يريد به (أشيب) ليصوّر تقدّمه في السنّ وعجزه.

يقول في قصيدة (اختارك الواحد الأحد):

الشَّيْبُ لَا غِنَاهُ يَلْحَقُنِي... يَضْحَى الشَّبَابُ عَلَيَّ تَاتَا

(الشَّيْب) في العامية بكسر الياء، ويسكونها في الفصحى (الشَّيب)، يعني البيت لا مقرّ من الكبر الذي سيدركني لا محالة، ونشير هنا إلى تشبيه الشاعر الشَّباب ب (تاتا) أي الحرياء، لقدرتها على تغيير لونها والتحكّم فيه، أمّا إذا ابيضّ شعر الإنسان وشاب فلا خلاص لتبديله.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (لو لا أنت):

الحُكْمَةُ فِي الشَّيْبِ بَانٍ وَإِنْدَمَرُ شَبَابِي بِهِ إِشْتَرَيْتُ الْقَوْسَ قَلَّتْ لِلشَّيْخِ حِينًا

بلغه الكبر حتّى تقوّس ظهره وصار كالقوس ومضت أيام الشَّباب وانقضت.

وظّف الشاعر كلمة (الشَّيب) فيما سبق للدلالة على الكبر وتقدّم السنّ، عكست الكلمة مرحلة من مراحل سنّ الإنسان هي الكهولة، كما دلّت الكلمة على معنى حسّي هو العجز، قالت العرب "الشَّيب مجمع الأمراض"¹.

ب- صبي:

من الفعل صبا يصبو والاسم صبوة، إذا مال قلبه إلى شيء ما، و "الصّاد والباء والحرف المعتلّ" ثلاثة أصول صحيحة، الأوّل يدلّ على صغر السنّ والثاني ريح من الرّيح والثالث (الإمالة)²،

¹ - سعيد الخوري الشرتوبي اللبّاني، نجدة اليراع، المطبعة اللبنانيّة، 1905م، ج 1، ص 18.

² - أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 1، ص 331.

ويقال للجارية صبيّة جمعها صبايا، والصبيان للغلمان¹، يطلق للدلالة على مرحلة متقدمة من مراحل عمر الإنسان.

جاء في قصيدة (ألا وجه الحبيب غاب):²

مَنْ زَانَهُ بِالرِّسَالَةِ وَأَحْسَنَ بِهَا... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مُنْذُ كَانَ صَبِيًّا

الشاهد في قوله (صبي)، يصلي الشاعر على النبي عليه الصلاة والسلام منذ كان صبيًّا إلى أن بعث رسولا، ويوم البعث أيضا.

يعبر "بن خلّوف" بأسماء أخرى على صغر السنّ بقوله: (فاتا)، وصوابها (فتى) كما في قصيدة (بسم الله نبتدأ القصيدة):³

أَشْرَبْتُ وَأُعْطِيَ الْمَاءَ أَنَا فَاتَا حَرًّا... وَإِذَا شَطَّ الْقَلِيلِ عَنْهُمْ يَكْفِينِي

تداولت دواوين العرب كلمة (فتى) ومن ذلك قول "ليد بن أبي ربيعة" في ديوانه:⁴

أَجْرَعُ مِمَّا أَحَدَثَ الدَّهْرُ بِالْفَتَى... وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ الْقَوَارِعُ

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (ألا وجه الحبيب غاب):⁵

اللَّهُ الْحَدِّ غَبْتُ فِي مَرَجِهِ مِنْ دَيْرٍ... مَنْ شَهُوَ الصِّغَرِ قَرَبْتُ عُقُوبَتُهَا

¹ أبو عمرو الشيباني، كتاب المجيم، تح: إبراهيم الأنباري، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، القاهرة، 1974م، ج 6، ص 172.

² ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 112.

³ المصدر السابق، ص 120.

⁴ ديوان ليد بن أبي ربيعة، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 57.

⁵ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 110.

ويواصل قوله ناصحاً:¹

فِي أَيَّامِ الصِّغَرِ اجْتَنَبْتُ كُلَّ ذُنُوبٍ مَا يَزْرَعُ إِلَّا الصُّلَّاحَ مِنْ غَيْرِ اِفْسَادِهِ

الشاهد في البيتين: قوله (الصَّغَر) و (الصِّغَر)، دلّت الكلمتان على مرحلة النَّضج والبلوغ، وما بعدها إلى سنّ الكهولة، ويتحسّر الشاعر على صغره الذي قضاه في إرضاء شهواته بقوله: (الله الحد) التي تعكس الحسرة والحزن، والتأسّف وتعني (الله الواحد) في الفصحى.

عكست كلمة (الصَّغَر) مرحلة معيّنة من مراحل السنّ، وأشارت إلى دلالة محصورة في سنّ معيّن على خلاف كلمة (صبي) التي دلّت على الطّفولة.

إنّ الدلالة الإيحائية لكلمتي (الصَّغَر) و (الصِّغَر) تشير إلى الرشد والبلوغ والشباب.

المبحث الثالث: انتماؤه.

1- ما دلّ على الدين:

تنوّعت الألفاظ الدالة على الأديان في الديوان منها: مسلم، نصراني، يهودي، وغيرها، اکتفينا بدراسة اسم واحد (اليهود).

أ- اليهود:

اسم مشتقّ من الفعل الثلاثي هود، يهود، هودا "وسمّيت اليهود اشتقاقاً من هادوا أي تابوا، ويقال نسبوا إلى يهوذا، وهو أكبر ولد يعقوب، وحوّلت الدال إلى الدال حين عربت"²، وبالعودة إلى كتب التاريخ نقف على حقيقة الكلمة التي تعني "الانضمام لأقلية لها طقوسها وشعائرها ووظائفها

¹ - المصدر نفسه، ص 111.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 329.

التي تعزلها عن المجتمع، والتي لها وضع مختلف عن وضع الأغلبية...¹، وبفضل التسامح الديني، وحرية الأديان استطاع اليهود ممارسة "شعائر دينهم في حرية تامة، دون تدخل من الدولة"²، وأصبحت الكلمة متداولة مع "بداية العصر المسيحي للدلالة على الدين والشعب الذي يدين باليهودية"³، يقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٦٧﴾⁴.

ويقول "بن خلّوف" في قصيدة (الموت لا غنى تدركني):⁵

أَنَا سَمِعْتُ الْقَوْلَ بُوْدِي... جَمِيعَ الْيَهُودِ وَالْكَفَّارِ يَكُونُوا حَطَّابِ

ويواصل قوله:⁶

يُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ فِي الْحَيْنِ... تَمَّ الْيَهُودُ الْخِزْيَاءُ يُصَيِّرُوا جَدَّابِ

يشير البيت الأوّل إلى إقبال الشاعر لمجالسة العلماء والأئمّة، ويؤكد هذا قوله (سمعت القول بوذي) بمعنى أذني، ويجمع الكفّار ومن تبعهم في النار، خلافا للمسلمين الذين تدركهم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ويبقى اليهود بعيدين عن هذه الرحمة الواسعة، عبّر الشاعر عن ذلك بقوله (جدّاب) والجذبة هي المسافة البعيدة⁷ والانقطاع.

¹ - عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي؟، دار الشروق، القاهرة، ط 3، 2002م، ص 57.

² - مصطفى كمال عبد العليم و سيّد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق، الدار الثّامية، بيروت، ط 1، 1995م

³ - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الدّيانة اليهودية، دار قباء، القاهرة، ط 1، 1998م، ص 41.

⁴ - سورة آل عمران، الآية 67.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 138.

⁶ - المصدر السابق، ص 139.

⁷ - المنجد في اللّغة، دار المشرق، ط 20، ص 83.

استعمل "بن خلّوف" كلمات أخرى للدلالة على مفهوم كلمة (اليهود)، يقول في قصيدة (لو لا أنت):¹

بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ... وَالْكَفُّ مَعَ الدُّفِّ وَالرَّبَابِ الْحَنِينِ

و (العبرانية) هي لغة اليهود واليهودية²، مشتقة من الجذر الثلاثي (عبر) بمعنى انتقل ورحل، "ويعتقد بعض الدارسين أنّ التسمية مأخوذ من عابر أحد أجداد إبراهيم عليه السلام".³

2- ما دلّ على النسب:

تنوّعت الأسماء الدالة على النسب في الديوان، منها: مكّي، زمزمي، هاشمي، مداني، وغيرها ومن هذه الأسماء اخترنا لفظ (العرب) للدراسة:

ب- العرب:

العرب العاربة: الصريح منهم، والأعاريب جماعة الأعراب⁴، والعرب خلاف العجم⁵، والاسم المشتق من الفعل الثلاثي عرب، عربا: فصح بعد لكنة.⁶

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 65.

² - بطرس البستاني، قطر المحيط، ص 1289.

³ - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ص 22.

⁴ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 123.

⁵ - علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تح: مصطفى السقا و حسين نصار، معهد مخطوطات الدولة

العربية، ط 1، ج 2، ص 90.

⁶ - المعجم الوسيط، ص 590.

حمل الاسم معنى الإبانة والإفصاح، والعرب "أمة من الناس سامية الأصل كام منشؤها شبه جزيرة العرب"¹، وجاء في نفس المعنى قول الشاعر "البهاء زهير" في ديوانه:²

وَمَا أَبْصَرْتُ أَحْمَقُ مِنْ...ه فِي عَجْمٍ وَلَا عُرْبٍ

دلّت كلمة (العرب) في الديوان على قبيلة العرب كما في قصيدة (بسم الله نبتداً قصيدة):³

مُحَمَّدُ سَيِّدُ الْعُرْبِ حَاتِمَ الْإِرْسَالِ... صَلَّى رَبِّيَّ عَلَيْهِ فِي كَمِّ آيَاتِهِ

ويقول أيضا في قصيدة (ابقاوا بالسلامة)، مودّعا أولاده:⁴

ابقاوا بِالسَّلَامَةِ يُعْظِمُ أَجْرَكُمْ... يَا هَيْبَةَ الْعُرْبِ بِالْكَلِمَةِ الْمَعْلُومَةِ

الشاهد في البيتين (العرب) وصوابها في الفصحى (العرب) بسكون الألف دون خفضها.

وفي قصيدة (لو لا أنت) يقول معبرا عن حبه سماع المديح بالدفّ والرّباب:⁵

بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ... وَالْكَفُّ مَعَ الدُّفِّ وَالرَّبَابِ الْحَنِينِ

يشير بكلمة (العربي) إلى اللغة العربية، أمّا العبرانية لغة اليهود القديمة، فلم يكن "بن خلّوف"

يعيرها اهتماما وإثما ذكرها ليؤكد أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم مذكور في جميع الأديان السماوية.

¹ - المصدر نفسه، ص 591.

² - ديوان البهاء زهير، تح: محمد طاهر الجبلاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 2، ص 40.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 124.

⁴ - المصدر نفسه، ص 190.

⁵ - المصدر السابق، ص 65.

يحمد الشاعر الله عزّ و جلّ حمدا كثيرا، ويصلّي على رسوله الكريم، معبّرا عن حزنه لفراق أهله وعشيرته وأصدقائه، يقول في قصيدة (لله الحمد زاد فيا):¹

يَا عَيْنِي مَا بَعَيْتُ تَحْزَنَ... كَيْفَ يَحْزَنَ شَاعِرَ الْعَرَبِي

وفي قصيدة (ألا وجه الحبيب غاب) يقول:²

سَعْدُهُ الْقَائِلُ اللَّيِّ يَقُولُ اللَّهُ اللَّهُ... وَالصَّلَاةُ عَلَى الشَّرِيفِ الْعَرَبِي

من البيتين تتضح دلالة (العربي)، التي تعني الرسول صلى الله عليه وسلم، عكس اللفظ شخصية بعينها هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

إنّ الأسماء الدالة على أعضاء جسم الإنسان والتي تمثل جنسه وسنّه وانتمائه، تترجم مفاهيم يدركها العقل المفكّر الذي يرتبط بالحواس الخمس، وإنّ لهذه الأخيرة دلالات كثيرة، نحاول الوقوف عندها، وتوضيحها في الفصل الموالي.

¹ - المصدر نفسه، ص 14.

² - المصدر نفسه، ص 112.

الفصل الثالث:

الأسماء الدالة على المحسوسات في ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف

المبحث الأول: ما دلّ على السّمع .

المبحث الثاني: ما دلّ على البصر .

المبحث الثالث: ما دلّ على الذّوق والشّم.

المبحث الأوّل: ما دلّ على السّمع

أ- تعريف السّمع:

السّمع حسّ الأذن، والسّمع مصدر سمع، يسمع، سمعا وسمعا وسماعا وسماعة وسماعية وسماعا، أي إدراك الصّوت بحاسّة الأذن، وهو إحدى الحواس الخمس الظّاهرة، وما يدرك يسمّى مسموعا، واشتقت العرب "من الأذن مفردات أوقعتها على معاني العلم والأعلام ونحوهما، وتوجيه ذلك أنّ عملها السّمع، هو سبيل الإنسان إلى العلم"¹، فحاسّة السّمع مكّملة لجهاز النّطق، ذات أهمية بالغة في عمليّة التّعلّم، و "يكفي التّدكّر بأنّ الأذن تستطيع أن تميّز بين أربعين ألف لحن مختلف في الشدّة والتّواتر"².

1- ما دلّ على أصوات الحزن:

أ- البكا/بكي:

أي البكا والبكى والبكاء، بالمدّ والقصر³، مصدر بكى يبكي، إذا صرخ من الحزن لمصابه، وقد يكون البكاء من كثرة الفرح، وفيه لغتان، جمع بينهما قول الشّاعر:⁴

بَكَتْ عَيْنِيَّ وَحَقُّ لَهَا بَكَاهَا... وَمَا يُغَيِّ البُكَاءَ وَلَا العَوِيلَ

¹ جبر يحيى، اللّغة والحواس نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة، نابلس، فلسطين، 1999م، ص 74.

² عدنان الشّريف، من علم الطبّ القرآني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م، ص 276.

³ ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 158.

⁴ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 1، ص 222.

وقال "الفرّاء" وغيره "إذا مددت أردت الصّوت الذي يكون مع البكاء، وإذا قصرت أردت الدموع وخروجها"¹، وقف "الزّاعب الأصفهاني" على الفرق بينهما وذهب أنّ البكاء بالمدّ سيلان الدّمع عن حزن وعويل، ويكون الصّوت فيه أغلب، وبالقصّر إذا كان الحزن أغلب...²

تكرّر اللفظ في ديوان "بن خلّوف" ثماني مرّات، منها ست مرّات مصدرا، ومرة اسم فاعل، وأخرى اسما مفردا.

وقصائد الدّيون مليئة بمعاني الحزن والخوف، لنفس خاشعة، خائفة من المصير، يقول الشّاعر في قصيدة (اختارك الواحد الأحد)³

نَبْكِي بَكِي الْغَرِيبُ أُمُوحَّدٌ... نَارِي اِقْدَاتِ فِي الْجَوْفِ بِغَيْرِ اِرْتَادِ

الشّاهد في قوله (بكي) الذي يحمل معاني الحزن العميق والألم الكبير، وقد يكون في صمت، فالبكاء هنا هو بكاء القلب الخاشع الذي يخشى عقاب الله تعالى، عكس اللفظ معاني الحسرة والحزن الكبيرين.

ويكون البكاء ممزوجا بالنّواح والآهات، عندما يتدكّر "بن خلّوف" ليلة الممات، يقول في نظم (الهارب قط ما ينام):⁴

يَا عَيْبِي لَا تُرْقِدِي نَوْحِي بِبِكَاءِ... وَافْتَكِرِي لَيْلَةَ الدِّفِينِ

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 337.

² - ينظر: الزّاعب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 58.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 77.

⁴ - المصدر نفسه، ص 153.

وفي قصيدة (شايين عشت لابد تندم):¹

شايين عَشْتْ لَابِدُ تَنْدُمٍ... لَوْ كَانَ كُنْتُ عَاقِلَ تَبْكِي بَكَكَ

الشاهد في البيتين قوله (بكاك) أي (بكاك) في البيت الثاني وفي الأول (ببكاك) ويعني سيلان الدمع مصحوبا بأصوات حزن ونحيب، وكان البكاء في البيتين بعد تدبر في الموت وما بعده من حساب، وعقاب، أوحى دلالة الكلمة إلى مراجعة النفس وما يكون من ندم وخشوع.

ويعبر الشاعر عن فقدان أحد الأفراد ببكاء العين أيضا، يقول في قصيدة (قصة مزگران):²

صمريل مَنِ الْبُكََا مَهْمُومٍ... قَالَ كَلَامٌ وَزَادُ لِيهِ الْمَا

ويقول في قصيدة (ابقاوا بالسلامة) واصفا حزن ابنته وبكائها لفقد والدها يقول:³

وَقْتًا نَمُوتُ بُنْتِي تَعْمَلُ بَكَايَةً... وَاَنَا فِي حَيْمَتِي مُتَقَبِّلُ مَطْرُوحٍ

الشاهد في قوله (بكاية) أي (باكية) بمعنى فاعلة من البكي وهو كثرة البكي والرثاء، ونفس

المعنى ما جاء في قصيدة (بسم الله بديت انزوم) في وصفه لبكاء الوالد بقتل ابنته المؤودة:⁴

جَلَسَ قُبَّالُهُ يَتَضَرَّعُ... بَاكِي بِالْتَّحْنَانِ

¹ - المصدر السابق، ص 176.

² - المصدر نفسه، ص 186.

³ - المصدر نفسه، ص 192.

⁴ - المصدر نفسه، ص 129.

والشاهد في قوله (باكي) بوزن فاعل، يبكي الأب على ابنته بكاء حارًا، عكست الكلمات: (البكا)، (بكاية)، (باكي)، حالة نفسية سيئة حزينة، جزاء فقدان أحد الأقارب أو المعارف، فالبكاء في هذه الأمثلة كان نتيجة حدوث أمر دنيوي هو مصيبة الموت، وما يصاحبه من كآبة وجزع وحزن.

2- ما دلّ على أصوات الفرح والطرب:

أ- الإنشاد:

نشد، ينشد، نشدة ونشدانا¹، والنشيد رفع الصّوت والناشد الطّالب²، ومن ذلك إنشاد الشّعر وهو رفع الصوت في النّظم بتلحين وإيقاع حسن، لقول "ابن زيدون":

أَرْجُ النَّدِيَّ مَتَى تَفُوزُ بِجَوَارِهِ... يَطْبُ الْحَدِيثُ وَيَعْبِقُ الْإِنْشَادُ

ويورد "بن خلّوف" لفظ (الإنشاد) مرّة واحدة في ديوانه، فيقول في نظم (ترغب المعين المبدئي):³

وَالْمُشَوِّقُ فِي الْإِنْشَادِ... تُحَرِّرُهُ مِنْ صَهَدَاتِ النَّارِ، يَا الْمُخْتَارِ

دلّت كلمة الإنشاد على ترديد "بن خلّوف" للشّعر بصوت عال وإيقاع جميل، تعبيرا عن جوّ الفرح في وسط الشّاعر.

ب- الانطراب/انطراب:

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 221.

² ابن منظور، لسان العرب، ج 48، ص 4421-4422.

³ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 149.

من الفعل طرب يطرب، والطرب هو الفرح والحزن، و "قيل خفة تعترى عند شدة الفرح أو الحزن والهَمّ وقيل حلول الفرح وذهاب الحزن".¹

ويستعمل تعبيرا عن الارتياح والنشاط والصوت الحسن الأداء الجيد في المعنى²، لقول الشاعر "امرؤ القيس":³

يُعْرِدُ بِالْأَسْحَارِ فِي كُلِّ سَدْفَةٍ... تَعْرُدُ مِيَا حِ النَّدَامَى الْمُطْرِبِ

يوظف "بن خلوف" في ديوانه كلمة (انطراب) مرتين، معبر بها عن سعادة المسلمين الصالحين بخيرات الجنة، للدلالة على بهجة هؤلاء، وسرورهم بما لاقوه من ربهم، مكافأة لهم لعملهم وصبرهم، يقول في نظم (الا وجه الحبيب غاب):⁴

فِي سُرُورٍ وَفَرَحٍ وَانْطِرَابٍ... وَوَجُوهُهُمْ نَائِرَةٌ كَأَلْسُنِمْسِ يَلَالُوهِ

وفي قصيدة (مقلب القلوب ربي) يصف فراق الميت لأهله وعشيرته، فبعد السرور والانطراب وملذات الدنيا، ينقلب حاله وحيدا مستأنسا بالتراب الذي يغطيه، يقول:⁵

يَتَبَدَّلُوا لِمَحَاسِنِ عَنِّي... بَعْدَ الطَّعَامِ وَالْمَاءِ وَالزَّهْوِ مَعَ الْانْطِرَابِ

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 29، ص 2649.

² - ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 553.

³ - ديوان امرؤ القيس، شرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 2004م، ص 75.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 113.

⁵ - المصدر نفسه، ص 139.

رمز لفظ (انطراب) في البيت الأوّل إلى السّعادة الخالدة لأهل النّعيم، ودلّت الكلمة على حالة الرّضى والفرح الأبدي الأخروي، أمّا في البيت الثّاني فأشار قوله: (الانطراب) إلى سرور وزهو دنيوي زائل، وعبر عن حالة عابرة.

3- ما دلّ على أصوات الخصام والعتاب:

أ- شتمي:

من الفعل الثلاثي الصّحيح شتم، شتم، شتما، ويعني قبيح الكلام، وليس فيه قذف وهو السبّ، والشّتم والكريه الوجه¹، والشّتام والشّتامه: السيء الخلق²، ويجرى الشّتم مجرى التّعظيم وما أشبهه بشيء قد استقرّ عند المخاطبين³، فيكون أكثر وقعا في النّفس.

ويعبر "بن خَلُوف" في قصيدة (يا كوثر اللبن) عن استيائه من عدوّه بقوله (شتمي) التي وردت مضافة إلى ياء المتكلم تخصيصا للمعنى، ذاكرا جميع من سغى لأشعاره بشيء من الفرح والسّرور، داعيا لهم بالرحمة، يقول:⁴

وَكُلٌّ مَنْ سَغَى لِلْمَدِيحِ فِي اقْرَانِي... شَتْمِي عَلَى الْعَدُوِّ وَالْحَبِيبِ رَاهَ فِي الدَّارِ

ب- الوبخ / التّوبخ:

أي الوبخ والتّوبخ، من الفعل (وَبَخَ)، "وَبَخَهُ: لامه وعدله والتّوبخ التّهديد والتّأنيب واللوم"⁵، لم يهتم "بن خَلُوف" بتوبخ عاذليه، قدر ما اهتم بتأنيب ضميره الذي طالما قاده لمراجعة نفسه ومحاسبتها، فوظّف لفظي (الوبخ) و (التّوبخ) بمعنى العذاب الذي يكون في الآخرة، يقول في نظم (جف المداد):⁶

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 51، ص 2194.

² - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 472.

³ - ينظر: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج 2، ص 70.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 99.

⁵ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 51، ص 4751.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 170.

خَوْفِيٍّ مِنْ الْوَبَّخِ يَوْمَ يَدَّعِي الدَّاعِي... كَمْ عَزِيْزٌ يَرْخَسُ فِي سُوْقِ الْهَانََةِ

وفي قصيدة (الهارب قط ماينام):¹

وَالطَّاعِيْنَ فِي دِيكِ الدَّارِ... غَيْرَ التَّوْبِيخِ وَالشَّعِيلِ

رمزت كلمتي (الوبخ) و (التوبيخ) إلى العذاب والعقاب والمحاسبة.

4- ما دلّ على الشعر:

أ- الأشعار:

أي الأشعار مفردة شعر وهو "منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية"²، وسمّوا البيت الواحد شعرا و "الشعر هو الكلام الموزون المقفى قصدا وفي اصطلاح المنطقيين: قول مؤلف من أمور تخيلية"³، ينظم في أغراض شتى كالممدح والرثاء والفخر والحماسة وغيرها، يقول "البارودي"⁴:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةٍ قَلَائِدِيٍّ... إِذَا قَلَّتْ شَعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا

وديوان "بن خلّوف" هو مجموعة أشعار، خصّها ممدح خاتم المرسلين عليه الصلّاة والسّلام،

يقول في قصيدة (صلوا وسلموا):⁵

¹ - المصدر السابق، ص 153.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 26، ص 2273.

³ - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 484.

⁴ - محمود سامي البارود، مختارات البارودي، تح: مجموعة من الباحثين، مراجعة: محمد مصطفى هدارة، مؤسّسة جائزة عبد

العزیز سعود البابطين، مصر، 1993م، ج 2، ص 28.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 133.

أُدْعِي لِي اللَّهُ يَا مَنْ سَغِيَتْ لِلْأَشْعَارِ... الْأَخْضَرُ طَالِبُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

وفي قصيدة (نرغب المعين المبدئي) يقول:¹

نَبِّغِي نُكَافِيَّ تَمْجِيدِي... قَالَ الْأَخْضَرُ نَاظِمُ الْأَشْعَارِ، يَا الْمُخْتَارِ

دلّت كلمة (الأشعار) على الكلام الموزون الذي نظمه "بن خلّوف"، وربّبه في قصائده منظومة، تكرر اللفظ في الديوان ثلاث مرات.

ب- نظامي/انظامي:

نظامي "نظم، ينظم، نظما ونظاما، وهو التّأليف²، ومنه نظمت الشّعر ونظّمته وهو قرض وترتيب الكلام الموزون المقفى، تكرّرت كلمتي (نظامي/انظامي) ثلاث مرّات في ديوان "بن خلّوف".

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (محمد خير الأنام):³

وَاجْعَلْ مِنْ عَسَلِهِ نِظَامِي... يَسْتَحِلَّاهُ كُلُّ فَامٍ

وفي نظم (ابقاوا بالسلامة) يقول:⁴

هَذِي وَصِيَّتِي لَا نَاقِصٌ لَا زَائِدَةٌ... لَا تَفَرَكْتُوا انْظَامِي لِئِي مَتْلُوفٍ

¹ - المصدر السابق، ص 152.

² - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 50، ص 4469.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 84.

⁴ - المصدر نفسه، ص 193.

كما سجّلنا قوله (النّظام) مرّتين في قصائده و (الناظم) وهو اسم فاعل مرّة واحدة و (المنظوم) هو اسم مفعول جاء ذكره مرّة واحدة، وتصبّ جميع معانيها في الدلالة على الشّعْر وقرضه.

5- ما دلّ على الشّكر والثناء:

أ- الحمد:

نقيض الذمّ و "يقال حمدته على فعله، ومنه المحمّدة خلاف المذمّة ، والحمد قد يكون شكرا للصّنيعة، ويكون ابتداء للثناء على الرّجل، فحمد الله: الثناء عليه ويكون شكرا لنعمه التي شملت الكلّ والحمد أعمّ من الشّكر"¹، يقول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾²، وهو ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنی.³

يحمد "بن خلّوف" الله جل جلاله كثيرا على نعمه التي لا تحصى، مكرّرا كلمة (الحمد) ستّ مرّات، منها خمس مرّات اسما معرّفا، ومرّة نكرة.

يقول في قصيدة (لله الحمد زاد فيا):⁴

لله الحَمْدَ زَادُ فَيَا... نَمْلُ حَمَلِي تَقِيلَ صَافِي زِيَانِي

وفي نظم (بسم الله نبتدا القصيدة) يقول:⁵

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 987.

² - سورة الفاتحة، الآية 02.

³ - ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، تح: مجموعة من الباحثين، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2001م، ج 1، ص 137.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 93.

⁵ - المصدر نفسه، ص 125.

الْحَمْدُ وَاجِبَةٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ... حَمْدًا مُبَارَكًا كَثِيرًا مُجَدِّدًا

ويقول في قصيدة (الهارب قط ما ينام):¹

الْحَمْدُ لِلَّهِ بِالْدَّوَامِ... وَاجِبُ الشُّكْرِ لِلَّذِي مَالِهِ ثَانِي

وفي دلالة (الحمد) إقرار واعتراف بمحامد الله جل جلاله على خلقه بما أنعم عليهم من النعم التي لا تعد ولا تحصى، فالشكر الكامل له تعالى.

ب- الشكر:

عرفان بالإحسان والجميل، ومقابلة النعمة بالقول والفعل والنية² فيثنى على المنعم بلسانه، ويذيب نفسه على طاعته ويعتقد أنه موليها ولا يكون إلا عن يد، بخلاف الحمد الذي يكون بها وبغيرها فهو أعم من الشكر وأشمل منه، يقول الله تعالى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ﴾³، وقوله أيضا: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾⁴، فتوفية الشكر لله جل جلاله أمر صعب وقليل حدوثه، فهم قليلون أولئك المبالغون في شكره تعالى المعترفون بفضله، وهو أمر تغافل عنه بعضهم وواجب حدوثه.

تكررت كلمة (الشكر)، في ديوان "بن خلُوف" أربع مرّات، منها ثلاث مرّات اسما مفردا معرّفا، ومرّة جمعا، يقول "بن خلُوف" في نظم (الا وجه الحبيب غاب):⁵

¹ - المصدر نفسه، ص 156.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 26، ص 2305.

³ - سورة الإنسان، الآية 09.

⁴ - سورة سبأ، الآية 13.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلُوف، ص 114.

تَضْمُنُ لِي جُمْلَةُ الْأَقْرَابِ... إِذَا نَشْكُرُ مَا وَاجِبُ الشُّكْرِ إِلَّا لَهُ

ويقول في قصيدة (سيد المهاجرين وسيد الأنصار):¹

سُلْطَانُ الرَّسْلِ لِيهِ وَاجِبَا الْأَشْكَارِ... إِسْمَعْ يَا صَدِيقَ مَنْ حَدِيثِهِمْ وَاسْلُذْ

عكست كلمة (الأشكار) في البيت الثاني معنى الثناء على صفات الرسول عليه الصلاة والسلام، وعلى فضله في تبليغه رسالة الإسلام، أما (الشكر) في البيت الأول هو عرفان بنعم الله تعالى ومبالغة في الثناء على جلالته عزّ و جلّ.

ويقول الشاعر في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):²

سَبْعِينَ عَامًا عَدَاهَا لِي شَاكِرٌ... جَارِيٌّ فِي خِدْمَتِي كُلَّ لَيْلَةٍ وَنَهَارٍ

الشاهد في قوله: (شاكِر)، اسم فاعل من الفعل (شكر)، والشكر هنا اعتراف بالجميل وخدمة المشكور عرفانا بإحسانه.

6- ما دلّ على أصوات الطبيعة:

أ- زمام:

"الزّزمة: الصّوت البعيد الذي يسمع له دويّا، وزمام النّار هي أصوات لهيها"³، وزمزم الأسد بمعنى: صوّت عاليا، والزّمام صوت الأمواج المتلاطمة في البحار.

¹ - المصدر نفسه، ص 88.

² - المصدر السابق، ص 192.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ج 21، ص 1866.

يقول "بن خَلُوف" في نظم (قدر ما في بحر الظلام):¹

مَعَ الْمَوْجَاتِ بِلا زَمَامٍ... وَعَدَدُ الرَّمْلَةِ وَالْأَحْجَارِ اللَّيِّ كائِينَ

ب- جَلْجَالِي:

الجلجال هو الصّوت الشّدِيد، وجلجل السّحاب والرّعد صوت في حرطة، وجلجل الفرس: صفا سهيله ولم يرق.²

يصف الشّاعر حبّه للرّسول عليه الصّلاة والسّلام، ويشبّه حاله بالغميم المجلجل والرّعد المزمم، يقول:³

يَا لايِم لَا تَلُوْمُ الْأَكْحَلِ بِالْجُهْرَةِ... إِذَا زَامَ الرَّعْدِ وَزَادَ غَيْمِهِ جَلْجَالِي

انتقلت دلالة كلمة (جلجالي) من التعبير عن صوت السّحاب والرّعد، إلى الدّلالة على حالة نفسية تعكس إحساس الشّاعر بالحبّ النّبوي الشّريف، والجامع بينهما الشّدّة والقوّة في الوقع والحدوث.

7- ما دلّ على أصوات الاستغفار والدّعاء:

أ- الدّعاء:

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 49.

² - ينظر: مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص 128.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 58.

دعا، دعوا ودعاء والاسم الدّعوة، يقال: دعا الله له بالخير ودعا عليه بالشرّ والدّعوى: اسم لما يدّعيه وتصلح أن تكون في معنى الدّعاء ودعا الرّجل دعوا ودعاء: ناداه، ودعوت فلان صحّت به واستدعيته، والدّعاة واحدة داعية وهو من يدعو النّاس إلى الدّين والهدى، أو البدعة والضلالة.¹

و "يقال في هذا الأمر دعوى ودعاوى أي مطالب... وتداعى البنيان تصدّع من جوانبه وأذن بالانهدام والسقوط، وتداعى الكئيب من الرّمْل إذا هيل فانّمال، وتداعى النّاس على فلان تألبوا عليه وتداعوا بالألقاب دعا بعضهم بعضا بذلك".²

يقول "تأبّط شراً":³

وما كنت أباً على الخُلِّ إذا دعا... وَلَا الْمَرْءُ يَدْعُونِي مَمَرًا مُدَاهِنًا

والدّعاء هو الاستعانة وطلب المعونة أيضاً، لقوله تعالى: ﴿دَعُوا اللَّهَ﴾.⁴

تكرّر لفظ (الدّعاء) في الدّيوان خمس مرّات: أربع مرّات اسماً معرّفاً، ومرّة نكرة.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (نرغب المعين المبدي) في هذا:⁵

بِجَاهِ عَاشُورَةَ وَالْعِيدِ... وَالِدُّعَاءُ فِي جَوْفِ الْأَسْحَارِ يَا الْمُخْتَارِ

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 16، ص 1386-1387.

² - أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، قاموس اللّغة، ج 2، ص 266.

³ - ديوان تأبّط شراً، تح: علي ذو الفقار شاكرا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1999م، ص 72.

⁴ - سورة يونس، الآية 22.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 149.

وفي نظم (دقة الحب) يقول:¹

الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ قَادِرٌ لَيْسَ تُحِيبُ... مَنِ ادَّعَاكَ تَسْتَجِبْ دَعْوَاهُ

والبيت القريب من معنى الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾²، حملت كلمة (دعواه) في البيت دلالة العبادة والطاعة.

ويتكرّر اسم الفاعل من الفعل (دعا) في ديوان "بن خلّوف" أربع مرّات، في قوله (الداعي)، يقول الشاعر في نظم (جفّ المداد):³

خَوْفِي مَنِ الْوَبَّخِ يَوْمَ يَدَّعِي الدَّاعِي... كَمْ عَزِيزُ يَرْخَسُ فِي سُوقِ الْهَانَةِ

ويقول أيضا في قصيدة (نبتدا الكلمة):⁴

إِذَا دَعَانِي الدَّاعِي فِي أُسُودِ غُبُطٍ... رَاحَتِي فِي الْمَاحِيِّ مُحَمَّدَ الشَّفِيعِ

والشاهد (الداعي) ترجم دلالة الدعوة إلى الحساب يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾⁵.

كما وظّف "بن خلّوف" نفس اللفظ بمعنى طلب حصول الخير، والتوسّل إلى الله تعالى في التماس الفضائل وحسن المصير والعواقب، يقول في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):⁶

¹ - المصدر نفسه، ص 104.

² - سورة غافر، الآية 60.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 170.

⁴ - المصدر نفسه، ص 162.

⁵ - سورة طه، الآية 108.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 193.

دَاعِي الْخَيْرِ لَكُمْ مَا دَامَتِ الْعَامِدَةُ... فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا بِيَدِكُمْ خَوْفٌ

ويقول أيضا في نظم (قدر ما في بحر الظلام):¹

قَدَّرَ الدَّاعِي وَالْمُدْعَى وَمَنْ هُوَ سَمِيعٌ

حملت الدلالة الإيحائية لكلمة (الداعي) معنى الرجاء والطلب بتضرع وتوسل لله جل جلاله، وعكس اللفظ معنى تمّي حصول الفعل.

ب- الاستغفار:

من الفعل غفر، يغفر عفرا، بمعنى ستر وكلّ شيء سترته فقد غفرته ومنه غفر الله ذنوبه: سترها²، والاستغفار ذكر الله تعال وشكره في نعمه الكثيرة، وهو الغفور الذي يغفر المعاصي والآثام، فيمحيها ويغطيها بقدرته الجليلة، يقول الله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾³، أي "اطلبوا عفوانه قولا وفعلا"⁴، ويطلب "بن خلّوف" في ديوانه من أهله ومحبيه الدعاء له بالمغفرة مدرجا لفظ (الاستغفار) مرّة واحدة.

يقول في نظم (سيد المهاجرين وسيد الأنصار):⁵

يَوْمًا مَمُوتٌ تَدْعُو لِي بِالِاسْتِغْفَارِ... وَبَعْدَهَا إِفْتَكْرُوا مَدَّاحَ مُحَمَّدٍ

¹ - المصدر نفسه، ص 49.

² - ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 656.

³ - سورة نوح، الآية 10.

⁴ - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1996م، ج 3، ص 167.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 89.

ضمّ لفظ (الاستغفار) في البيت طلب الرّحمة، والدّعاء بالخير لمن انقطع عمله، فالاستغفار هنا يكون بالرّجاء والتّوسّل لله عزّ و جلّ.

8- ما دلّ على أصوات الكلام والحديث:

أ- نقش المناقش:

نقشه ينقشه نقشا وانتقشه: نمنه فهو منقوش ونقشه تنقشا، والنقاش صانعه وحرفته النّقاش¹، والنّتش هو البحث والاستخراج، والنّقاش في الحديث والكلام، الاستقصاء في الحساب، والنّقاش في المسألة: البحث فيها.²

وظّف الشّاعر "بن خلّوف" المصدر (نقش) متبوعا باسم المفعول (المناقش) مرّة واحدة في ديوانه، لتوضيح معنى المجادلة وعملية الحوار وما يتخلّلها من أسئلة وأجوبة.

يقول في قصيدة (لو لا أنت):³

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 8، ص 4522.

² - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 946.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 66.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ قَدَّرَ نَقْشُ الْمُنَاقِشِ... يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ هَابِطِينَ وَطَالِعَ

الجواب : أي الجواب "رديد الكلام، تقول أساء سمعا، فأساء إجابة"¹، من الفعل أجاب يجيب، جوابا وجوابات، ولا يسمى جوابا إلا بعد طلب، واستجاب له إذا دعاه إلى شيء فأطاع²، كما في قول "قيس بن ذريح"³:

إِذَا نَادَى الْمُنَادِي بِاسْمِ لُبْنَى... عَيَّتْ فَمَا أُطِيقُ لَهُ جَوَابًا

ويقول "بن خلوف" في قصيدة (الموت لا غنى تدركني)، موظفا كلمة (الجواب) مرّة واحدة في ديوانه:⁴

هُمَا اثْنَيْنِ يَخْتَبِرُونِي... عَلَى الْقَوَاعِدِ الْمَفْرُوضَةِ نُعْطِي الْجَوَابَ

الشاهد في قوله (الجواب) الذي يقتضي قولاً مناسباً لسؤال كان قد طرح، ويكون الجواب هنا على القواعد المفروضة (الصلاة، الزكاة، الصوم...) عند حضور ملائكة السؤال بعد الموت.

9- ما دلّ على أصوات التوسّل والتضرّع:

أ- غياث المستغيثين:

غوث، غوثاه وغوثاه وغوثاه، والغوث طلب الإعانة والخلص ورجاء حصول الفرج، يقول "العامري"⁵:

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 272.

² - ينظر: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، قاموس اللّغة، ج 2، ص 156.

³ - ديوان قيس بن ذريح، شرح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، ص 75.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 140.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، ج 37، ص 3312.

بَعُثْكَ مَائِرًا فَلَبَّثْتُ حَوْلًا...مَتَى يَأْتِي عُوثُكَ مَنْ تُعِثُ

والاستغاثة طلب الغوث ممن يعين على دفع بليّة، ويقال في الشدّة للنصر، والله جل جلاله هو القادر على دفع جميع الموبقات والشّرور وهو غياث الرّاجين رحمته المتضرّعين له ينتظرون يسره، جاء اسم (المستغيثين) جمع مذكّر سالم، معرّفًا موظّفًا مرّة واحدة.

يقول "بن خَلُوف" في نظم (ألف استمثلوا كلامي):¹

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ قَدَّرَ حُرُوفُ الْعَيْنِ... غِيَاثُ الْمُسْتَعِيثِينَ رُؤُوفٌ وَرَحِيمٌ

10- ما دلّ على العلوم والمعارف:

أ- المنطق:

أي المنطق: "علم يبحث في قوانين التفكير التي ترمي إلى تمييز الصّواب من الخطأ، فينظم البرهنة ويقود إلى اليقين"²، والمنطق هو الكلام أيضا، "وعلم يعصم الدّهن من الخطأ في الفكر"³.

ب- البيان:

أي البيان هو "الفصاحة واللّسن، وكلام بيّن فصيح، والبيان الإفصاح مع ذكاء، والبيّن من الرّجال: الفصيح... السّمح اللّسان"⁴، والبيان المنطق الذي يعبر عمّا في النّفس.

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 62.

² - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 931.

³ - أحمد بن يوسف بن عبد الدّائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 3، ص 223.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 407.

يقول "بن خَلّوف" في قصيدة (لله الحمد زاد فيا):¹

الْمَنْطِقُ وَالْبَيَانُ وَرَدِّيُّ... لَيْسَ تَقَطُّعٌ وَلَيْسَ تَمُّعٌ

من علمي (المنطق والبيان) ينهل الشّاعر معاني نظمه، ويتدبّر في دلالات الذّكر الحكيم.

11- ما دلّ على الكتب السماوية:

أ- الفرقان:

كلام الله تعالى المنزّل على خاتم الرّسل، يفرّق القرآن بين الحقّ والباطل في الاعتقاد والكذب والصّدق في المقال، والصّالح والطّالح في الأعمال، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ٤٨﴾.²

يقول "بن خَلّوف" في قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة):³

صَاحِبُ التَّاجِ وَاللِّوَاءِ وَالْفُرْقَانَ

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلّوف، ص 95.

² - سورة الأنبياء، الآية 48.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلّوف، ص 119.

تكرّر اللفظ في نفس القصيدة عشرين مرّة، دلّت كلمة الفرقان للتفريق بين الحقّ والباطل الذي تجسّد في شخص الرّسول صلى الله عليه وسلم فهو الإمام العادل.

وفي نظم (ألف استمثلوا كلامي) يقول:¹

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ قَدَّرَ حُرُوفُ الصَّادِ... صَاحِبُ الْمُعْجِزَاتِ مِنْهَا الْفَرْقَانِ

دلّت كلمة (فرقان) في البيت على المعجزة الكبرى للنبي عليه الصّلاة والسّلام.

¹ - المصدر نفسه، ص 61.

المبحث الثاني: ما دلّ على البصر

1- تعريف البصر:

مصدر بصر يبصر مبصراً، وأبصره وتبصره: إذ أخبر بالذي وقعت عليه عيناه¹، والبصر حاسة الرؤية التي بها ندرك الأشياء ونشاهدها، والعضو المسؤول عنها هي العين و "يطلق على الجارحة تارة وعلى القوة التي فيها تارة أخرى"²، وجمع البصر أبصار والبصيرة بصائر، يقول الله عزّ و جل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ١٠٣﴾³، فمن أسمائه تعالى البصير الذي يشاهد الأشياء كلّها، ظاهرها وخافيتها، بغير جارحة والصفة التي ينكشف بها كمال النعوت المبصرات.

ويرى إخوان الصفاء أنّ البصر من مدركات الذات، وهي لا تدرك سوى الألوان والأشكال.⁴

إنّ أسماء البصر في ديوان "بن خلّوف" عددها كثير، بلغ مئة وخمسة وأربعين اسماً، اخترنا بعض

الأمثلة للدراسة:

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 290.

² - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 1، ص 195.

³ - سورة الأنعام، الآية 103.

⁴ - ينظر: فؤاد معصوم، إخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم، ص 196.

أ- النَّظْرُ:

من الفعل الثلاثي نظر ينظر نظرا ومنظرا ومنظرة، والنظر حسن العين¹، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْفَيْمَةِ﴾²، بمعنى لا يرحمهم ولا يعطف عليهم، فالنظر إلى كذا وكذا من نظر العين، ونظر القلب، وتحمل معنى التعطف³.

والنظر الرؤية وتوجيه البصر جهة المنظور، كما في قول "أبي النّوّاس"⁴:

يَا نَظْرَةَ سَاقَتْ إِلَى نَاطِرٍ... أَسْبَابُ مَا يَدْعُو إِلَى حَتْفِهِ

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (ألا وجه الحبيب غاب):⁵

يَوْمُ الْحِسَابِ وَالْعِقَابِ... لَا تُحَرِّمْنَا مِنَ النَّظْرِ فِيهِ قُبَالَةَ

وفي نفس القصيدة يقول:⁶

كَأَنَّهُ مَا حَضَرَ لَهُ شَبَابٌ... حَافِظَ الطَّرْفِ شُوفَ نَظْرِهِ وَأَحْوَالِهِ

الشّاهد في قوله (نظره) بمعنى غضيض البصر.

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 50، ص 4465.

² - سورة آل عمران، الآية 77.

³ - ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 237.

⁴ - أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القادري، مصارع العشاق، دار صادر، بيروت، المجلد الأول، ص 110.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 108.

⁶ - المصدر نفسه، ص 107.

ووظف الشاعر نفس اللفظ تعبيرا على التفكير وتقلب البصيرة، لإدراك حقائق الأمور، يقول في نظم (لله الحمد زاد فيا):¹

الزَّادُ مَعَكَ رَأَهُ ظَاهِرٌ... النَّظْرَةُ فِيكَ تَزِيدُ بَشْرًا

(النظرة) في البيت رؤية بالعين المجردة في إشراقه وجهه عليه الصلاة والسلام وتدبر في رسالته المحمدية الشريفة.

ب- الحاظي:

أي الحاظي، مفرد (لحظ)، لحظه يلحظه، لحظا، ولحظانا و "لحظ إليه: نظره بمؤخر عينه من أي جانبه كان، يمينا أو شمالا"²، واللحاظ مؤخر العين مما يلي الصدغ، وهذا الأخير خط ممدود إلى الأذن³، واللحظ طرف العين لقول الشاعرة "حمدة بنت زيان"⁴:

لَهَا لِحَظٌ تُرْقِدُهُ لِأَمْرٍ... وَذَاكَ الْأَمْرُ يُمْنِعُنِي رُقَادِي

ووظف "بن خلوف" كلمة (الحاظي) بمعنى (عيوني) مرتين في ديوانه، مرة جمعا وأخرى اسما مفردا، يقول في نظم (اختارك الواحد الأحد):⁵

فِي اللَّيْلِ مَا تَنَامِ الحَاطِي... مَا بَيْنَ سَابِقِينَ أَسْهَارَا

¹ - المصدر السابق، ص 95.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 44، ص 4007.

³ - ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 818.

⁴ - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من عصن الأندلس الرطيب، ج 4، ص 288.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 76.

إنّ الدلالة الإيحائية للفظ (الحاظي) في هذا المقام هي آلة للإبصار.

ج- ما دلّ على الألوان:

تعريف اللون:

إنّ ابتداء الكلمة العربية باللام، يدلّ على دخول شيء في شيء آخر، ممّا يوضّح تركيباً متداخلاً من عناصر عديدة تشكّل اللون وتظهر العنصر الغالب فيه فيسمّى به "فاللام والواو والتون كلمة واحدة، وهي سحنة الشيء: من ذلك اللون: لون الشيء كالحمرة والسواد"¹، واللون هو النوع والهيئة والضرب²، والتلون هو التغيّر والتبدّل من صورة لأخرى.

وألفاظ الألوان في اللغة العربية كثيرة، ويعبّر عن اللون الواحد بأسماء عديدة، وهو ما عرف في المصادر القديمة بإشباع اللون، أو تأكيده توضيحاً لأدقّ الفروق في ألوان البيئة المحيطة بنا.³ ويتربّع على مملكة الألوان، اللونان: الأبيض والأسود، وهما لونين متعاكسين، يرتبطان بالليل والنهار والظلمة والنور، لذلك كثر تداولهما في جميع الحضارات السابقة.

سود:

السّواد نقيض البياض، من الفعل ساد يسود وسود يسود واسود اسودادا واسودا اسويدادا، ويجوز أيضاً اسواد، والجمع سود وسودان وسوده: جعله أسود اللون⁴، وجعل العرب السيادة من

¹ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 223.

² - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 46، ص 4106.

³ - ينظر: أمل محمود عبد القادر أبو عون، اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة التجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م، ص 04.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، ج 24، ص 2141.

السّواد "قال الأحنف: السّود دمع السّواد، يريد أن يكون سيّداً من أتته السيّادة في حدّاته وسواد رأسه ولحيته، وقد يذهب بمعناه إلى سواد النّاس وعاقبتهم، يريد أن السّود يكون بتسويد العامّة".¹

والأسود من أكثر الألوان ارتباطاً بالإنسان، فهو لون العين والشّفاه، ولون الشّعر الأسود الفاحم، كما في قول "دريد الصّمة":²

فَمِنْ بَعْدَ فَضْلِ فِي شَبَابٍ وَقُوَّةٍ... وَرَأْسُ أَثِيثٍ حَالِكِ اللَّوْنِ مُسْوَدٍ

وتردّد استعمال اللون الأسود في الموروث الشعري عامّة، ودواوين الشعراء الجاهلين خاصّة، لتبليغ دلالات حسية، فكان لون الحزن والحداد، ورمزا للخبث والمكاره ودليلاً على قوّة الخيل والفرس، وعندما يمتزج اللون الأسود بالطّبيعة، يصبح اللّيل مصبغاً بمعاني همّ والخوف فيكون وصلة محاكاة بين الصّوت ودلالة اللفظ، "فيدلّ على الغموض والغوص في الأعماق؛ حيث الظلمة والعمّة، ولدلالة الأصوات فيه استشفّ من دلالة حدّة الدال واتّساع الواو"³، وسجّل تطابق بين اللون ومدلوله وذلك عائد لمعرفة العربي بإدراك سرّ اللون، فبرع "في استخدامه للتعبير عن البروز والعمق، وذلك بملاحظة اصطدام الضّوء بسطوح غير منتظمة تتماشى والتّباين اللّوني لتضاريس البيئة الصّحراوية، فبعض أجزاء هذه البيئة يظهر لامعا وبعضها يبقى مستورا في الظل".⁴

ووظّف لذلك عشرات الكلمات، فوصف السّواد بصفات ارتبطت به وحده، وقد يشاركه فيها غيره من الألوان، فلأسود القبيح قالوا: "سخام سخامي، وللأسود العظيم استخدموا: دحسان

¹ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1996م، ص 229.

² - ديوان دريد بن الصّمة، تح: عمر عبد الرّسول، دار المعارف، القاهرة، ص 03.

³ - أحمد عبد الله محمد حمدان، دلالات الألوان في شعر نزار القباني، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة التّجّاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2008م، ص 38.

⁴ - خلف خريشة، إيقاع اللون الأبيض في شعر بشر من أبي خاوم الأسدي، مجلّة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللّغة العربية وآدابها، ج 15، العدد 25، شوال 1423هـ، ص 856.

دحامس، دخشم، دخشماني، دخامش...¹، والأدعج والدغمان²، ومن الرجال الأسود الحالك والأدلم.³

لحقل الألوان حضور قويّ في ديوان "بن خَلُوف"، ذكرها على تنوعها مئة واثنين وأربعين مرّة، وقفنا عند اللون الأسود للدراسة.

يشغل اللون الأسود حيّزا كبيرا من شعر "بن خَلُوف"، بل يكاد يكون مهيمنا على قصائده، ويطغى على باقي الألوان، ذكره الشاعر بصورتين: إحداهما مباشرة، محققا ما فيه من صفات الحزن والتعاسة والحداد والعتمة والظلمة، بقوله: أسود، سود، سوداء وغيرها، مكرّرا ذلك ثلاث عشرة مرّة: يقول في نظم (أحسن ما يقال عندي):⁴

يَوْمُ الْعَطَشِ مَا فِيهِ وَرْدِي... وَوُجُوهُ الْكَفَّارِ سَوْدَاءِ

ومعنى البيت منتقى من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌُ﴾⁵، فالسواد في البيت هو سواد حسي لأهل الكفر، تمييزا لهم عن باقي الخلق، وهو كناية عن الكفر، ذلك أنّ وجه الكافر إنّما سؤد ليعكس ما في نفسه من خبث وكذب، ورمز اللون الأسود إلى كلّ صفة خبيثة في قول الشاعر في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):⁶

مسول القلب من سوادًا ومن حمرا... لا حقد ولا حسد من الغش زلاي

¹ - أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1997م، ص 45.

² - أبو عبيد القاسم بن سلام، الغريب المصنّف، ص 303.

³ - ينظر: ابن السكيت يعقوب بن إسحاق، كتاب الألفاظ، ص 153.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 45.

⁵ - سورة آل عمران، الآية 106.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 60.

ومن مواطن استخدام الأسود، ما استعمل في وصف الطين، يقول الشاعر في نظم (جف

المداد):¹

سَوَى الْجُلُوسِ يُحْرِقُ كَطِينِ السَّوَادَةِ... زَادَ الْحَطْبُ يُحْرِقُ كَصَهْدِ النَّارِ

(السَّوَادَةُ) هي (السُّودَاء) مؤنث (أسود) ، ويدلّ توظيف اللون الأسود في البيت على شدة العذاب، ونارا أعدت عدا للكافرين وقودها الطين التي قصد بها أهل جهنم، لأن أصل الإنسان من تراب، وفي نفس المعنى يقول نظم (محمد راحة العقاب):²

جَهَنَّمُ تَكُونُ مُظْلَمَةً سُودًا... يُضَحُّوا جَوَارَهَا رِصَاصِ

وعبر "بن خلوف" عن المبالغة في العذاب والألم معا، وشدة العقاب، فوصف العقارب بالسواد لضخامتهم وصلابتهم، وإحداثهم الخوف والفرع في النفوس، يقول في نظم (ألف استمثلوا كلامي):³

يَوْمُ الْخَوْضَاتِ وَالزَّلَازِلِ وَالْعَصْرِ... وَعَقَارِبِ سُودٍ فِي السَّفْرِ كَالْبَغَالِي

كما عكس اللون الشدة في الحزم لوصف ملائكة السؤال الشداد، يقول في نظم (الموت لا

تغنى تدركني):⁴

وَمَلَائِكَ السُّؤَالِ تَاتِينِي... يَتَكَدَّرُوا عَلَيَا بِوُجُوهِ سُودَا غُضَابِ

¹ - المصدر السابق، ص 71.

² - المصدر نفسه، ص 117.

³ - المصدر نفسه، ص 59.

⁴ - المصدر نفسه، ص 140.

ويقول أيضا في قصيدة (نبتدا الكلمة):¹

إِذَا دَعَايَ الدَّاعِي فِي أُسُودِ غُبُطٍ... رَاحَتِي فِي المَاحِي مُحَمَّدَ الشَّفِيعِ

والصورة الثانية هي ذكره للون الأسود بصفة غير مباشرة، وإنما بحضور قرينة تحيلنا على اللون المطلوب، فنستحضره في أذهاننا ونرسم له صورة العتمة والسواد الحالك:

الغرابي/غرابي:

الغراب طائر معروف أسود اللون، يطلق عليه "ابن دأية"، لأنه يسقط على دأية البعير، فينقرها حتى يعقرها"²، والدأية منطقة في ظهر البعير.

استقطب هذا الطائر اهتمام الأدباء في لونه وصوته، فقالوا أنه "ينعق بين الأحباب بتفريق الأقربا وينوح نوح المصاب، ويوح ما يجيد من ألم العذاب، وقد لبس من الحداد جلبابا ورضى من بين العباد بتسويد الثياب..."³.

ويقول "الحسن بن وهب" في وصف تقلب السماء وتلبدها، مشبها إياها بالغراب في سواده:⁴

¹ - المصدر السابق، ص 162.

² - عبد الله بن مسلم بن قتيبة، كتاب الجرائيم، تح: محمد جاسم الحميدي، قدمه: مسعود بوبو، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1997م، ج 2، ص 293.

³ - عزّ الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي، كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار، صححه: يوسف البيودورس غرسين، دار الطباعة السلطانية، 1821م، ص 82.

⁴ - حامد كمال عبد الله حسين العربي، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دار المعالي، عمان، الأردن، ط 2002م، ص

فَتَرَى السَّمَاءَ إِذَا أُجِدُّ رَبَابَهَا... فَكَأَنَّهَا إِتْحَفَتْ جَنَاحُ غُرَابٍ

وكان الغراب رمزا للفراق والتشاؤم والحداد، نتيجة تناقل ثقافي من عصور عديدة، لذلك ما أثبتته الدراسات الحديثة¹، ومن درجة اهتمام الأدباء له أن خصّوا له أسماء عديدة، فعرف بالأعرج والأعور والقهر.²

يذكر "بن خلوف" (الغراب) في ديوانه سبع مرّات، كعلامة لونية ترمز للجمال والشباب، ومن ذلك قوله في قصيدة (جفّ المداد) واصفا جمال شعره وشدة سواده أيام شبابه:³

بَعْدَ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ رَأَى كَسَائِنِي الْبَيَاضِ... بِالنُّورِ وَالذَّنَسِ يَا لَأَهْيَ عَنْ رَاهِبٍ

ويقول في نظم (لو لا أنت):⁴

قَدَّرَ الشَّيْبُ اللَّيِّ كَانَ أَسْوَدُ غُرَابِي... تَتَبَدَّلُ الْأَنْوَارُ تَعُودُ مُتَلَوِّنِينَ

ومن الملاحظ إدراج كلمة (غرابي) و (الغراب) التي تشير إلى طائر أسود معروف، محاولة منه للبحث عن صور تدلّ على شدة سواد هذا الشعر الفاحم الذي يترجم ميول الشاعر وإعجابهم به، وكرهه للشيب لما فيه من ضعف وإنذار بالموت.

¹ - ينظر: هيلة عبد الله السليم، التفاوض والتشاؤم وعلاقتها بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى عينة من طالبات الملك سعود، رسالة ماجستير (مخطوط)، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2006م، ص 170.

² - ينظر: قاسم أديب عرابي، الطير في تاج العروس للزبيدي، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1973م، ص 187-188.

³ - ديوان سيد الأخضر بن خلوف، ص 70.

⁴ - المصدر نفسه، ص 68.

هو خلاف النهار، فيه يرتاح الإنسان ويخلد للنوم ويمثل السكينة ولون الصمت والسكون والهدوء، وظفه "بن خلوف" أكثر من أربعين مرة في ديوانه، وضرب الشاعر بسواد الليل مثلاً للقوة، ذلك لما فيه من خطر غير متوقع، لذلك كان السواد رمزاً لاقتراب الأخطار في الأراضي والبساتين الموحشة، يقول في نظم (بسم الله نبتداً القصيدة):¹

إخْرَقَ جَبْرِيلَ سَقَفَهَا حَيْنًا يَا حَضْرَةَ... وَغَرَسُ فِي لَيْلِ سُودِهَا خَيْرَ الْبُسْتَانِ

والقوة المعبرة عنها بالسوار هنا هي قوة حفيّة ملائكية لسيدنا جبريل عليه السلام.

وفي قصيدة (أحسن ما يقال عندي) يوظف "بن خلوف" اللون الأسود ويمثل له بكلمة (الليل)، تعبيراً عن كثرة العدد، فهو الغطاء الذي ترتديه الطبيعة بعد زوال النهار، فيغطي الكون بأسره:²

قَدَّرَ نُجُومُ اللَّيْلِ الْأَظْلَم... وَالْأَمْطَارُ النَّازِلِينَا

الدّجى/الدّجا:

دجا، دجوا ودجوا: انتشر وانبسط، و "دجا الليل: ألبس كلّ شيء وغطاه".³

¹ - المصدر السابق، ص 123.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 41.

³ - عبد الله بن مسلم بن قتيبة، كتاب الجرائم، ج 1، ص 461.

ويوصف به على لفظه فيقال: ليلة دجى، وليال دجى¹، والدَّجى هو وقت الهدوء والسكينة، الذي يمنح للناس فرصة التأمل في الحياة، وتذكر مواقف سابقة، ومحاسبة النفس، والانعزال للعبادة والتدبر في خلقه تعالى، يقول "بن خلوف" في نظم (محمد خير الأنام):²

عَلِمَنِي فِي غَسِيقِ الدَّجَا... نُصَلِّي عَلَى نَبِيِّكَ

عبر (الدجى) عن الليل الطويل زمنه، وهي فترة كان يقضيها الشاعر في نظم أشعاره المادحة للرسول عليه الصلاة والسلام، يقول:³

طُولُ الدَّجَا فِي مَدِيحِهِ نَهْجِي... نَتَرَجَّى فِي الْحَبِيبِ وَفِي جَلِّ جَلَالُهُ

(الدجا) في البيت هو (الدجى) في الفصحى، أي سواد الليل وظلمته الحالكة.

زنج/ازناجه:

الزنج جيل من السود، يتميزون بالجلد الأسود والشعر المجعد والشفة الغليظة، استعار "بن خلوف" من بشرتهم السوداء وصفا لشدة سواد الحواجب، فالمراد بذكر هؤلاء القوم هو الوصول للون لا البحث عن خصائصهم.

يقول في نظم (ألا وجه الحبيب غاب):⁴

أَهْدَبَ الْأَشْعَارُ مُعْتَدِلَ مَرْبُوعِ الْقَدِّ... أَفْلُجُ الْأَسْنَانَ زِنَجَ الْحَوَاجِبِ وَالْأَرْمَاقِ

¹ ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 272.

² ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 84.

³ المصدر السابق، ص 104.

⁴ المصدر نفسه، ص 107.

وكحولة الشعر وسواده كما جاء في نظم (الموت لا غنى تدركني):¹

شَابُّ العِدَارِ بِكُثْرِ أَيَّامِي... نَزَلَ الرِّخْمَ وَطَارَ ازنَاجَهُ

والرَّخْمُ هو شدَّةُ بياضِ الشَّعرِ، رمزا للشَّيبِ والكِبَرِ بعد أن كان أسودا زنجبا أيامَ الشُّبابِ.

الأدهم:

السَّوادُ الشَّدِيدُ، يعبرُ به "بن خَلُوف" عن مرحلة ربيعِ العمرِ وقوَّةِ شبابه، مكرِّرا للفظِ أربعِ مرَّاتٍ في ديوانه، يقول في نظم (جفَّ المداد):²

زَمَانَ كَانَ لَوْنِي الأَدْهَمُ مَالَهُ صَدًّا... وَالْعَاصِمَةُ عَلَيَّ الدَّهْمَةُ مِنْهَا ثَارِي

العاصم في البيت "ملكة اجتناب المعاصي"³، توضيحا لاجتنابه الذنوب أيام صغره و
(صدا) هو (الصِّدَا) رمزا للمشيبي؛ حيث كان لون شعره أدهما لا يتخلله المشيب.

بحث "بن خَلُوف" في الطَّبِيعَةِ الغَنَاءِ على معالم اللُّونِ الأسودِ، فكان الغراب رمزا لشدَّةِ السَّوادِ، ليس في مملكة الحيوان وحدها وإنما في معجم الشَّاعر اللُّغوي أيضا، واللَّيلُ غطاءُ حالكٍ في سماءِ أشعاره، واستعار من الإنسان بشرتهم الرُّنجية اللُّونِ لبيان شدَّةِ سوادِ الشَّعرِ والحواجب.

كما وظَّفَ أسماءَ أخرى تصبُّ في نفس الحقلِ، كقوله: دَامَسَ والأَكْحَلَ والظَّلَامَ.

¹ - المصدر نفسه، ص 138.

² - المصدر السابق، ص 170.

³ - المصدر نفسه، ص 172.

وكثيرا ما يقابل اللون الأسود بنظيره الأبيض، ليدلّ بهما على وجود فرق كبير في كفتي الخير والشرّ، ميّز الحياة المحيطة بالشاعر، وسعيه الدائم لإحلال السعادة من خلال طلب الشفاعة والرحمة، والدعوة إلى التمسك برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما يدلّ على نزعة حزن وتشاؤم كبيرين في تصوير الخاتمة، وخوف من المصير المجهول، وفزع من العذاب والعقاب والآخرة.

لو كان ديوان "بن خلّوف" رسما ذا ألوان، لغلب عليه اللون الأسود الذي جسّد حالة اجتماعية، وضرورة نفسية، وبعدا دينيا عميقا، يفسّر بنظرة الشاعر السلبية للحياة والتخلّي عن ملذّات الدنيا بأكملها، وثورته على نفسه بمحاسبتها، وعدم رضاه على أعماله، مع وجود بياض متناثر تعبيرا عن فرحته بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحقيقه السلام الروحي مع نفسه، ويعود ذلك لطابع الوضع الذي ميّز شخصية الشاعر.

المبحث الثالث: ما دلّ على الذوق والشّم

1- ما دلّ على الذوق:

أ- تعريف الذوق:

مصدر "ذاق يذوق ذوقا ومذاقه ومذاقا وذواقا"¹، والذّواق والمذاق كلاهما مصدرين للفعل (ذاق) و "المذاق هو طعم الشّيء والذّواق هو المأكول والمشروب"²، والذّوق ذوقان: ذوق حسّي يدرك: باللسان، وذوق معنوي يتعلّق بأحوال النفس كالعذاب والخوف والسعادة وغيرها، ومّا جاء في هذا الباب، استعمال القرآن للفظ (ذاق) "بمشتقّاتها فعلا واسما ثلاث وستون مرّة، أغلبها في

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 79.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 17، ص 1026.

العذاب" ¹، يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِّزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ١٨٥﴾ ²، وتعبّر كلمة ذائقة في الآية الكريمة عن الموت النازل بالإنسان المتمكّن منه نهاية لمسار حياته.

وترتبط مادّة (ذوق) في الفلسفة الإسلامية والعلم الحديث بفعل الحاسة المسماة باسم فعلها³، وهكذا تناول الفلاسفة حاسة الدّوق، كونها "ملكة الحكم على الأعمال الفنية عن طريق الأحاسيس والتّجربة الشخصية، دون تقييد بقواعد معيّنة، وكثيرا ما تدخل في هذا الحكم ميول الفنّان وهواياته"⁴. ويرى إخوان الصّفاء أنّ وظيفة اللّسان الأساسية، هي تمييز الطّعوم المختلفة، وهي تسعة أنواع: "أولها الحلاوة الملائمة لمزاج اللّسان، والثاني المرارة المنافرة لمزاج اللّسان، والثالث الملوحة، والرّابع الدّسومة، والخامس الحموضة، والسادس الحرافة، والسابع العفوصة، والثامن العذوبة، والتاسع القبوضة، فإدراكها هو أن تتصل رطوبة هذه الطّعوم، برطوبة اللّسان فتمتزجان، فيعتبر مزاج اللّسان بحسب ذلك الطّعم إن كان حلو فحلو وإن كان مرّ فمرّ"⁵.

¹ - جنان منصور كاظم الجبوري، التطوّر الدلالي للألفاظ في النصّ القرآني (دراسة بلاغية)، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، رسالة دكتوراه (مخطوط)، 2005م، ص 129.

² - سورة آل عمران، الآية 185.

³ - ينظر: سهام محمد أحمد الأسمر، ألفاظ العقل والجوارح في القرآن لدراسة إحصائية، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة التّجاح الوطنية، فلسطين، 2007م، ص 23.

⁴ - مجمع اللّغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م، ص 89.

⁵ - إخوان الصّفاء، رسالة إخوان الصّفاء وخلان الوفاء، دار صادر، بيروت، 1957م، ج 2، ص 407.

ويطلق ميل النفس الإنسانية إلى بعض الأمور ذوقاً، كتذوق القراءة والشعر، وتذوق الراحة والاستجمام وغيرها، وقد تتطلب بعض أمور الحياة سعة بال واسعة، وتجربتها فيه من المراتب الكثير، وجب قوة احتمال بالغة وهذا ما يدعونه "الصبر"¹.

إن أسماء الذوق في ديوان "بن خلوف" عددها كثير، بلغ ثلاث مئة اسماً، قسّمناها كما يلي:

ما دلّ على الثمر:

أ- الزيتون:

الزيتون في الفصحى "اسم جنس واحد زيتونة، كقمح وقمحة، والزيت عصارته، يقال: زات طعامه ورأسه، أي مسّهما الزيت"²، والزيتون شجرة مثمرة دائمة الخضرة، تحمل أوراقاً بسيطة متقابلة ومتعامدة طويلة³، تجنى ثماره في فصل الخريف وتؤكل بعد وضعها في الملح مدّة، للتخلص من مرورتها، وتنقع في الماء، كما يستخلص منها الزيت، ويستفاد من النواة والأوراق أيضاً في العديد من الاستخدامات الطبية، والزيتون شجرة مباركة قد تعمّر أزيد من ألف عام، ومن "عجيب خواصّها أنّها تصبر عن الماء طويلاً، وأنّه لا دخان لحشبها ودهنها"⁴.

¹ - ينظر: يحيى عثمان جبر، اللغة والحواس، مجلّة رسالة الخليج، مكتب التربية العربي لدول مجلس التعاون الخليجي، العدد 145، ص 177-178.

² - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 2، ص 155.

³ - ينظر: عبد الباسط محمد سيد و عبد التّوّاب عبد الله حسين، الموسوعة الأم للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية، دار ألفاء، ط 1، 2004م، ص 438.

⁴ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، ط 2، 1996م، ص 260.

أقسم الله تعالى بها في القرآن الكريم، لقوله: ﴿وَالزَّيْتُونَ ۝١﴾¹، وقيل الجبل الذي تنبت فيه²، ويقول الشاعر "ابن وكيع" في وصفه:³

أَنْظُرُ إِلَى زَيْتُونِنَا... فِيهِ شِفَاءَ الْمُهَجِّ

والأهم في هذا المقام هو طعم الزيتون الذي يكون طعمه مرًا، ويطيبه الإنسان لغرض الاستهلاك.

ذكر الزيتون في ديوان "بن خلوف" مرتين، يقول في قصيدة (الهارب قط ما ينام):⁴

لَا تَحْسَبْهَا كَالْأَرَامِ... ذَاتُ الْعِمَادِ صَنَعَهَا الْعَبْدُ الْفَانِي
أَوْ بَلَدَةُ الْأَرْضِ كَالشَّوَامِ... زَيْتُونُ الْقِسْمِ جَا فِي أَطْرَافِ الْبُنْيَانِ

المراد بالزيتون في البيت ثماره، و (زيتون القسم) هي قسمة الله تعالى ومشيبته، وثمار كل شيء نتيجته⁵، فكأنه قدر للأشجار التي غرست في أطراف قصور مدينة إرم ذات العماد، وزينت بأصناف الثمار كلها، أن تثمر زيتونا مرًا مرارة الفاجعة التي حلت بشذاذ ومن تبعه.

دلّت كلمة (زيتون) في البيت على سوء الخاتمة ونهاية مأساوية، تجرّع مرارتها أولئك القوم.

وفي قصيدة (قدر ما في بحر الظلام) يقول "بن خلوف":⁶

¹ - سورة التين، الآية 01.

² - ينظر: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع عشر، ص 395.

³ - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 11، ص 89.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 156.

⁵ - ينظر: ابن الوردي، منافع الثبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والزياحين، ص 37.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 53.

وَعَدَدُ الزَّيْتُونِ وَمَا خَرَجَ مِنْ إِصْلَاحِ

و (الزيتون) في البيت هو ثمار الشجر المعروف الذي يتكوّن وينضج بإذن الله تعالى، ويتدبّر "بن خلّوف" في عظمة الخالق سبحانه، فذلك من آياته عزّ و جلّ.

ب- العنّاب:

والعنّاب كلّ سواء، واحدة عنّابة، وهو شجر شائك كثير الحمل، منه البرّي ومنه البستاني¹، يبلغ ارتفاعه ستّة أمتار، من فصيلة السدرية، يزرع في الشّرق الأوسط خاصّة، ويطلق العنّاب على ثمره أيضا، يشبه الزيتون في شكله، وهو أحمر اللّون، حلو المذاق، أجود أنواعه ما كان كبير الحجم، بارد الطّبع، معتدل في اليبوسة والرّطوبة.²

وصفه الشعراء وشبّهوه، فمن ذلك ما قاله "ابن القرطبية":

أَمَّا نَرَى شَجَرَةَ الْعُنَّابِ مُوقَّرَةً... بِكُلِّ أَحْمَرٍ لَمَاعٍ مِنَ الْخُزْرِ³

وَقَدْ تَدَلَّتْ بِهِ الْأَغْصَانُ مَائِلَةً... مِثْلُ الْعَثَاكِيلِ مِنْ صَدْرِ إِلَى عَجْزِ⁴

جاء ذكر ثمرة العنّاب في الديوان، مرّة واحدة في تصوير فني جميل، ففي يده الشّريفة عليه الصّلاة والسّلام حلاوة فاقت حلاوة العنّاب عطاء وليس ذوقا، هذه النّعمة التي صنعتها اليد، فأحسنّت وأبدعت خيرات ومعجزات، والحلاوة هي محبّة الرّسول صلى الله عليه وسلم التي تعتبر

¹ - ينظر: ابن الوردي، منافع التّبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والزّيّاحين، ص 37.

² - ينظر: شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب التّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 11، ص 95.

³ - المرجع نفسه، ج 11، ص 95.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 109.

أحد أركان الإيمان، والتلذذ بها ليس من أفعال اللسان وإنما هو من أفعال العقل الرَّاجح، والنفس السّوية التي تسعى إلى العيش في كنف الله ورعايته وفي ظلال السنّة النبوية الشريفة.

أطلقت كلمة (العنّاب) رمزا لحلاوة الإيمان وإشارة للعطاء والخيرات.

يقول "بن خَلُوف" في قصيدة (ألا وجه الحبيب غاب):¹

مِنْ كَفِّهِ الْمَسْكَ وَالْعُنَّابَ... وَشُعَاعُ الشَّمْسِ مِنْ جَبِينِهِ يَتَلَالُو

ما دلّ على الشّراب:

أ- الخمر:

من الفعل الثلاثي (خمر)، "خمرت العجين أخمره وأخمره، إذا جعلته خميرا"²، و "خامر المكان وخمره: إذا لم يبرحه، وخامر الشيء دخل فيه وخالطه، ويقال خمرت الرّجل أخمره: استحيت منه، ودخل في خمار النّاس وخمار النّاس وخمر النّاس"³، بمعنى جماعتهم.

والخمر هو الشّراب المسكّر المتّخذ من عصر العنب، يغلى ويعدّل، فيكسب لونا خمريًا، وهو محرّم شرعا "وقد جاء في كتب الحديث أنّه لما أنزل تحريم الخمر، عمد النّاس إلى الجرار والمهاريس فكسّروها، فجرت الخمر في سكك المدينة، وفي هذا إشارة إلى صناعة العرب للخمر، وللأشربة المسكّرة، واستعمالهم لمختلف أواني الانتباز"⁴، ووفرتها بينهم.

¹ - المرجع السابق، ص 109

² - أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، المنتخب من غريب كلام العرب، ج 2، ص 553.

³ - المرجع نفسه، ج 1، ص 231-395.

⁴ - بابة حسين حيدر، الخمر في الحياة الجاهلية وفي الشّعور الجاهلي، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الأمريكية، بيروت،

1986م، ص المقدمة (أ).

والخمر اسم جامع وأكثر ما سواه صفات، كالشَّمول، والرَّحيف، والمشموله¹، والمدامة و
 "إنَّما قيل لشارب الخمر نديم، من الندامة، لأنَّ الرِّجل معاقر الكأس إذا سكر تكلم بما يندم عليه
 وفعل ما يندم عليه"².

ويسمونها بعضهم (الاثم) لقول الشاعر³:

شَرَبَتِ الْإِثْمَ حَتَّى ضَاعَ عَقْلِي... كَذَاكَ الْإِثْمُ تُذْهِبُ بِالْعُقُولِ

والخمر في الكيمياء هي "الأشربة التي بها كمية من الكحول، والكحول أو الغول في أصل
 اللُّغة العربية هو ما ينشأ عنه بعد شرب الخمر صداع وسكّر، لأنَّه يغتال العقل"⁴، ويستخرج من
 الزَّبيب ومن ماء العنب⁵، وقد يكون من الحبوب⁶، ويسبب للإنسان مضاعفات خطيرة في القلب
 والجهاز الهضمي والعصبي أيضا⁷، وفي ذلك تكمن الحكمة من تحريمه.

والخمر أكثر المشروبات ذكرا في دواوين العرب، فوقفوا على صفاتها وألوانها وروائحها وطعمها،
 ممَّا عكس جوُّ اللُّهو والعريضة في حياتهم، ومن ذلك قول "الحسن بن الضحَّاك":

1- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل التَّعالي، فقه اللُّغة وأسرار العربية، ص 296.
 2- شهاب الدِّين أحمد بن عبد الوهاب التَّويري، نهاية الأدب في فنون الأدب، ج 4، ص 81.
 3- عدنان الشَّريف، من علم الطبِّ القرآني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م
 4- فكري أحمد عكاز، الخمر في الفقه الإسلامي، شركة مكتبات عكاظ، المملكة العربية السَّعودية، ط 1، 1982م، ص
 30.
 5- أحمد فتحي بھنسي، الخمر والمخدرات في الإسلام، مؤسَّسة الخليج العربي، القاهرة، ط 1، 1989م، ص 10.
 6- ابن سيده اللُّغوي، المحكم والمحيط الأعظم، ج 5، ص 114.
 7- أحصى العلماء هذه المضاعفات الخطيرة للخمر، كضعف العضلات والتهاب المعدة وتخریب الدِّماغ، ينظر: سمير عبد الحليم،
 الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مكتبة الأحباب، بيروت، ط 1، 2000م، ص 110.

قَدْ حَنَّ الْمَحْمُورُ إِلَى حَمْرٍ... وَجَادُكَ الْغَيْثُ عَلَى قَدَّرٍ¹

هَاتِ الَّتِي يُعَرِّفُ وَجَدِيَّ بِهَا... وَآكِنُ بِهَا مَا شِئْتُ عَنِ الْخَمْرِ²

تكررت كلمة (الخمير) في ديوان "بن خلوف" مرتين، يقول الشاعر في نظم (الهارب قط ما

ينام):³

مَسْكٌ وَعَنْبَرٌ بِالتَّمَامِ... الْمَا وَالْخَمْرَ وَالْعَسَلَ وَاللَّبْنَ

ويقول في نظم (أو ياكراه علم شبيبي)⁴

وَعُيُونٌ لَهَا جَرَّاتٌ بِمُسُوكٍ وَكَافُورٍ... مِنَ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ وَالْخَمْرِ وَذِيَانِهَا

يتحدث "بن خلوف" في البيتين عن شراب الجنة الذي أعدّه الله تعالى للمتقين، فمنه اللبن والعسل والخمر، والخمر هنا هو خمر الجنة، أما خمر الدنيا فليس للشاعر به اهتمام، ولم يرد ذكره في الديوان، مما يعكس اتجاهه الديني، والبيئة المحافظة على تعاليم الدين التي عاش فيها "بن خلوف".

ومعنى البيتين مستوحى من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفُورَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾⁵، وخمر الجنة

¹ - السري بن أحمد الرفاء، المحبّ والمحبوب والمشموم والمشروب، ج 4، كتاب المشروب، ص 689.

² - المرجع نفسه، ج 4، كتاب المشروب، ص 689

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 155.

⁴ - المصدر السابق، ص 174.

⁵ - سورة محمد، الآية 15.

"ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل"¹، وهذا ما قصده "بن خلّوف" من توظيف كلمة الخمر أيضا.

ب- الماء:

أصله موه بالتحريك، لأنه يجمع على أمواه في القلّة، ومياه في الكثرة، مثل جمل وأجمال وجمال، والهمزة مبدلة من الهاء في موضع اللّام، تصغيره مويه²، وبالتصغير والتكثير تعرف أصول الأسماء.

والماء هو "جوهر لا لون له، وإّما يتكيّف بلون مقابله"³، وهو أحسن الأشربة أكثرها نفعا للإنسان، هبة الله تعالى للكائنات جميعا، وسرّ البقاء والوجود، ينزل من السحاب والغيوم بقدرة الجليل، ويحزّن في الأرض، ويشكّل منها ثلاثة أرباع سطحها "والمياه جمع الماء، وجمعه مع كونه جنسا للدلالة على اختلاف الأنواع"⁴، والماء هو المطر والعيون والأنهار والبحار والبرد والأدوية وغيرها، وله تسميات أيضا منها: الماء العذب، والمالح، والمعدني، الدّافق، الحميم والمعين والغائر⁵، أمّا ما صلح

¹ - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث عشر، ص 69.

² - ينظر: إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصحاح، ج 6، ص 2250.

³ - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 36، ص 507.

⁴ - محمد علي الشوكاني، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، تح: محمد صبحي بن حسن الحلاق، دار ابن الجوزي، بيروت، ط 1، 1427هـ، ج 1، ص 144.

⁵ - ينظر: فاطمة محمد عايد عبيدية، الماء في آيات القرآن الكريم، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة التّجّاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م، ص 11-13.

منه للاستهلاك فيسمى: الماء الشروب بلغة تميم، والماء الشرب بلغة أهل الحجاز¹، والشروب من الماء مثل الشرب، يطلق للذي يشرب منه على ما فيه من ملوحة يسيرة.²

ويستعمل لفظ (الماء) تعبيراً على معان عديدة، فيقال: ما أحسن ماء وجهه، بمعنى نضارته وبهائه، "ومدح أعرابي رجلاً فقال: (ذاك من شجر لا يخلق ثمرة ومن ماء لا يخاف كدره)"³، دلالة على مكارم الأخلاق والنبيل والائتمان، وهذه الكلمة حضور قوي في دواوين العرب ومؤلفاتهم، تقول "عائكة المرية" في وصف الماء:⁴

فَمَا طَعِمَ مَاءٍ أَيْ مَاءٍ تَقُولُهُ... تَحْدُرُ عَنْ غِرِّ طُؤَالِ الدَّوَائِبِ

أمّا الماء في ديوان "بن خلوف"، فتوسّعت دلالاته وتلوّنت معانيه، بين الشراب والبحر والدموع والعذاب، والرّحمة والرّزق، والأصل، وتكرّر لفظ الماء في الديوان كلّ أربع وعشرون مرّة، منها ثلاث وعشرون مفرداً، ومرّة واحدة جمعاً.

وقفنا على بعض معاني هذه الكلمة، يقول الشاعر في قصيدة (بسم الله نبتداً القصيدة):⁵

أَنَا فِي أَرْضِ القِفَارِ عُنْدِي المَاءِ مُحْجُوزٌ... يَخْشَى عَنِّي نَمُوتُ عَطْشَانَا يَا سَيِّدَ

¹ - ينظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تعليق وتصحيح: محمد جاد المولى بك و علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط 3، ج 2، ص 277.

² - ينظر: أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، كتاب الأضداد في كلام العرب، تح: عزة حسن، دار طلائع للدراسات والترجمة، دمشق، ط 2، 1996م، ص 249.

³ - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، المجتبي، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آبادا لكن، الهند، 1342هـ، ص 68.

⁴ - أبو اسحاق إبراهيم بن علي الحصري، زهرة الآداب وثمر الألباب، تح: صلاح الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، 2001م، المجلد الأول، ص 228.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 120.

ويواصل قوله:¹

أَشْرَبْتُ وَأُعْطِي الْمَاءَ أَنَا فَاتَا حَرًّا... وَإِذَا شَطَّ الْقَلِيلِ عَنْهُمْ يَكْفِينِي

ويقول في نظم (أحسن ما يقال عندي):²

يَوْمُ الْعَطَشِ مَا فِيهِ وَرْدِي... وَوُجُوهُ الْكَفَّارِ سَوْدَاءَ

الشَّاهد في البيت، قوله (ما) بمدّ الألف وتخفيف الهمزة، ميولا لسهولة النطق، وهو (الماء) في الفصحى، يصف الشاعر حاله يوم الحساب الذي سمّاه (يوم العطش) وقد وجد نصيبه من الماء، وفي ذلك إشارة إلى حسن خاتمته، لأنّ الماء المشار إليه في البيت هو الموجود في الجنة للمؤمنين، لقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۖ﴾³.

ويوظف المفردة للدلالة على شراب أهل الجنة تحديدا، يقول في نظم (الهارب قط ما ينام):⁴

مَسْنُكٌ وَعَنْبَرٌ بِالتَّمَامِ... الْمَا وَالْخَمْرُ وَالْعَسَلُ وَاللَّبَنُ

كلمة (الما) في البيتين رمز للنعيم.

وفي نظم (مقلب القلوب ربي) يقول:⁵

نَبَّهَنِي لِلْمَدِيحِ سَيِّدِي... وَسَقَانِي مَاهَ كَاسٍ طَيِّبٍ

¹ - المصدر نفسه، ص 120.

² - المصدر نفسه، ص 120.

³ - سورة الإنسان، الآية 06.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 158.

⁵ - المصدر السابق، ص 136.

(ماه) أي (ماؤه) ، دلّت الكلمة على محبة الشاعر للرسول عليه الصلاة والسلام، تلك التي تتلذذ "بن خلُوف" بمذاقها، فسرت في نفسه، وجرت مجرى الروح، فكان أن خطت أنامله أشعارا مادحة.

وفي قصيدة (الموت لا غنى تدركني) يقول:¹

إِذَا صَفَّاتِ رُوحِي مَيِّ... بِالْمَا يَغْسِلُونِي وَيُلْقُوا عَنِّي الثِّيَاب

(الما) في البيت هو الغسل المفروض، لجريان الماء في البدن بنية الدفن.

وكما مثل الماء النعيم والرحمة، يجسد العذاب والعقاب أيضا، يقول الشاعر في قصيدة (الهارب

قط ما ينام):²

الشَّمْسُ تَكُونُ فِي الرَّؤُوسِ وَالْمَا عَلَيَانُ... وَالْمَحْلُوقَاتُ بَارِزِينَ

(الما) في البيت هو ماء الحميم الموجود في النار، المخصّص للعذاب، المغلى بدرجة عالية، يقول

الله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ٦١﴾.³

يقول "بن خلُوف" في قصيدة (أويا كراه علم شيبي):⁴

مِيَاهُ عَامٍ وَهُوَ يَبْنِي فِي الْأَسَاسِ... وَمِيَاهُ عَامٍ يُجْلِبُ الْمِيَاهُ التَّامَّةَ

¹ - المصدر نفسه، ص 139.

² - المصدر نفسه، ص 154.

³ - سورة محمد، الآية 15.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلُوف، ص 174.

يحكي الشاعر عن قصّة "شَدّاد بن عاد"، صاحب مدينة إرم ذات العماد في نظم قصصي، ساق معانيه من الذّكر الحكيم، و (المياه) في البيت هي كنوز الذهب والفضّة والجواهر، وكلّ ما جمعه "شَدّاد" من المعادن النفيسة، جاء لفظ (المياه) اسما بصيغة الجمع، تعبيرا عن كثرة الياقوت والمرجان والتّفائس التي جمعت في ذلك الزّمن، واستغرقت العملية عشر سنين، وفي بناء مدينة اللؤلؤ ثلاثمائة سنة.¹

وفي (قصة مزغران) يقول:²

خَرَجُوا لَكَ خَرَجَ الشُّومِ... وانجلاوا مِنْ فَوْقَ وَجْهِ الْمَا

ويواصل قوله:³

ظَلَّ يَسِيرٌ بِعَسَاكِرِهِ وَالْقَوْمِ... فِي وَطَنِ مَتِيجا وَلَبَحَّ الْمَا

(الما) المذكور في البيت الأخير هو البحر، سبقت كلمة (الما) بلفظ (وجه) في البيت الأوّل، للتعبير عن ضفّة البحر تحديدا، ويشبّه الشاعر موت أحد قادة الإسبان بطائر يتخبّط احتضارا، حتّى يلقى حتفه ويبتلع البحر جثته:⁴

مَا رَفَرَفَ شَيْئًا بِالْجَنَاحِ يَقُومُ... حِينَ الْغَطِّ لَفْظُهُ غَطْسٌ فِي الْمَا

¹ - ينظر: شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب التّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص 57-59.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 182.

³ - المصدر نفسه، ص 183.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 187.

ويصف موقف أحد الجنود من موت زعيمه، وهو يبكي مهموماً، متلقظاً بكلام غير مفهوم من كثرة فزعه، والدموع تنهمر من خديّه، سمّاها "بن خَلُوف (الما) لكثرتها، فهي كالماء في انهماؤها، يقول:¹

صمريل من ألبكا مهموم... قال كلامٌ وزادُ ليه الما

يقول "بن خَلُوف" في نظم (لو لا أنت):²

وَالصَّلَاةُ عَلَيْكَ تَمْحِي بِهَا الذُّنُوبُ... كَيْفَ الْمَاءِ لِلثُّوبِ بِهِ مَطْهَرَيْنِ

والطّهارة التي يشير إليها الشاعر هي طهارة الرّوح من الذنوب والدنّاس، بالصلاة على الرّسول الكريم، والتّمسك برسالته الشريفة، فكما يطهر الماء الثوب والبدن والمكان، كذلك يفعل الذّكر الحكيم والسنة النبوية في الرّوح.

دلّت كلمة (الما) على الطّهارة والنّظافة.

يقول الشاعر في نظم (لله الحمد زاد فيا):³

مِنْ عُنْدِيٍّ مَا وَعَوَايَا... جَرَّبَتْ قَلُوبُهَا حَدِيدًا

عبّ الماء: شربه بلا تنفّس⁴، واليعبوب جمع يعايب، هو النّهر الشّديد الجري الكثير المياه⁵، شبّه مدحه باليعبوب الدائم الجريان، كذلك هو ديوان "بن خَلُوف"، تجري معانيه في سهولة ووضوح،

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 186.

² - المصدر نفسه، ص 67.

³ - المصدر نفسه، ص 94.

⁴ - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 579.

⁵ - ينظر: المنجد في اللّغة، ص 483.

وأغراض متجدّدة، فهي كالنّهر الفيّاض، يجد في قرضه يسرا ويلقى صدّا وإعراضا من عاذليه الذين شبّه قلوبهم بالحديد لقساوتها.

ما دلّ على الطّعم المرّ:

أ- المرّة:

المرّ نقيض الحلو، يقال مرّ عيشه وأمرّ عيشه، وما أمرّ فلان، وما أحلى¹، والميم والرّاء أصلان صحيحان، يدلّان على خلاف الطيّب، يقال: لقيت منه الأمرين، أي شدائد غير طيّبة، والأمران هما الهّم والمرض²، ويطلق مجازا على كلّ أمر عسير، وعلى جميع الأحوال النفسية التي تعتري الإنسان وتغيّر صفوه، من ذلك مرارة الدّهر التي تجرّعت الخنساء كؤوسها بموت أخيها صخر تقول:³

يَوْمًا بأوجد مُنِي يَوْمٌ فَارَقَنِي... صَخْرٌ وَلِلدَّهْرِ احلاء وامرار

ومرارة العيش التي يعاني "بن خلّوف" من طعمها، يقول في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):⁴

أُعْطِنِي الْحَرَمَ نَتْرَكَ الْعَيْشُ * الْمَرَّةَ... لَا مَالًا قَالَتِ الْعَرَبُ دُونَ وَصَالِي

(العيش المرّة) هي الحياة الصّعبة التي يشوبها المصائب والشّدائد، خالية من أواصر المحبّة، بنيت

صلة الرّحم فيها على جمع المال واللّهف وراء المصالح.

¹ ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 132-133.

² ينظر: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 5، ص 270.

³ ديوان الخنساء، شرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 2004م، ص 46.

⁴ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 59.

و (الحرم) هي الحرم في الفصحى و "حرم مكّة، ما أحاط بها إلى قريب من المواقيت التي يجرمون منها، مفصول بين الحلّ والحرم بمنى".¹

ومن حرس على الدنيا، دار الغرور عاش عيشة ضنكا، لقول الشاعر في قصيدة (بك طابت الأثمار):²

مِنْ حَرَسِ عَلَيَّ الدُّنْيَا دَارَ الْغُرُورِ حَايِر... وَمِنْ غُبُطٍ فِي الدُّنْيَا تَرَجُّعُ عَلَيْهِ مَرًّا

الشاهد في قوله (مرّا)، حذف التاء المربوطة وعوّضت بألف مدّ، حفاظا على القافية، أصل الكلمة (مرّة).

ومّا دلّ على المذاق المرّ، ما جاء في قصيدة (لو لا أنت):³

قَدَّرَ عَشُوبَ الحِنَطِ فِي السَّهْلِ وَالْحِدَابِ... المَرَّةُ وَالطَّيْبَةُ وَاللَّيِّ بِنِينَةَ

يتدبّر الشاعر في مخلوقات الله عزّ و جلّ جميعها، ما خلق في الأرض من حيوانات وأشجار وسهول وأعشاب، المرّة منها والطّيبة، وما وجد في السّماوات من نجوم وأفلاك وغيرها.

ب- كيسان مرار:

يدلّ اللفظ الأول على وسيلة محسوسة تستعمل للشرب، والثاني على حالة نفسية سيئة يعاني منها الإنسان، وتطلق الكلمتان معا تعبيرا على كأس معنوية، يراد بها الحرمان أو الألم، أو المرض أو الموت وجميع ضروب المكاره، منها ما قصده "المهلهل بن ربيعة":⁴

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 307.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 101.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 67.

⁴ - ديوان المهلهل بن ربيعة، شرحه: طلال حرب، الدار العالمية، ص 76.

وَسَقَيْتُ تَيْمَ اللَّاتِ كَأْسًا مَرَّةً... كَالنَّارِ شَبَّ وَقُوْدَهَا بِضِرَامِ

وما جاء في ديوان "بن خلوف"، فقد جعل العذاب سائلا يشرب في كؤوس، في قصيدة (نرغب المعين المبدئي):¹

وَالزَّائِرِينَ مَنْ جَلَسُوا عُنْدِي... مَا نَذَوْقُوا كَيْسَانَ مِرَارًا، يَا الْمُخْتَارِ²

ج- الحنظل:

أي الحنظل: نبات يمتد على الأرض كالبطيخ، ثمرته تشبه البرتقالة في حجمها ولونها، فيها لب شديد المرارة، يستعمل في الطب، يضرب المثل بمرارته كقول "جرير":³

أَعْيَاشٌ مَا تُعَيِّي قَفِيرَةٌ بَعْدَمَا... سَقَيْتُكَ سَمًّا فِي مِرَارَةِ حَنْظَلِ

وكان (الحنظل) شراب أهل النار، وسيلة لعذابهم وقهرهم، في قول "بن خلوف" في قصيدة (قصة مزگران):⁴

يَضْحَى قُوْتُ مَعَاشِهِمْ زَقُومٌ... شَرَبُوا الْحَنْظَلَ بَعْدَ طَيْبِ الْمَا

وردت الكلمة في الديوان كله مرة واحدة فقط، دلت على معنى حسي كشف معاناة الخالدين في عذاب الآخرة.

ما دل على الطعم الحلو والطيب:

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 150.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 150.

³ - محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، شرح ديوان جرير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط 1، 1353هـ، ص 458.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 186.

أ- السُّكُور:

السُّكُور: "الواحدة من السُّكَّر وهو من الحلوى"¹، مادة حلوة المذاق، تستخرج من عصير القصب، كما يوجد في بعض الفواكه كالعنب، وفي عسل النحل ورحيق الأزهار، والسُّكَّر لفظ فارسي، معرَّب من كلمة (شُكَّر) التُّركية، التي تعني ماء القصب الحلو.²

يشبّه الشَّاعر كلمات ديوانه وعذب معانيه بالسُّكَّر في حلاوته، والمراد من وراء ذلك انطراب السَّماع لقصائده، التي تترك في النَّفس وقعا جميلا أشبه بمذاق السُّكَّر الطَّيب الحلو، يقول "بن خَلُوف" في قصيدة (مقلب القلوب ربي):³

مَا أَحْلَاهُ بِالْمَدِيحِ هَادِي... أَحْلَا مِنْ السُّكُورِ وَعِنَب

ب- كأس طيِّب:

أي كأس طيِّب، الكأس وسيلة للشُّرب والطيِّب كلُّ ما تستلذه الحواس، ومن طيب العيش وطيِّب الحياة⁴، والطيِّب من الأشياء: أفضلها، ومن الطَّعوم: أطيِّبها، أضيفت كلمة (كأس) الدالة على الجماد إلى كلمة طيِّب، التي تعكس معنى حسِّي للتعبير عن جميع ضروب المستلذات والفضائل، وظَّفها الشَّاعر في ديوانه لتدلّ على المديح النَّبوي الذي ألهم بنظمه، فالكأس هنا هي كأس الحبِّ النَّبوي الشَّريف، يقول في قصيدة (مقلب القلوب ربي):⁵

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 260.

² - ينظر: ادى شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعرَّبة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1908م، ص 92.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 136.

⁴ - مجمع اللُّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 573.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 136.

نَبَّهَنِي لِلْمَدِيحِ سَيِّدِي... وَسَقَانِي مَاءَ كَأْسٍ طِيبٍ

ما دلّ على الطعم المالح:

أ- مالح:

من الفعل الثلاثي (ملح) "والمالحة المؤكلة، وإذا وصفت الشيء بما فيه من الملوحة قلت: سمك مالح وبقلة مالحه"¹، والملح ما يطيب به الطعام، و "الملح والملح خلاف العذب من الماء والجمع ملحا وملّاح وأملاح وملح"²، ويطلق على المادة التي تجعل ماء البحر طعما خاصا، وهو اسم مفرد وقد يذكر.³

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (أحسن ما يقال عندي):⁴

نَغْسِلُ فِي الزُّخَارِ جَسَدِي... صَافِي عَاذِبَ لَيْسَ مَالِحِ

الشّاهد في قوله (مالح) ، ينتقي "بن خلّوف" معاني تصبّ في صميم مواضيع ديوانه من التّهر الفيّاض الصّافي العذب -نهج الرّسول صلى الله عليه وسلم - ، وأراد بقوله: (الزخار) القرآن العظيم وسنة رسول الله الكريم، الذين فاضا بما فيهما من تعاليم الدين الإسلامي وما حويا من عبر ومواعظ كثيرة، والتّمسك بهما هو الصّفاء الذي لا يعتريه العكر.

ب- حبّات الملح:

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 163.

² - علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 3، ص 286.

³ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 883.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 46.

أي حَبّات الملح: واحدة حَبّة الملح و "الحبّ من الشّيء جزؤه، وحَبّات الملح أجزاءه الصّغيرة الكثيرة العدد، تشكّل في مجموعها مادّة الملح"¹، يضرب الشّاعر بها مثلاً لكثرة عددها، مصلياً على الرّسول صلى الله عليه وسلم، قدر حَبّاتها التي لا تحصى، يقول في قصيدة (قدر ما في بحر الظلام):²

وَعَدَدُ الْمَا وَالطَّعَامِ... وَحَبَّاتُ الْمِلْحِ وَمَا يَدُورُ بِالدَائِرِينَ

ما دلّ على الشّم:

أ- تعريف الشّم:

الشّم مصدر شممت بكسر الميم، لقولهم شممت الرّيحان³، و "العامة تفتحها، وتقول للذي تأمره (شم يدك) بفتح الشين والعامة تضمّها"⁴، والشّم حسّ الأنف وتحليل وإدراك للرّوائح، والفعل "شممته وأشمّه وشممته أشمّه شمّا وشميما وشممه واشتممته وشممته"⁵.

يطلع الإنسان على الهواء الذي يستنشقه، بفضل هذه الحاسة الحساسة، ويفرق بين دقائق الرّوائح التي تنبع من الأشياء، فالأنف هو آلة الشّم.

ما دلّ على طيب الرّوائح:

أ- عنبر:

¹ - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 151.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 153.

³ - ينظر: أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، ما تلحن فيه العائمة، تح: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1982م، ص 106.

⁴ - أبو الفرج عبد الرّحمن بن الجوزي، تقويم اللّسان، تح: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط 2، ص 126.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، ج 27، ص 2333.

"العنبر: ضرب من الطيب"¹، ويطلق على الزعفران²، ويتخذ العنبر من جلد سمكة بحرية، يستعمل للتطيب به، وجمعه "ابن جني" على عنابر³، وقد ينبع من صخور في قرار الأرض ومن عيون، وأجود أنواعه وأفضلها ما جمع من سواحل البحر وهو عذب الرائحة، حسن الجوهر.⁴

والعنبر الأشهب هو من النوع الممتاز، والشهبة لون بياض يتخلله سواد⁵، يقول الشاعر "المرار العدوي"⁶:

عَبَقَ الْعَنْبَرُ وَالْمَسْكُ بِهَا... فَهِيَ صَفْرَاءُ كَعُرْجُونِ الْقَمَرِ

تكررت كلمة (عنبر) في الديوان كله ثلاث مرّات، يقول "بن خلّوف" في قصيدة (الهارب قط ما ينام)⁷:

مَسْكٌ وَعَنْبَرٌ بِالتَّمَامِ... أَلْمَا وَالْحَمْرُ وَالْعَسَلُ وَاللَّبَنُ

وفي نظم (لله الحمد زاد فيا) يقول:⁸

يَسْتَنْشِقُ مِنْ عَبِيقِ عَنْبَرٍ... يُشْرِبُ مِنْ حَوْضِ الْحَوْرِ وَجُبًّا

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 233.

² - علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج 2، ص 328.

³ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 35، ص 3119-3120.

⁴ - ينظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 12، ص 10-13.

⁵ - المرجع السابق، ج 12، ص: 78

⁶ - السري بن أحمد الرفاء، الحبّ والمحجوب والمشموم والمشروب، كتاب المشموم، ج 3، ص 173.

⁷ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 155.

⁸ - المصدر نفسه، ص 93.

(عبيق عنبر) هي رائحة العنبر الزكية الفوّاحة، وظّف الشاعر كلمة (عنبر) في البيتين، ليرتقي بأدائها من شيء يتطيّب به في الاستخدام الدنيوي إلى استخدام أخروي لبيان فضل الله تعالى، وتكرمه لعباده الصّالحين، بمكافأهم بروائح عطرة لا يوجد لها مثيل في الدّنيا، فالعنبر المذكور في البيتين هو من طيب الآخرة، يختلف عمّا هو معروف في الدّنيا.

ويوظّف الكلمة بمعنى آخر في قصيدة (اختارك الواحد الأحد):¹

مَمْدُحٌ عَلَيَّ فَرَأْسِيَّ وَاضِي... رَايِدٌ مِّنْ فَضْلِكَ عَنبَرًا

يريد الشاعر أن تنصهر جوارحه بمحبّة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، كالعنبر الذي يبعث روائح طيِّبة عند احتراقه، فيترك أثرا طيِّبا، هكذا هي الرّسالة المحمّدية، تعود بالنّفع على من يسير وفق ما جاء فيها، فتكوّن عنبرا يستنشق ويسري في النّفس فيطمئنّها، ويبعث فيها الرّاحة والسّكينة.

ب- المسك:

نوع من أنواع الطيب المعروف، وأطيبها وأشرفها، كثرت منافعها، وتعدّدت استعمالاته، و كانت العرب تسميه المشموم"²، يقول الله تعالى: ﴿خِثْمُهُ مَسْكٌ﴾³، أي "منقطعه رائحة المسك لأنّه يمسك قوّة النّفس"⁴، وهو معرّب مشك بالضمّ ويذكر كما يؤنّث⁵، و "سمّي المسك مسكا لأنّه يمسكه الغزال في سرّته"⁶، لأنّ أصله المسك من بحيمة ذات أربع، أشبه بالظبي الصّغير.⁷

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 76.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 47، ص 4203.

³ - سورة المطفّفين، الآية 26.

⁴ - أحمد بن يوسف بن عبد الدّائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 4، ص 93.

⁵ - ينظر: محمد مرتضى الحسين الرّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 27، ص 332.

⁶ - السري بن أحمد الرّفاء، المحبّ والمحبوب والمشموم والمشروب، كتاب المشموم، ج 3، ص 139.

⁷ - ينظر: شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب التّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 12، ص 04.

جاء المسك في ديوان "بن خلُوف" وسيلة يجازى بها المؤمنون العابدون في الدار الآخرة، يقول

الشاعر في قصيدة (أو يكره علم شيبي) ، واصفا نعيم الجنة:¹

وَعُيُونٌ هَا جَرَّتْ بِمُسُوكٍ وَكَافُورٍ... مِنَ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ وَالْخُمْرِ وَدِيَانِهَا

وعكست الكلمة معنى العطاء والخيرات في نظم (ألا وجه الحبيب غاب):²

مِنْ كَفِّهِ الْمَسْكَ وَالْعُنَابَ... وَشُعَاعُ الشَّمْسِ مِنْ جَبِينِهِ يَتَلَالُوا

ويوظف نفس المفردة للدلالة على المسك المعروف، باعتباره آية من آيات الله في خلقه،

تستحق التدبير، يقول في قصيدة (لو لا أنت):³

قَدَّرَ جُنُودُ النَّحْلِ وَالنَّمْلِ وَالذُّبَابِ... وَالْمُرْجِي وَالْمِسْكَ فِي رِيَاضِ السَّفِينَةِ

ولما كانت رائحة المسك عطرة، قوية، أخاذة، ضرب الشاعر بها مثلا في محبته للرَسُول عليه

الصَّلَاة والسَّلَام، مشبها ضوء البرق بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يراه في المنام.

يقول في نظم (ألف استمثلوا كلامي):⁴

وَإِذَا شَالَ الْبَرْقُ عَنِ بَيْتِي مَرَّةً... لِأَشِكْ نَرْوِي مِنْ مُسُوكِ الْغَوَالِي

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلُوف، ص 174.

² - المصدر السابق، ص 109.

³ - المصدر نفسه، ص 67.

⁴ - المصدر نفسه، ص 08.

تترك معاني قصائد ديوانه أثرا طيبا في النفوس، شبه نظمها بالمسك الخالص، فانتقلت دلالة المفردة من المشموم (المسك) إلى المسموع (الأشعار)، يقول في قصيدة (مقلب القلوب ربي):¹

يَا شَارِيَّ الْمَسْكَِ بِالنَّوَايَةِ... أَشْرُ مَيِّ الرَّخِيسِ الْغَالِي
جَيْبِ الْقِرْطَاسِ وَالْدُّوَايَةِ... وَاجْلِسْ فِي نَاحِيَةِ قُبَالِي

يتحدّث الشاعر عن نفسه في نظم (يا كوثر اللّبن)، راضيا بالطريق الذي سلكه نخب الأولين الصّالحين وسنة النبي الكريم عليه الصّلاة والسّلام، فازداد ربحه، وكثر عنتاره، و (العنتار) هي قلائد تعجنّ بالمسك²، مفردها العترة والعتوراة وجمعها العتر، وظّفها الشّاعر تشبيها لها بالنّجاح الذي حقّقه، بنيله رضى الله تعالى في الدّنيا والآخرة معا.

يقول:³

مَا خَالَفَتِ الْأَثَرَ فِي حَرِيحِ صَوَائِي... بِجَبْخَتِ فِي الرِّيحِ وَمَزِيدِ الْعَتَارِ

ما دلّ على الورد والزّهر:

أ- الياسمين:

مشموم معروف، لفظ فارسي معرّب من ياسمين وياسمن، ومن قال ياسمون جعل واحده ياسما أو ياسما⁴، يزرع لزهرة الفوّاح، وهو أصفر وأبيض، و "رائحته مصدعة، لكنّها مع ذلك تحلّ الصّداع..."

¹ - المصدر نفسه، ص 136.

² - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 31، ص 2797.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 100.

⁴ - ينظر: شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب التّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 11، ص 152.

إذا شمت، والخاص من دهنه يعرف المحرور إذا شتمه لوقته"¹، تغنى الشعراء بزهره وعطره، فذكروه في أشعارهم، من ذلك "موشحة محي الدين" جاء فيها:²

جَنَّانُ يَا جِنَانٍ... إَجْنِ مِنَ الْبُسْتَانِ الْيَاسِمِينَ

ويقول "بن خلوف" في قصيدة (قدر ما في بحر الظلام) واصفا ألوان الياسمين الجميلة في تفتّحها:³

كَيْ نَشَّرُوا فِيهَا الْعَلَامَ... إِفْتَحَ مِنْ كُلِّ أَلْوَانِ الْيَاسِمِينَ

عكست كلمة (الياسمين) معالم البهجة والفرح والجمال.

ب- الزعفران:

نبات، زهره أصفر، يميل إلى الحمرة، يستخدم لتطيّب أنواع الحلوى والمأكولات، ومن أسمائه: الزعفران⁴، و "الجادي، والجساد والجسد، والديهقان، المردقوش والرادن والكركم، والعبير والأيدع"⁵. شبه الشعراء الشمس عند مغيبها، واصفرار اللون فيها كأزهار الزعفران الجميلة، يقول "ابن المعتز"⁶:

¹ - أدى شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص 160.

² - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، المجلد الثاني، 1988م، ص 182.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، تح: محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص 49.

⁴ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 182.

⁵ - السري أحمد بن الرفاء، الحبّ والمحبوب والمشموم والمشروب، كتاب المشموم، ج 3، ص 184.

⁶ - المصدر نفسه، ص 374.

مِثْلُ شَمْسِ الْأَصِيلِ تَسْحَبُ ثَوْبًا... صَبَعَتْهُ بِزَعْفَرَانِ الْأَصِيلِ

وظّفه "بن خلّوف" مرّة واحدة في ديوانه، يقول:¹

فِيهَا الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ... كَالزَّعْفَرَانِ وَالكَتِيبِ

ضرب الشاعر بأزهار الزّعفران الجميلة اللّون مثلا لبيان صفرة الذهب وحمرة المرجان وجمال

الياقوت، وهي من نعم الله تعالى التي أعدّها لعباده المخلصين في الآخرة.

ما دلّ على الثمر:

أ- اللّيم:

أي اللّيمون، وقد تحمل التّون فيقال اللّيمو، واللّيمونيون للشّجر والثمر²، من فصيلة السذابية، يشمل نباتيّاً أنواع البرتقال والأترج والتّارنج واللّيمون الحلو، واللّيمون الحامض، وفي كلّ منها أصناف، وتسمّى الموالح في مصر، والحوامض في الشّام³، وللّيمون رائحة عطرة، ويستخدم مستخلصه لتعطير أنواع الحلوى، وهو حامض المذاق، ذهبيّ اللّون.

ب- اللّيموم:

أي اللّيمون، يشمل نوعي اللّيمون الحلو والحامض، بخلاف اللّيم الذي جمع أنواع الحوامض، ذكر "بن خلّوف" كلا النوعين في ديوانه مرّة واحدة فقط، وجاء اللفظ الأوّل شاملاً لأنواع الحوامض، وأتبعه بكلمة (اللّيموم)، لتخصيص النوع الأوّل، يقول في قصيدة (قصّة مزغران):⁴

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 156.

² - ينظر: بطرس البستاني، قطر المحيط، ص 2000.

³ - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 850.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 184.

ظَلَلْتُ بِاللِّيمِ وَاللِّيمُومِ... فِيهَا رُجَّالُ الدِّينِ مَكْرُومَةٌ

انتقلت دلالة كلمتي (اللِّيمِ واللِّيمُومِ) من ثمر الدنيا المعروف إلى ثمر آخرة، وهو ثمر الجنة الذي يجازى به المسلمون الأتقياء في الآخرة، فشكّلت كلمتي (اللِّيمِ واللِّيمُومِ) وسيلة جزاء.

ما دلّ على شميات أخرى:

أ- قطراني:

أي قطران، "القطر والقطران: مصدر قطر الماء"¹، والقطران اسم رجل لقوله:²

أَنَا الْقَطْرَانِ وَالشُّعْرَاءُ جَرَبِي... وَفِي الْقَطْرَانِ لِلْجَرَبِيِّ هَنَاءٌ

في البيت إشارة لفوائد القطران، هذه المادة التي تعصّر من شجر الأرز، أو تستخرج من الخشب والفحم ونحوهما بالتقطير، وتستعمل لحفظ الحديد من الصدأ والخشب من التّسوّس³، كما تطلّى بها الإبل لمداواتها من الجرب، ومن أسمائه الهناء، كما جاء في البيت أعلاه.

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 401.

² - علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 6، ص 162.

³ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 744.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿سَرَّابِيلُهُمْ مِّن قَطْرَانٍ﴾¹، أي من نحاس مذاب.²

ذكر "بن خَلُوف" كلمة (قطران) في ديوانه مرّة واحدة في قصيدة (يا كوثر اللّبن):³

يَا كَوْثَرُ اللَّبَنِ فِيكَ غَابَ قَطْرَانِي مِثْلُ حَبَابِ الرَّمْلِ فِي عَمِيقِ الزُّحَارِ

شبه الشاعر الرسول عليه الصلّاة والسّلام (بكوثر اللّبن)، والكوثر نهر في الجنّة، تشرب منه الأُمّة المحمّدية، أضاف لكلمة (كوثر) لفظ (اللّبن) ليعطيها لونا أبيض، يعكس صفاء روح محمد عليه الصلّاة والسّلام، وفي ذلك النّهر الفيّاض ذابت جوارح الشّاعر وأحاسيسه، وتعلّقت به، فهي كالقطران الذي يقطر قطرة بعد الأخرى ويكون شديد الالتصاق، هكذا هو تعلّق "بن خَلُوف" بخاتم المرسلين.

حملت الأسماء الدالة على المحسوسات في ديوان "بن خَلُوف" دلالات عديدة، ولم يغفل شاعرنا عن توظيف اللّمسيات التي تشرف اليد على أدائها، ليتمّ حلقة الحواس الخمس، وبها يستطيع الإنسان اكتشاف محيطه وتسخير وسائل الحياة اليومية لقضاء حاجاته، وإنّ لهذه الأخيرة دلالات منوّعة، نسعى للوقوف عندها في الفصل الموالي بإذن الله تعالى.

¹ - سورة إبراهيم، الآية 50.

² - ينظر: أحمد بن يوسف بن عبد الدّائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 3، ص 19.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 97.

الفصل الرَّابِع:

الأسماء الدالّة على الوسائل التي يستعملها الإنسان في ديوان "سيدي الأخضر بن خلّوف"

المبحث الأوّل: ما دلّ على المعادن والموادّ الأوّلية

المبحث الثّاني: ما دلّ على وسائل الاستعمال اليومي

المبحث الثّالث: ما دلّ على وسائل القيد، القطع والحفر والقتل في ديوان "سيدي الأخضر بن خلّوف"

المبحث الأوّل: ما دلّ على المعادن والموادّ الأوّلية.

أ/الذهب:

تقول العرب "ذهب الرّجل، إذا رأى معدن الذهب فملاً عينه فدهش"¹، والذهب معدن نفيس أصفر اللون، جمع أذاهبا ثمّ أذاهب² وذهوب³ أيضاً، ويذكر كما يؤنّث⁴، وهو أكثر الجواهر التي "تذوب بالنّار، وتجمّد بالهواء وأبقاها وأعزّها وأحفظها لصورته وأسلمها على النّار والهواء والماء والأرض"⁵، ولما عرف النّاس قيمته وغلاؤه، خصّصوا له أسماء عديدة منها: العسجد والعقيان، والنّضر والرّخرف والكبريت الأحمر والتّبر⁶، وغيرها كثير، واستعاروه لمعانيهم وتشبيهاهم، كما استعملوه للتّداوي من علل عديدة.⁷

وظّف "بن خلّوف" لفظ (الذهب) بمفهومه الأصلي تارة، وللدلالة على جمال شعره وصفاء معانيه تارة أخرى، مكرّراً كلمة (الذهب) إحدى عشر مرّة في ديوانه.

¹ - نشوان بن سعيد الحميري اليماني، شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم، تح: نخبة من الأساتذة، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1999م، ج 4، ص 2306.

² - ينظر: جار الله محمود بن عمر الرّحشري، الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، 1993م، ج 2، ص 20.

³ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوجيز، ط 1، 1980م، ص 247.

⁴ - ينظر: المفضل بن سلمة، مختصر المذكر والمؤنّث، تح: رمضان عبد التّوّاب، مجلّة المخطوطات العربية، مج 17، ج 2، ص 332.

⁵ - أبو حيان التّوحّيدي ومسكويه، الهوامل والشّوامل، تقديم: صلاح رسلان، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ص 348.

⁶ - أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، المنتخب من كلام العرب، تح: محمد بن أحمد العمري، ص 281.

⁷ - ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذّهبي، الطبّ التّبوي، تح: أحمد رفعت البدرائي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 3، 1990م، ص 120.

يقول في قصيدة (الرّشيد مصباحي):¹

مِنْ ذَهَبِي كُلِّ يَوْمٍ نُوزَنُ... تُبَارِكُ الَّذِي هِيَ حِجَابِي

ويقول أيضا، في قصيدة (مقلب القلوب ربي):²

فِي ذَهَبِي كُلِّ يَوْمٍ بَايِنٍ.. فِي الْوَسْطِ امْعَلْمِه بِطَابِعِ

ويقول في قصيدة (نبتأ الكلمة):³

عَلَيْهِ حَبْتُ ابْيَاتِي صَافِيَةَ نَاقِيَّةَ... مَرْكَبَةٌ بِالْجَوْهَرِ فِي سِلْكٍ مِنَ الذَّهَبِ

قصائد الشّاعر أشبه بالذهب في غلائه ومنزلته، يقبل عليها النّاس متهافتين لسماعها ومعانيه دقيقة صافية صفاءه، وقد أضاف مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم لأبياتها لمعانا وبريقا باق على مرّ الأزمنة والعصور، كالتبر الخالص المميّع، وكان ذلك العلامة التي تميّزه، فأضحى كالوشم في ظاهر اليد، يعرفه صاحبه من جميع الدّواوين.

عبّر الشّاعر بشيء مادّي ملموس (الذهب) عن معنى حسّي، وهو علوّ المنزلة والقيمة العالية والصّفاء والنّقاء.

يقول الشّاعر في قصيدة (الموت لا غنى تدركني):⁴

مِنْ ذِكْرِ الْجَلِيلِ اسْمَعِي... لَوْ صَارَتْ الْجِبَالُ ذَهَبَ مَا هِيَ شَيْءٌ تُرَابِ

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 94.

² - المصدر نفسه، ص 136.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 166.

⁴ - المصدر نفسه، ص 143.

ويواصل كلامه في نفس القصيدة، يقول:¹

مِنْ ذِكْرِ الْجَلِيلِ إِسْمَعِي... لَوْ صَارَتِ الْجِبَالُ ذَهَبَ مَا هِيَ شَيْءٌ تُرَابٌ

ويدعو الشّاعر الغافلين عن ذكره تعالى في البيت الأول، لسماع قصائده لعلّها تشرح بصيرتهم للدين، ويقرّ أنّه لا يوجد في الدّنيا ما يلهيه عن نظم الشّعر، حتّى لو صارت الجبال ذهباً كما قال، فالكلّ سواسية، بعد الممات، في القبر يوضعون لا محالة.

ب/الفضّة-الفضا:

جمع الذهب مزايا عديدة كمّا، فاحتيج إلى معدن آخر تكون فضائله أنقص منه ليصير خليفة له، يعمل عمله، وإن كان دونه، فلم يوجد ما يجمع تلك الفضائل شيء غير الفضّة، فجعلت نائبة عنه²، ويطلق اسم (الفضّة) أيضاً على القضيم، والقضيم جلد أبيض لونه استعمل قديماً للكتابة³، و "حكى سيويه تفضيت من الفضّة، أراد تفضفت"⁴، والفضّة معدن من المعادن المعروفة، أبيض نقيّ، تصنع منه الحلّيّ بأنواعها، وكذا التّقود.

وظّف "بن خلّوف" في ديوانه ثلاث مرّات لفظ (الفضّة)، يقول في قصيدة (قدر ما في بحر

الظلام):⁵

قَدَّرَ الْفِضَّةَ وَنَحَّاسَ وَالذَّهَبَ وَالْحَدِيدَ

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 146.

² - ينظر: أبو حيان التوحّيدي ومسكويه، الهوامل والشّوامل، ص 349.

³ - أبو الطّاهر محمد بن يونس بن عبد الله التّميمي، المسلسل في غريب لغة العرب، تح: محمد عبد الجواد، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الإقليم الجنوبي، ص 96.

⁴ - هشام النّحاس، معجم فصاح العامية، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1997م، ص 484.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 146.

يصلّي الشّاعر على الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، عدد مخلوقات الأرض، وعدد الدّنيا وما حملت من معادن كالذهب والفضّة والنّحاس والحديد، وما أكثرها في الطّبيعة الغنّاء.

ويقول في قصيدة (مفتاح خير الا ينفذ):¹

مِنْ لَا يَقُولُ أَنَا مُسْلِمٌ... فَزْدِيرٍ مَا هُوَ شَيْءٌ فَضًّا

وكلمة (قزدير) في العامية هي: (القصدير) في الفصحى، يتعمل لطلي المعادن وحفظها من الصّدأ ويشبهه الفضّة في لونه.

يريد الشّاعر أن يفهمنا أنّ النّاس معادن، وأنّ الرّافض للإسلام والمسلمين من معدن القصدير وليس فضّة خالصة، ويشبهها لونا وليس قيمة، هكذا هو حال الإنسان المتجبرّ المتعنّت، خلق بشرا، لكن دون أصالة النّسب.

والفضّة لا تقبل الصّدأ كما هو معروف، دون القصدير الذي يصدأ لكثرة تعرّضه لعوامل الطّبيعة، والمسلم في سرّه وخلقه وعهده، وسائر أحواله قطعة من الفضّة الخالصة لا تقبل الخبث، وقد شبّه الرّسول صلى الله عليه وسلم المؤمن بقطعة جيّدة من الذهب، أدخلت النّار فنّفخ عليها فخرجت جيّدة.²

والمراد بلفظ (فضّا)، (فضّة) حذف التّاء وعوّضت بألف مدّ، حفاظا على القافية، عكس الاسم معاني الأصالة وشرف النّسب.

¹ - المصدر السابق، ص 81.

² - ينظر: أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خالد الزّاهري، كتاب أمثال الحديث، تح: عبد العلي عبد الحميد، الأعظمي، الدّار السّلفية، بومباي، الهند، ط 1، 1983م، ص 100.

ج/الحديد:

من الفعل (حدّ)، والحدّ الحاجز بين شيئين، ويقال للبواب حدّاد، لمنعه النَّاس من الدّخول¹، وحدّ كلّ شيء، حدوده التي تمنعه من التّمادي، وحدّ السّيف حدّا، شحذها ومسحها². والحديد "جنس لا يثني ولا يجمع... واحده حديدة كالشّعير واحده شعرة، ويشتقّ منه أفعال كقولهم: حدّته أحدّه حدّا وأحدّته وحدّدت أحد³"، والحديد معدن معروف كثير الانتشار في ظاهر الأرض وباطنها، ويحتلّ المرتبة الرابعة من حيث الوفرة في القشرة الأرضية، ويمثّل 5% من وزنها⁴، ويدخل في صناعات عديدة، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾⁵، ومن مظاهر تعظيم المولى عزّ و جلّ لهذا المعدن، أن سمّي إحدى سور القرآن الشّريف باسمه، "لأنّه ناصر لله ولرسوله في الجهاد، فنزل منزلة الآيات النّاصرة لله ولرسوله، على أنّه سبب لإقامة العدل كالقرآن، وأيضا أنّه جامع للمنافع"⁶.

جاء ذكر الحديد في ديوان "سيدي الأخضر بن خلّوف" ثلاث مرّات، إشارة إلى الحديد بعينه، يقول في قصيدة (قدر ما في بحر الظّلام):⁷

¹ - ينظر: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 2، ص 03.

² - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص 800.

³ - ابن سيده اللّغوي، المخصّص، السّفر الثّاني عشر، ص 26.

⁴ - عثمان عثمان إسماعيل، معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة، ط 1، 1994م، ص 177.

⁵ - سورة الحديد، الآية 25.

⁶ - منيرة محمد ناصر الدّوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السّعودية، ط 1، 1426هـ، ص 424.

⁷ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 50.

قَدَّرَ الْفِضَّةَ وَنَحَّاسَ وَالذَّهَبَ وَالْحَدِيدَ

كما تمثّل الشّاعر بالحديد في صلابته، فصوّر نفسه حلية حديدية جميلة، تباع في الأسواق ويتهافت العامّ والخاصّ على شرائها، والمراد من هذا التّشبيه معنى آخر يريد به رجلاً تقيّاً شديد الصّلابة في تمسّكه بالدين، يقصده النّاس للتّفقّه في علوم الشّريعة والاستماع لخطبه، والانتفاع من علمه، فهو كالسلعة التي تباع في السّوق بالميزان، هذا ما تمنّاه "بن خلّوف" عالماً تقبل الأئمة عليه للتّهل من ينابيع معرفته بالقسط.

يقول في قصيدة (لله الحمد زاد فيا):¹

لَوْ كُنْتُ مِنَ الْحَدِيدِ حَلِيَّةً... نُدْخِلُ لِلسُّوقِ نَشْرِي بِالْمِيزَانِي

د-الصّوف:

صاف، يصوف، صوفا و صووفا، بمعنى: "كثر صوفه... وصوف الشّاة كالشّعر للمعزى والوبر للإبل"²، جاء في أمثال العرب: "خرقاء وجدت صوفا"³، يضرب مثلاً للذي يفسد ماله، والصّوف "مادّة حيوانية تغشّاهما مادّة دهنية، لذلك لا يمتصّ الماء"⁴، ويدخل الصّوف في صناعات عديدة، كالألبيسة والأفرشة وغيرها.

¹ - المصدر السابق، ص 93.

² - سمير الخوري الشّرتوني اللّبناني، أقرب الموارد في فصيح الشوارد، ص:670.

³ - أبو الفضل بن أحمد بن إبراهيم التّيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، تح: محمد محي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّنة المحمّدية، 1955م، ج 1، ص 237.

⁴ - جرجس أفندي طنوس عون اللّبناني، الدر المكنون في الصّنائع والفنون، مطبعة الجوائب، قسنطينة، ط 2، 1301هـ، ص 670.

وفضّل أن تكون برانيسه من الصّوف الخالص، يقول في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):¹

وَأَنْتَ الْحَبِيبُ وَلُدِّي نُطْفَةٌ مِنَ الْكَابِدَةِ... حُذِّ شَمَلْتِي وَبِرَانِيسِ الصُّوفِ

ومعلوم أنّ مادّة الصّوف هي مجموع شعيرات دقيقة كثيرة لا تحصى، فضرب "بن خلّوف" بها مثلا في كثرة عددها، وسعة انتشار الصّوف في الأوطان، وفي ذلك إشارة إلى الشّياه وكلّ حيوان يكسوه الصّوف، يقول الشّاعر في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):²

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَدَّرَ ذِكْرُ وَأُنْثَى... وَعَدَدُ الصُّوفِ وَالشَّعْرِ فِي الْأَوْطَانِ

ويرغبنا الشّاعر من وراء هذا البيت في الصّلاة على الرّسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأوقات، موظّفا كلمة (الصّوف) للرمز على كلّ حيوان كساؤه الصّوف، وللدلالة على العدد.

المبحث الثاني: ما دلّ على وسائل الاستعمال اليومي

1/ ما دلّ على وسائل الأكل والشّرب:

أ/ كاس: أي كأس:

كاس يكوس كوسا، "الكاف والواو والسّين أصل صحيح يدلّ على صرع أو ما يقاربه"³، و "لا تسمّى الكأس كأسا إلّا وفيها الشّراب، والجمع كؤوس وأكواس وكياس"⁴، وجاء في "لسان العرب": "والكأس الرّجاجة ما دام فيها من الشّراب وقال أبو حاتم: الكأس الشّراب بعينه وهو قول

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 192.

² - المصدر السابق، ص 57.

³ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 5، ص 146.

⁴ - إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصّحاح، ج 4، ص 969.

الأصمعي¹، ويستعار لفظ (الكأس) في "جميع ضروب المكاره فيقال: سقاه كأساً من الذلّ والفرقة والموت".²

يقول "الجواهري" في ديوانه، واصفا ساقى الخمر وكأس الشراب:³

وَالكَّاسُ يَجْلُبُوهَا أُغْرَى يُكَادُ مِنْ... فَرَطَ النَّعَاسُ يُؤَوِّدُهُ تَغْمِيضُهُ

رَاضَتْ مَحَاسِنُهُ النَّفُوسَ فَأَدْرَكَتْ... ثَارًا فَهِيَ بِالْكُؤُوسِ تُرَوِّضُهُ

كما تضرب كلمة (كأس) للدلالة على كل ما هو محبوب وطيب، وظّفها "بن خلّوف" في ديوانه مرّتين، مرّة بصيغة المفرد، وأخرى جمعا، يقول في قصيدة (مقلب القلوب ربي):⁴

نَبَّهَنِي لِلْمَدِيحِ سَيِّدِي... وَسَقَانِي مَاءَ كَاسٍ طِيبٍ

شبهه الشاعر نظمه بكأس شرابها قصائد عذبة، كأس مملوءة بمعاني الحبّ والتقدير لشخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، شرّبها فخطّت أنامله قصائد مديح رائعة.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (نرغب المعين المبدي):⁵

وَالزَّائِرِينَ مَنْ جَلَسُوا عِنْدِي... مَا نَذَوْقُوا كَيْسَانَ مِرَارًا، يَا الْمُخْتَارِ

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 42، ص 3802.

² - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 771.

³ - محمد مهدي الجواهري، ديوان الجواهري، مطبعة الغرى، التّجف، 1935م، ص 235.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 136.

⁵ - المصدر نفسه، ص 150.

يطلب الشّاعر المغفرة والسّلام حتّى لمن جاء لزيارته، ممّا يعكس علاقة طيّبة ربطته ومعارفه، والمقصود بـ (كيسان مرار) هنا العذاب والمحن.

وممّا جاء في دلالة (كأس) في أشعار العرب، ما قاله "جرير" في نقائضه، فشعريته غلبت جميع شعراء زمانه، وأطاحت بهم فكانت كالسمّ الذي يفتكّ بهم:¹

أَعَدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ سَمًّا نَاقِعًا... فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الأَوَّلِ

ب- الكوز:

مشتقّ من كرت الشّيء "أكوزه كوزا إذا جمعته"²، وتكوّز القوم تجمّعوا، واكتاز الماء اغترفه³، ورجل مكوّز الرّأس: طويله⁴، وجمع كوز: أكواز وكيزان، وكوزة يقصد به إناء من فخّار⁵، يشبه الإبريق يستعمل للشّرب، سمّي كوزا لجمعه الماء.

وظفت كلمة (الكوز) في الدّيوان بمعناها الحقيقي ثلاث مرّات، يقول "بن خلّوف" في قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة):⁶

قَالَ لَهُ المُخْتَارُ مُدِيَّ الكُوزَ تَرَى... نُشْرِبُ مِنْهُ وَكُلُّ مَنْ هُوَ عَطْشَانِي

¹ - ديوان جرير، ص 940.

² - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، كتاب جمهرة اللّغة، دائرة المعارف العثمانية، 1345هـ، ج 3، ص 17.

³ - ينظر: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 5، ص 146.

⁴ - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1998م، ج 2، ص 149.

⁵ - أدى شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص 140.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 119.

ويواصل قوله:¹

قَالَ الْغُلَامُ حُذِّ يَا مُحَمَّدَ الْكُوزِ... أَشْرَبْتُ مِنْهُ وَرَدُّ لِي مَا يُشْرَبُ أَحَدٌ

أشارت كلمة كوز إلى معنى الإناء المستعمل للشرب، عكست دلالة مادية.

ج/سكينه:

سكين: "السكين، المدية، يذكر ويؤنث ويجمع على السكاكين، ومنتخذه السكان"²، مشتق من الفعل الثلاثي الصحيح سكن، ويدلّ الجذر على الاضطراب والحركة³، والسكين على وزن فعيل، أداة للقطع والذبح من "قولهم ذبحت الشيء حتى سكن اضطرابه"⁴، يقول الله عزّ و جل: ﴿وَأَنْتَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا﴾⁵، ذكرت كلمة (سكين) في الديوان بمعناها الأصلي الموضوع لها، يقول "بن خلّوف" في قصيدة (صلّوا وسلّموا):⁶

اجْبِدْ سَكِينَهُ سَيِّدَنَا مُوسَى وَارحاه... وارماه عَلَى بِسَاطِ حَمِيهِ يُقَطِّعُهُ

(اجبد أي (جبد) بمعنى أخرج سيّدنا موسى سكينه وهيأه للذبح برحيه.

¹ - المصدر نفسه، ص 120.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 261.

³ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 3، ص 77.

⁴ - أبو الحسن علي بن إسماعيل التّحوي اللّغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصّص، السّفر السّادس، ص 36.

⁵ - سورة يوسف، الآية 31.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 133.

ويواصل الشاعر قصيدته، موظفاً كلمة (السيف) للدلالة على السكين، يقول:¹

ثَلَاثَةٌ مَرَّاتٍ تَعْمُدُ السَّيْفِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَاكَ السَّيْفِ الْجَدِيدِ يَحْفَى مِنْ قَطْعِهِ

أبي السكين أن يقطع لحم الطائر بقدره الله تعالى، وأصبح حافيا غير صالح للدبح.

يقصّ الشاعر معجزة سيدنا موسى عليه السلام، واختبار المولى جل جلاله لعدله وصبره، فوجده من الأخيار الصابرين، وما يمكن الإشارة إليه أنّ في توظيف كلمة (السيف) للدلالة على (السكين) توضيح لقسوة القطع، وشدة عزم سيدنا موسى على تمزيق لحم الطائر، فما كان لهذا الحيوان سوى الهروب بعيدا والإفصاح عن حقيقته: إنّ سيدنا جبريل عليه السلام، جاء وميكائيل لاختبار سيدنا موسى فوجداه من الصديقين المتوكّلين.

تغيّر مفهوم الأداة الجارحة (السيف) من معنى القطع والدبح، إلى معجزة تكشف تقوى سيدنا موسى عليه السلام.

2/ ما دلّ على الأفرشة والأغطية :

أ-وسادي: وسادتي:

الوساد بالكسر المتكأ، جمع وسد، ووسائد، ووسادات من الفعل توسد ووسد توسيدا²، والوساد كلّ ما "يوضع تحت الرأس وإن كان من تراب أو حجارة"³، وفي تفصيلها أسماء كثيرة،

¹ - المصدر نفسه، ص 133.

² - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، ج 9، ص 297.

³ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 1031.

فالمخدة للرأس والمسند: الوسادة التي يستند إليها، والمسورة التي يتكأ عليها، والوسادة تجمعها كلها.¹

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (بما في علمك القديم):²

فِي دَارِ الْحَفْرِ وَالرَّدِيمِ... يَوْمًا تُضْحَى صَحِيفَةُ الْخَدِّ أَوْ سَادِي

يتصوّر الشّاعر حاله وهو مطروح في قبره، وقد أضحى خده وسادته التي يستند عليها.

وفي نظم (جف لمداد) يقول متسائلا عن مصيره المجهول:³

أَمَّنْ دَرَى وَاشٍ يَفْعَلُ بِي مَوْلَانَا... إِذَا ضَحَّى التُّرَابُ فَرَّاشِي وَأَوْ سَادِي

إنّ التُّراب وحده أنيس الشّاعر في ظلمة القبر، هو فراشه ووسادته، وتشير كلمة (اوسادي) في البيتين إلى معاني الوحدة في رحلة الإنسان الأبدية، وتحمل دلالة التجريد من جميع مناعم الدنيا.

ب- فراش: فراش:

¹ - ينظر: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل التّعالبي، فقه اللّغة وأسرار العربية، ص 275-276.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 159.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 169.

الفصل الرابع الأسماء الدالة على الوسائل التي يستعملها الإنسان في ديوان "سيدي الأخضر بن خلّوف"

فرش، يفرش، فرشاً: بسط¹، و "الفرش الزرع إذا فرش، والفرش الفضاء الواسع"²، وأفرش الرجل صاحبه إذا اغتابه وأساء القول، وافترش الرجل لسانه إذا تكلم كيف شاء³، وفرشت الشيء أفرشه فرشاً وأفرشته، "والجمع أفرشة وفرش، وإن شئت خففت وهي لغة بني تميم"⁴، والفراش ما فرش من متاع البيت، ويطلق على ما يبسط على الأرض للنوم والاضطجاع، وأصبح اللفظ يطلق على السرير المرتفع من على الأرض، لأنه يبسط عليه ما يفرش، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾⁵، أي: صيّرهما بقدرته وجعلها كالبساط المفروش.

يوظّف "بن خلّوف" في ديوانه الكلمة بمعناها الحقيقي، الدالّ على البساط الذي يفرش، إمّا بغرض الاتكاء أو التغطية، يقول في قصيدة (مقلب القلوب ربي):⁶

تَتَوَسَّدُ لِي فِرَاشٌ وَغَطًّا... وَتُرْقِدُنِي أَحَدَى صَدْرَهَا

يقول في نظم (اختارك الواحد الأحد):⁷

نَمْدَحُ عَلَى فَرَاشِيٍّ وَاضِيٍّ... رَايِدٍ مِنْ فَضْلِكَ عَنَبْرًا

ويواصل كلامه:⁸

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 311.

² - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، المجلد الرابع، ص 1014.

³ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 4، ص: 487.

⁴ - ابن سيده اللغوي، المخصّص، السفر الرابع، ص 73.

⁵ - سورة البقرة، الآية 22.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 135.

⁷ - المصدر السابق، ص 76.

⁸ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 76.

رَأَيْتُ عَلَى فَرَاشِي قَاعِدٍ... مَا نُخَالِفُ الْأَوْقَاتَ وَلَا بِنِي مَرْمَادٍ

(فراشي) أي (فراشي)، لا يكفّ الشاعر عن مدح خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم، حتى وهو مستلقي في فراشه طلباً للنوم والراحة، وهو ما رمز إليه اللفظ.

ينحو الشاعر منحى جديد في قصيدة (الموت لا غنى تدركني)¹: فيشير بكلمة (فراشي) إلى السكينة الأبدية ومفارقة الديار، للعودة إلى الأصل: التراب، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾².

يقول "بن خلّوف":

نَتَوَسَّدُوا دَرَاعِيَّ الْيَمْنَى... يَضْحَى الثَّرَى غَطَايَا وَفَرَاشِيَّ مِنَ الثُّرَابِ

وفي قصيدة (قصّة مزگران)، يحوّل معنى الكلمة لوصف وقائع المعركة الدامية، إشارة منه إلى جثث المقاتلين الهامدة، وهي مبسوطة في ساحة الوغى، متزامية هنا وهنالك، وقد أضحت بساطاً لحوافر الخيول يقول:³

وَلَى الْمَيْتِ فِي الْبُطَاحِ افْرَاشٍ... تَمْشِي الْخَيْلُ عَلَى سَبَبِ الْخَيْلِ

وكلمة (افراش) هي (فراش) في الفصحى، دلّت على البسط.

3/ ما دلّ على وسائل الإضاءة:

أ/ مصباح:

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 139.

² - سورة آل عمران، الآية 59.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 185.

مشتقّ من الفعل الثلاثي الصّحيح (صبح)، نقول: صبحني فلان إذا أتاني صباحاً، قال "طرفة بن العبد" في ديوانه:¹

مَتَى تَأْتِي أَصْبَحَكَ كَأَسَا رَوِيَّةٍ... وَإِنَّ كُنْتُ عَنْهَا دَا غِنَى فَاغْنِ وَازدَد

والصّباح هو أوّل النَّهار، وسمّي كذلك لحمرة²، ومن مشتقاته الإصباح، والصّبح والمصباح³ وغيرها، تردّدت كلّها في آيات الذكر الحكيم بمعاني مختلفة، فالمصباح "هو السّراج والجمع سرج، وهي المسرّجة"⁴، أداة تصطب للإضاءة، يقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورٍ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾.⁵

والمصباح كما بيّنت الآية الكريمة هو السّراج⁶ الذي يستعان به للإنارة، ويقول جل جلاله في سورة الملك: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطِينِ وَأَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾⁷، دلّ لفظ (بمصاييح) على "الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثّوابت"⁸.

أمّا (المصباح) عند "بن خلّوف"، فجسّد معانٍ حسية كثيرة، نوضّحها من خلال نظمه، يقول في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):

1- ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ص 32.
2- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ص 375.
3- ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 1364هـ، ص 399.
4- ابن سيده اللّغوي، المخصّص، السفر الحادي عشر، ص 38-39.
5- سورة التّور، الآية 35.
6- ينظر: ابن عباس، ابن قتيبة، مكي بن أبي طالب، أبو حيان، المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، ترتيب: عبد العزيز عزالدين السيروان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1986م، ص 231.
7- سورة الملك، الآية 5.
8- عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيّد محمد و محمد فضل العجموي و محمد السيّد رشاد و علي أحمد عبد الباقي و حسن عبّاس قطب، مؤسسة قرطبة، ط 1، 2000م، ج 14، ص 72.

مِنْ وَجْهِكَ يَا أَحْمَدَ عَلِيلُ الْأَنْبَرِي... يَا مِصْبَاحَ الْوُجُودِ مَا غَادَكَ حَالِي

عَيّن الشّاعر مناديه وهو الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، بأداة النداء (يا)، فخصّه من دون البشر بتسميته (بمصباح الوجود)، ولعلّ في استعمال أسلوب النداء توضيح وإبراز لميزة لا تتوفّر في سائر الخلق كلّهم، سوى في شخصه عليه الصّلاة والسّلام.

ولفهم هذا المعنى أكثر، نذكر ما قاله في قصيدة (الرّشيد مصباحي):¹

الرّشيدُ مِصْبَاحِي... هُوَ سِرَاجُ الدَّهْرِ فَضَّلَهُ ذُو الْجَلَالِي

يحبّ الإنسان بالفطرة الاقتداء بمن تتوفّر فيه صفات فطرية يأنس لها ويحبّها، ليكسب معالم الحياة الإيجابية، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الوحيد الذي يجسّد الدّين قولاً وعملاً، فكان أجدر مخلوق يقتدى به، ولا يزال الأسوة الحسنة من خلال سلوكه وسماته، لذلك مثله "بن خلّوف" بمصباح منير يهتدى بنوره، ومصباح الرّسول عليه الصّلاة والسّلام هو مصباح عجيب، نوره لا يطفى بمرور الوقت وتعاقب السّنون، لأنّ فتيله كتاب الله وسنّته.

عكست كلمة (مصباح) المعيار والتّموزج والمثل الأعلى.

وفي قصيدة (بك طابت الأثمار) يقول:²

لِيكَ يَا مُحَمَّدُ زَهْرَتْ مِصْبَاحِ اللَّيْلِ... وَاسْتَنَارَتْ شِهَابٌ مَا بَيْنَ سَيِّئٍ وَرَا

(مصباح) هي (مصايح) في الفصحى، وتعني النّجوم والكواكب المضيئة، التي أنارت ليلة مولد الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، احتفاءً بقدمه إلى الدّنيا وقد حمل ضوء النّجوم المتألّئة

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 90.

² - المصدر السابق، ص 101.

والكواكب المستنيرة، سرّاً أضاء بين المشرق والمغرب¹، حاملاً بشرى مولد نبيّ الرّحمة محمد صلّى الله عليه وسلّم، عبّر عنها الشّاعر بقوله: (سنين ورا) أي سرّ مكنون.

4/ ما دلّ على وسائل الكتابة والتّعلم:

أ/ قرطاس:

"القرطاس معروف، يتّخذ من بردى مصر، وكلّ أديم ينصب للنضال فاسمه قرطاس، يقال قرطس الرّامي إذا أصاب الأديم"²، ويطلق الاسم عموماً على كلّ ما يكتب فيه³، ويراد به أيضاً الكتاب⁴، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾⁵، وذكرت الكلمة بصيغة الجمع في الذّكر الحكيم (قراطيس)⁶، والقرطاس والقرطاس، والقرطس والقرطاس: "كلمة يونانية الأصل تطلق على الصّحيفة التي يكتب فيها كالرقّ والكاغد، وليس كالخشب والحجر وإن كان يكتب عليهما"⁷.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (لو لا أنت):⁸

-
- ¹ - ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، ص 385-386.
 - ² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 377.
 - ³ - ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 400.
 - ⁴ - ينظر: أبو جعفر النخّاس، معاني القرآن الكريم، تح: محمد علي الصّابوني، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرمة، ط 1، 1988م، ج 2، ص 402.
 - ⁵ - سورة الأنعام، الآية 07.
 - ⁶ - ينظر: محمد بسّام رشدي الزّين، المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1990م، المجلد الثّاني، ص 939.
 - ⁷ - محمد التّونجي، المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م، ص 388.
 - ⁸ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 71.

يَا تُبِّيَّ قَرطَاسٍ فِيهِ مَجْمُوعَةٌ مَصَائِي... يطويواه رُومَانٍ يَنْتَشِرُ بَعْدَ حَيِّنَا

وفي نظم (أو يا كراه علم يشي):¹

لَكِنَّ عَن يَمِينِي نُوْجِدُ قَرطَاسِي... وَالْغَادِ مَسْتَخَص رَائِي طَالِبَ رَاحِمَةٍ

عبّرت كلمة (قرطاس) في البيتين عن أداة تسجّل فيها أفعال المؤمن وأقواله وأفكاره، وقد جعلها الله تعالى مخفية لحكمة إلهية وكدليل على سلطته وقدرته.

يصوّر الشّاعر حاله وقد أوتي بأعماله مجموعة في قرطاس محكم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، ويشير إلى تبدّد مخاوفه في البيت الثاني، وقد جيء بقرطاسه بيمينه إشارة إلى أعمال الخير الكثيرة التي أحصاها هذا الكتاب العجيب، وبالرّغم من ذلك لا يزال الشّاعر راغباً في شفاعته الرّسول صلى الله عليه وسلم.

رمزت كلمة (قرطاس) إلى الحساب ونشر الأعمال، وخصّصت في البيت الأوّل معنى العقاب، لوجود قرينة تبيّن ذلك (مصايي) التي تشير إلى ذنوب كثرت، وأعمال سجّلت فيه، أمّا في البيت الثاني فخصّصت دلالة الجزاء والانفراج لوجود ما يدلّ عليها (بميني).

ويقول "بن خلّوف" في قصيدة (اختارك الواحد الأحد):²

نَنْسَخُ فِي قَرطَاسِ رَائِي... فَأَزُوا بِذِكْرِكَ الْبَحَاثَا

(رائي) في الدارجة بمعنى (أنا) ضمير المتكلم، يشير به الشّاعر إلى نفسه، وهو يخطّ نظمه

وأراد بلفظ (قرطاس) التّديل لوظيفتها على جمع ما كتب فيها، إشارة إلى قصائده وديوانه.

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 173.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 76.

ويحثّ الجالسين عنده في قصيدة (مقلّب القلوب ربي) على جلب (القرطاس) و (الدّواية) والاستعداد لكتابة مديحه، يقول:¹

جَيْبُ الْقِرْطَاسِ وَالِدُّوَايَةِ... وَاجْلِسْ فِي نَاحِيَةِ قُبَالِي

ذكرت (الدّواية) في الديوان كلّ مرّة واحدة فقط.

ب/ الدّواية:

من الفعل دوي، يدوي، دوى أي: "دواء وسهّلت الهمزة وعوامل معاملة المقصور"²، ويقصد به الشفاء، "والدوى تصنيع الدوية وتسمينه وصقله بسقي اللبن والمواظبة على الإحسان إليه"³، حتى يشدّ بلحمه ويذهب رهله، ومدواة المريض هي معالجته بالأشفية التي توافقه فيبراً بإذن الله تعالى.

و (الدّواية) هو سائل أسود لونه يستحضر من صوف الغنم ووبر المعز، بحرقها وخلطها مع الماء لتصير جاهزة للكتابة بها، سمّيت بهذا الاسم تشبيها لها بالدّواء الذي يجتهد في صنعه بخلط جملة مكوّنات، فكأنّ هذا السائل يعالج الحروف برسمها.

كثر استعماله قديماً، أمّا اليوم فعوّض عنه بالمداد والطباشير وكلّ ما سخر للكتابة به.

5/ ما دلّ على وسائل الوزن والكيل:

¹ - المصدر نفسه، ص 136.

² - عبد المنعم سيّد عبد العال، معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة في الأصول العربية، مكتبة الخانجي، مصر، ط 2، 1972م، ص 247.

³ - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللّغة، تح: يعقوب عبد النبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج 14، ص 244.

أ/ مكياله، مكيال:

من الفعل الثلاثي كيل الذي يضمّ ثلاث معاني متضاربة: كيل الحبوب، بمعنى وزنها، وكيل الطعام لفلان: أعطاه له، واكتال عليه: أخذه منه¹، يقول جل جلاله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝۱ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝۲ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝۳﴾²، ومن لغة أهل الحجاز أن يقولوا: "وزنتك حقك، وكلتك طعامك بمعنى وزنت لك، وكلت لك"³.

ومن المجاز قولهم: "كايلاًهم صاعاً بصاع: كافأناهم، وتكايلاً بالدم"⁴، ومكيال على وزن مفعال، وهو "ما يكال به من حديد أو خشب أو نحوهما"⁵.

يقول "يهدل بن قرفة الطائي"⁶:

فَيَقْتُلُ جَبْرًا لَامِرِيٍّ لَمْ يَكُنْ لَهُ... بَوَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَكَايِلُ بِالِدِّمِ

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (ألا وجه الحبيب غاب):⁷

¹ ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 60.

² سورة المطففين، الآيات 1-3.

³ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي و عبد السند حسن بمامة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2001م، ج 24، ص 186.

⁴ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج 2، ص 151.

⁵ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 808.

⁶ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين و عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1991م، ص 213.

⁷ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 112.

ارْتَفَعُوا لِلشَّرَاعِ اغْضَاب... الْمِيزَانَ انْتَصَبَ وَأَحْضُرْ مِكيَالَهُ

يضرب الشّاعر من أرض الواقع أمثالا، يسوقها في قالب شعري منظم، للعبارة فيحدثنا عن أخوين أحدهما بخيل عاصي، والثاني تقي قنوع، زاد الله في أموال الثاني ورزقه من حيث لا يحتسب، وعوقب الأول بجرمانه من كلّ ما يملك، وكان هذا المقصود من قوله (ارتفعوا للشّراع اغضاب)، مثلت أعمالهم لشّرع الله تعالى فظهر الحقّ وانتصب ميزان العدل، ولهذا فكلمة (مكيال) هنا لا تحيلنا على مجرّد الآلة المعدّة للكيل، وإنما يراد من ورائها تحقيق الموازنة العادلة في القضاء، فلقد جعل الله تعالى مكيالا للمادّيات ومكيالا آخر محسوس لأعمالنا، ورمز باللفظ في البيت إلى الحقّ

ب/ السنّجة:

من الفعل الثلاثي سنج، والسنّاج أثر الدّخان على الجدار ونحوه¹، "وكلّ ما لطخت شيئا بشيء فقد سنّجته"²، وجاء لفظ (السنّجة) مكتوبا بالصّاد (الصنّجة) في معجم "لسان العرب"، "وصنّجة الميزان وسنّجته لفظ فارسي معرّب"³، ويقال "اتّرن مّي بالسنّجة الرّاجحة، سنّجة الميزان مفتوحة وبالسنّين أفصح من الصّاد"⁴، وهي أثقال تعارف النّاس عليها، تستخدم لتوضيح ثقل ما

¹ ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 282.

² المصدر نفسه، ص 282

³ ابن منظور، لسان العرب، ص 2507.

⁴ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، ج 6، ص 49.

يوزن¹، وتصنع من حديد ونحوه، بها يعرف الوزن الحقيقي لما يراد وزنه، والسَّنْجَة اسم فارسيّ أصله صنْجَة²، أي عيار الميزان.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (نرغب المعين المبدي):³

نَوْزَنَه بِالسَّنْجَةِ وَيَدِي... وَلَا نَزِيدُ لِلْحَدِّ عِبَارًا، يَا الْمُخْتَارَ

قصائد شعر "بن خلّوف" من الذهب الخالص، وكلماته ابريز، هكذا شبّه الشاعر نظمه وقد وزنه بالسَّنْجَة المخصّصة للوزن، ويريد من وراء هذه اللوحة أن يطلعنا على كيفية نظمه الشعر، فيختار الكلمات المعبّرة والوزن اللائق لها، فلا يزيد ولا ينقص من ذلك شيء، لأنّ قصائده من حيث تجانس أبياتها وتآلف كلماتها ميزان في اعتدال كفتيه، دلّت كلمة السَّنْجَة على الدقّة في اختيار اللفظ المفروز والمعاني الموحية.

6/ ما دلّ على اللباس وغطاء الرأس:

أ/ عمامتي: أي عمامتي:

عمامة من الفعل عمّ: عمّ الشيء، عموماً شمل وعمّ النبات: طال، وعمّ الناس بالخير، أكرمهم⁴ ووسعهم بفضلهم⁵، وعمّ الرجل رأسه عمّا: لقه بالعمامة وغطّاه، والعمامة كلّ ما يلفّ على الرأس، وهي دفيء من قسوة الشتاء ووقاية من حرارة الصّيف و "ذكرت العمامة عند أبي

¹ ينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية، ص 310.

² ينظر: أدي شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص 95 و ص 108.

³ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 151.

⁴ ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 629.

⁵ ينظر: رفائيل نخله اليسوعي، المنجد في المترادفات والمتجانسات، دار المشرق، لبنان، ط 3، ص 156.

الأسود الدوّلي فقال: جنّة في الحرب، ، وكنت في الحرّ ووقار في التّدى، وشرف في الأحدوثة وزيادة في القامة وهو (بعد) عادة من عادات العرب".¹

وكانت العمامة ولا تزال رمزا للعروبة، وجسرا نتبعه لكشف الجانب الاجتماعي لحضارات عريقة عبر التاريخ، إذ يترجم غطاء الرأس وطريقة لقه شخصية الإنسان في حدّ ذاته، ويعكس معالم البيئة المعاشة بعاداتها وتقاليدها.

ويقودنا "بن خلّوف" في قصيدة (ابقاوا بالسلامة) لقراءة بسيطة في شخصية الرّجل والتّعريف على عادات ذلك الرّمن، إذ يتخذ الرّجل من العمامة، غطاء للرّأس يقيه من تغيّرات الطّبيعة وهيبة ورهبة، وتعبيرا عن معاني الرّجولة والأصالة، يقول:²

أَنْتُ يَا مُحَمَّدَ عَمَمَ بِعِمَامَتِي... تَضْحَى لَكَ هَيْبَةً لِمَنْ يَرَاهَا

ب/ شملتي: أي شملتي: الشّملة:

من الفعل اشتمل، يشمل، اشتمال، واشتمل ثوبه: لقه على جسده، والشّملة: "ثوب يديه على جسده كلّ لا يخرج منه يده"³، ولما سأل عمر رضي الله عنه رجلا من علماء اليهود عن صفة النّبي صلى الله عليه وسلم أجابه: "من صفته أنّه يلبس الشّملة".⁴

وهي شقّة من كساء من صوف أو شعر أو قطن، يتغطّى به ويتلفّف، ويتوشّح بها ويتلقّع.⁵

¹ - أبو اسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط 1، 2001م، المجلّد الرابع، ص 177.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 192.

³ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 357.

⁴ - جار الله محمود بن عمر الرّمحشري، الفائق في غريب الحديث، ص 262.

⁵ - ينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية، ص 332.

جاء ذكرها في الديوان مرّة واحدة في وصيّة الشّاعر: قصيدة (ابقاوا بالسلامة):¹

وَأَنْتُ الْحَبِيبُ وَلُدِّيَّ نُظْفَةَ مِنْ الْكَابِدَةِ حُذْ شَمَلْتِي وَبِرَائِيسِ الصُّوفِ

وعبارة (نظفة من الكابدة) متداولة في بعض المناطق تعبيراً عن المحبّة ومكانة من نخصّه بالحديث.

ج/ برانيس الصّوف:

أي برانيس الصّوف، واحدة برنس وهو كلّ ثوب رأسه منه، ملتزق به²، يصنع من "نسيج وبري، يمتصّ الماء وعادة ما يلبس بعد الخروج من الماء"³، يخاط على شكل قلنسوة طويلة تقي برد الشتاء القارس، انتشر ارتداؤه في صدر الإسلام خاصّة.⁴

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 192.

² - مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص 52.

³ - عبد المنعم سيد عبد العال، معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربيّة، ص 128.

⁴ - ينظر: سعيد خوري الشرتوي اللبّاني، أقرب الموارد في فصح الشوارد، ص 40.

الفصل الرابع الأسماء الدالة على الوسائل التي يستعملها الإنسان في ديوان "سيدي الأخضر بن خلّوف"

ويخصّ هذا اللباس العرب وحدهم، إن لم نقل المسلمين وحدهم، إذ لا وجود له في حضارات الغرب، ويعبّر عن روح الأصالة ويكشف عن خصوصيات ثقافية تختلف من حضارة لأخرى، فللبرنوس تاريخ عريق ظهر بظهور الإسلام، ويصنع من الحرير أو من الصّوف، كما تختلف ألوانه ونقوشه.

ويذكر الشّاعر هذا اللباس التقليدي المصنوع من الصّوف في قصيدة (ابقاوا بالسلامة) بصيغة الجمع، شاهدا على ميوله لهذا اللون من اللباس، إذ له برانس عديدة خلقها لابنه الحبيب، ولعلّ في ذلك مغزى يستخلص من لبسه له، إذ يدفعه للتمسّك بالعروبة والمحافظة على التقاليد والتشبّث بالدين.

دلّت كلمتي (شملي) و (برانيس الصّوف) على أشكال مختلفة من الألبسة التي أورثها "بن خلّوف" لولده، عكست المفردتان دلالات حسية أخرى سبق الإشارة إليها.

7/ ما دلّ على وسائل الزينة:

أ/ الخاتم:

ختم، يختم، ختما وختاما، أي: طبع، فهو "مختوم وختم شدّد للمبالغة، والخاتم الفاعل، والختم على القلب ألا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء كأنه طبع"¹، وختم الكتاب: قرأه كلّ وأتمه "وختم الصك: وضع عليه نقش خاتمه حتى لا يجري عليه التزوير"².

والخاتم حلّي للأصبع مصنوع من معادن مختلفة قد يزيّن بنقوش منوّعة، وقد يثبت فيه العقيق أو الجواهر لزيادة جماله، استعمل قديما لأغراض منوّعة: أنسا للوحدة "قال عيسى بن هشام: فما أنستني في وحدتي إلا خاتم ختمت به خنصره"³، ووسيلة للزينة والجمال، يقول الناظم في وصف خاتم:⁴

تَرَى فِيهِ لَأَمَّا فَوَزْدَةَ فَوْقَ وَرْدَةٍ... وَفَصًّا مِنْ يَأْقُوتٍ مِنْ فَوْقَ خَاتِمٍ

أمّا كلمة (الخاتم) التي جاءت في الديوان، فأتخذت معنى مغاير من كلّ هذا، إذ دلّت على الطّبع، لأنّ أصل (الختم) هو الطّبع، والخاتم هو الطّابع، وتفيد الكلمتان في اللّغة معنى واحد، هو التّغطية على الشّيء والاشتياق من ألا يدخله شيء⁵، أمّا خاتم الرّسول عليه الصّلاة والسّلام فيوحي بالثّبات على الإيمان والوسم بسمه الإسلام بشقّ صدره الشّريف عليه الصّلاة والسّلام.

"إخراج القلب منه وشقه أيضا، وإخراج حظّ الشّيطان منه حتى لا يكون لعين الشّيطان الرّجيم له تسلّط على قلبه صلى الله عليه وسلم، ألا ولو كان له تسلّط على قلبه الشّريف

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 1101.

² - سعيد الخوري الشرتوني اللّبناني، أقرب الموارد في فصيح الشّوارد، ص 237.

³ - أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط 1، 2001م، المجلّد الثالث، ص 112.

⁴ - المصدر نفسه، ص 114.

⁵ - ينظر: جنان منصور كاظم الجبوري، التّطوّر الدّلالي في النصّ القرآني (دراسة بلاغية)، رسالة دكتوراه مخطوط، جامعة بغداد، كلية التّربية ابن رشد، 2005م، ص 147.

لاختلطت وسوسته بالوحي الإلهي، ولم يستطع صلى الله عليه وسلم التمييز بينهما¹، فكان من الحكمة الإلهية إجراء هذه العملية الملائكية، وملاً قلبه بالإيمان والصّفاء والحكمة، وقد وقع شقّ الصّدر مرّتين، مرّة في طفولته صلى الله عليه وسلم فنشأ معصوماً من همزات الشيطان ومرّة أخرى في ليلة الإسراء زيادة في إكرامه، ليتلقّى ما يوحى إليه بقلب طاهر و "ليتأهّب للوفود إلى الملاء الأعلى، ولمناجاة الربّ عزّ وجلّ، والمثول بين يديه تبارك وتعالى".²

حصر "بن خلّوف" هذه العملية الإلهية الروحية في لفظ (الخاتم)، معيدا الكلمة سبع مرّات، يقول في قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة):³

يَا سَعْدِي بِمَدِيحِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ... صَلَّى اللَّهُ عَلَى الْإِمَامِ صَاحِبِ الْخَاتِمِ

وفي قصيدة (دقة الحب):⁴

لِسَيِّدِ الْعِبَادِ فَضْلَهُ رَبِّي الْجَوَادِ... جَيِّدُ الْأَجْوَادِ لِلْمُصْطَفَى بُوِ خَاتِمِ

(بو خاتم) هي (أبو خاتم) حذفت الألف تسهيلاً للنطق، والخاتم هو خاتم النبوة رمز الطّهارة والصّفاء الأبدي، فهي خاتم محمد صلى الله عليه وسلم التي تختلف عن خواتم الدنيا كلّها، عكست الكلمة دلالة حسية فيها من الحكمة والهدى والمعجزة الكثير، وكناية عن رسوخ الإيمان والهداية.

8/ ما دلّ على وسائل السّفور:

¹ ابن خليفة العليوي، معجزات النبي المختار من صحيح الأخبار، ص 49.

² عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج 3، ص 418.

³ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 125.

⁴ المصدر نفسه، ص 106.

أ/ السفينة: السفينة:

للجذر سفن "أصل واحد يدل على تنحية الشيء عن وجه الشيء، كالتقشر"¹، يقول "امرؤ القيس" في ديوانه:²

وَجَاءَ خَفِيًّا سَيْفُنُ الْأَرْضِ بَطْنُهُ... تَرَى التَّرْبُ مِنْهُ لَأَصِقًا كُلُّ مُلْصَقٍ

والسفن "الجلد الذي يجعل على قوائم السيوف وإنما سمي سفنا لخشونته ومنه اشتقاق السفينة لأنها تسفن الماء كأنها تقشره"³، والسفينة معروفة "والسفن صاحبها... والسفن جمع سفينة"⁴، وسفن تعني المركب في البحر⁵، وهي الفلك الذي يجري فيه للصيد أو لنقل البضائع ويستعمل أيضا للتنقل، والحروب.

وهذه الوسيلة ابتكار بشري، طوعها الإنسان لخدمته في المواصلات أحيانا وأحيانا أخرى "تتحول إلى معجزة بفعل الخالق المقتدر لتخط الأنواع البشرية والحيوانية، كما حصل في قصة سيدنا نوح عليه السلام"⁶، يقول الله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ١٥﴾⁷، وفي

¹ أبو الحسين أحمد بن فاس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 78-79.

² ديوان امرؤ القيس، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 2004م، ص 131.

³ محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، ج 3، ص 39.

⁴ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان، ط 3، 1984، ج 5، ص 2136.

⁵ محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار التنوير، القاهرة، ط 2، 1968، ص 269.

⁶ شذى معيوف يونس الشماخ، الآلة والأداة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير مخطوط، جامعة الموصل، 2005م، ص 132.

⁷ سورة العنكبوت، الآية: 15.

هذا المعنى يقول "بن خلّوف" في قصيدة (الرّشيد مصباحي)، موظفاً لفظ (السّفينة) أربع مرّات في ديوانه، منها مرّتين بصيغة الجمع.¹

يَا مَسَلِّكَ الْغَارِقِ... مِثْلُ سَفِينَةِ نَوْحٍ مِنْ رُكْبٍ فِيهَا نَاجِي

جاء ذكر السّفينة على سبيل الرّمز إلى النّجاة والأمان والسّلم.

وفي نظم (قصة مزگران) يلبس الشّاعر كلمة (السّفينة) حلو جديدة من المعاني يقول:²

تَرَى سَفُونَ الرُّومِ مُحْتَرِسَةً... صَبَّحُوا فِي الْمَنَاءِ أَعْدَايَ الدِّينِ

يحدّثنا "بن خلّوف" عن عتاد التّصاري الذين أعدوه لمعركة مزگران، ضمّ آلات حربية ضخمة سخّرت لتنفّلهم وأسلحتهم إلى ميناء مستغانم.

و (سفنون) هي (سفنون) في الفصحى جمع (سفينة) حملت دلالة مغايرة للأولى، ترجمت معاني الخطر وإعلان الحرب.

وبعد أن منى الجيش الإسباني بهزيمة نكراء وتحطّم أسطولهم البحري، يقف "بن خلّوف" لينقل لنا حالة سفنهم التي أصبحت أشلاء ولم تتمكّن من الصّمود فوق ماء البحر، يقول:³

صَبَّحَتْ بُرُوجُ الرُّومِ سَفْنَ عَلِيلٍ... لَمْ تُجْبِرْ مِنْ فَوْقِ بَحْرِ الْمَوْجِ

(سفن) هي (سفن) جمع سفينة وصفها الشّاعر بإنسان مريض، دلّت الكلمة على التّحطّم والهزيمة.

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 91.

² - المصدر نفسه، ص 182.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 186.

9/ ما دلّ على وسائل الطرب والتّسلية:

أ/ الدفّ:

أي (الدفّ) بتشديد الفاء، والدفّ بضمّ الدالّ لغة أهل الحجاز¹. جمعه دفوف، وهو آلة طرب يضرب عليها.

ب/ الرّباب:

أي (الرّباب) "آلة وترية شعبية ذات وتر واحد"²، وردت الكلمتان في قصيدة (لو لا أنت) في قوله:³

بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ... وَالْكَفُّ مَعَ الدُّفِّ وَالرَّبَابِ الْحَنِينِ

أحبّ الشّاعر مزج المديح بالرّباب والدفّ، عكست الكلمتان جوّ الاضطراب والفرح الذي ساد البيئة التي سكنها "بن خلّوف" آنذاك، وجاء الاسم الأخير في ديوانه مرّة واحدة فقط حين تكرّرت كلمة (الرّباب) أربع مرّات.

ويوظّف "بن خلّوف" كلمة (الرّباب) للدلالة على معاني حسية، يقول في قصيدة (محمد راحة العقاب):⁴

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 35.

² - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 321.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 164.

⁴ - المصدر نفسه، ص 118.

معكوف القوس كالرّباب... مكبوب أحرّس لن يزور الإلحاد

يَوْمَ الحِسَابِ وَالْعِقَابِ

وقريب من هذا المعنى ما جاء في قصيدة (لو لا انت):¹

زَدْتُ أَعْكَافَ الأَرْضِ مُعْتَكِفٌ كَالرَّبَابِ...وَإِذَا طَالَ العُمُرُ قَالَ تَشْرِي عَلَيْنَا

يصوّر الشّاعر حاله لما كبر وأصبح عاجزاً، منحني الظّهر، منعكفا كالقوس والرّباب في

استدارتهما.

10/ ما دلّ على وسائل أخرى:

أ/ مفتاح:

من الفعل الثّلاثي (فتح) يفتح فتحاً، وهو خلاف الإغلاق يقول الله عزّ و جلّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾²، والفتح النّصر والصّلح وقد يكون أخذ الشّيء عنوة³، والمفتاح هو الأداة المستعملة لفتح الأقفال، وقيل أنّ "مفاتيح البحر السّفن، ومفاتيح الأرض الطّرق ومفاتيح السّماء الدّعاء"⁴ ومفتاح الباب "الإقليد والجمع: المقاليد على غير قياس"⁵، وفواتح السّور أوائلها، ومن المجاز قولهم: "فناء الله فسح وباب الله فتح"⁶، أي فتحت أبواب الرّزق والدّعاء لعباد الله تعالى،

¹ - المصدر السابق، ص 70.

² - سورة الفتح، الآية 01.

³ - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1983م، ج 3، ص 64.

⁴ - أبو الفرج بن زكريا التّهراوني الجريري، المجلس الصّالح الكافي والأنيس الصّالح الشّافعي، تح: إحسان عبّاس، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1987م، ج 3، ص 94.

⁵ - ابن سيده اللّغوي، المخصّص، السّفر الخامس، ص 132.

⁶ - الرّمحشري، أساس البلاغة، ج 2، ص 04.

الفصل الرابع الأسماء الدالة على الوسائل التي يستعملها الإنسان في ديوان "سيدي الأخضر بن خلّوف"

ومن أسمائه الحسنی جل جلاله: الفُتّاح، ومعناه الحاكم بينهم¹، وفتحة الكتاب هي السّورة الشّريفة التي يفتتح بها القرآن الكريم، وكان من حكمته عزّ و جلّ أن جعل لاسم (فتحة) مكانة خاصّة، فعومل اللفظ "معاملة الأسماء الجنسية ثمّ أضيف إلى الكتاب ثمّ صار هذا المركّب علما بالغلبة على هذه السّورة"².

يقول الشّاعر "عبد الله بن محمد" المعتز بالله في ديوانه، مادحا أحد أصدقائه³:

شَقَقْتُ لَهُ صَدْرِيَّ عَنِ السِّرِّ أَنَّهُ... خِزَانَةُ سِرِّ أَعَجَزْتُ كُلُّ فَاتِحِ

والمفتاح هو الوسيلة المادية التي تفتح مغلقات محسوسة أيضا، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ من النّاس مفاتيح للخير مغاليق للشرّ، وإنّ من النّاس مفاتيح للشرّ مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشرّ على يديه"⁴، ومحمد عليه الصّلاة والسّلام هو مفتاح خير الأمة كما قال "بن خلّوف" في قصيدة (لو لا أنت):⁵

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يَا كَرِيمَ الْكَرَامَا... يَا مِفْتَاحَ الْخَيْرِ يَا غَانِيَّ كُلِّ سَاسِي

وسنة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام هي مفتاح خيرات الدّنيا والآخرة على حدّ سواء، ومن اقتدى بها حاز على السّعادة وأغلق باب الشّقاوة.

وفي قصيدة (ألف استمثلوا كلامي) يقول:⁶

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص 3339.

² - منيرة محمد ناصر الدّوسري، سور القرآن وخصائصها، ص 99.

³ - ديوان أشعر الأمير أبي العباس، تح: محمد بدیع شريف، دار المعارف، مصر، ج 1، ص 469.

⁴ - محمد ناصر الدّين الألباني، سلسلة الأحاديث الصّحيحة، رقم الحديث: 1337، ص 244.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 65.

⁶ - المصدر نفسه، ص 57.

الرِّيحُ كَثِيرٌ وَالْعِبَادُ رَاهَا حُبًّا... نَسُوا مِفْتَاحَ بَابِ جَنَّةِ رَضْوَانِي

ابتعد النَّاسُ عن القيمِ وتعاليمِ الدِّينِ الإسلاميِّ، فنسوا دينهم مفتاحِ الجنَّةِ، وكلمة مفتاح هنا رمز للدِّينِ الإسلاميِّ (القرآن والسنة).

أمَّا في نظم (نبتدا الكلمة) يقول:¹

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجِنَانِ... جَنَّةُ الْخُلْدِ الْفِرْدَوْسَ تُسَمَّى

توحيد الله جلّ جلاله هو أحد المفاتيح لدخول الجنَّةِ، واستعمال الكلمة (مفتاح) يوحي أنّ هناك مستغلق، يستوجب فتحه بطريقة ما، هي جنَّة الخلد ومفتاحها هو السنَّة الشريفة وكتاب الله تعالى، لم تشر كلمة مفتاح إلى مجرّد الأداة المعروفة، وإمّا دلّت على أعماق من ذلك، إمّا السرّ لا بتغاء مرضاة الله تعالى.

المبحث الثالث: ما دلّ على وسائل القيد، القطع والحفر والقتل في ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف.

1/ ما دلّ على أدوات القيود:

أ/ الحبل:

أي الحبل: من الفعل الثلاثي حبل و "الحبل الرّسن والحبل: العهد والأمان، والحبل التّواصل"²، قال "الأعشى"³:

وَوَفَاءُ إِذَا أَجَرْتُ فَمَا غُرْتُ حَبَّالَ وَصَلَّتْهَا بِحَبَّالَ

¹ - المصدر السابق، ص 164.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 281.

³ - ديوان شعر الأعشى ميمون بن جندل، شرحه أبو العباس، دار النّشر غير متوفّرة، 1927م، ص 10.

والحبل مستطيل من الرّمل، أمّا الحبل فهو: الدّاهية¹، وجاء في كلام العرب: أرشيت الدّلو، جعلت لها رشاء أي: صنعت لها حبلا وعصمت القرية، جعلت لها عصاما²: والحبل مفرد حبال واحبل وحبول وأحبال، ويطلق على ما فتل من ليف أو لحاء الشّجر أو قماش ونحوه لمأرب شتّى، كالرّبط والتّسلّق أو لغرض السّحب، ليقاد به وغيرها، ولهذا الغرض الأخير يوظّف "بن خلّوف" (الحبل) في قصيدة (قصّة مزگران) مشبّها سحب جتّة قائد الإسبان من طرف الجنود بالدّئاب وهي تتكالب لسحب فريستها، يقول: ³

فرغنسا بالحبل محزوم... وَيُغِيثُوهُ أَذْيَابَ الْفَرْمَةِ

عكست كلمة (الحبل) معاني التّقييد والرّبط والسّحب، وهي دلالات تحيلنا لتصور الحالة المزرية للضّابط الإسباني، وهو مكبل مقيد.

ومن هذا الوصف يتراءى لنا معنى التّحقير والانحطاط والاستلام والهزيمة، الذي فسّر بكلمة (حبل).

ب/ سلاسل:

جمع سلسلة، اسم مشتقّ من الجذر (سل) الذي يشير إلى مدّ الشّيء في خفاء ورفق، ثمّ حمل عليه، ومن ذلك قولهم الأسلال من أسل يسل إسلاالا، أي السرقة والرّشوة⁴، والسلسلة اتّصال الشّيء بالشّيء، وبذلك سمّيت سلسلة الحديد لأنّها ممتدّة في اتّصال⁵، يقول الله عزّ وجلّ:

¹ - ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مجمل اللّغة، ج 1، ص 262.

² - ينظر: ابن سيده اللّغوي، المخصّص، السفر التاسع، ص 120.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 186.

⁴ - ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصّحاح، ج 5، ص 1731.

⁵ - ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 3، ص 60.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾¹، أي مجموعة حلقات من حديد ونحوه يدخل بعضها في بعض.²

يقول الشاعر في قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة) متحدّثا عن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب مستوحى من القصّ القرآني:³

قَالُوا بِهَذَا الْعَدُوِّ نَضْحُوا قَفْرًا... بِسَلَّاسِلٍ مِنْ حَدِيدٍ جَاوَا الْحَزِيَانِ

ويواصل نظمه:⁴

بِسَلَّاسِلٍ مِنْ حَدِيدٍ شَدَّوهُ الْكَفَّارِ... عَلَى ظَهْرِ زَايِلَةٍ سَارَتْ بِهِ تَهَوُّمٍ

يوحي السياق الشعري للفظ (سلاسل) في البيتين إلى تحوّلها لأداة للعقاب، بمادّتها المشكّلة من الحديد الصّلب، ويدلّ (الشّدّ) في قوله (شدّوه) على القبض والإحكام في التقييد، ولعلنا نتصوّر حالة هذا الغلام الذي لقبه الكفّار بقولهم (العدو) كما في البيت الأوّل، الذي أبي أن يبدّل دين الإسلام ويرجع عن ملّته، فعوقب بالأسر والتّعذيب.

يرصع "بن خلّوف" معاني نظمه من الذّكر الحكيم، يقول في قصيدة (ألا وجه الحبيب غاب):⁵

مَا بَعْدَ عَذَابِهِ عَذَابٌ... بِسَلَّاسِلِ الْحَدِيدِ زَايِدَ غَلْغَالِهِ

¹ - سورة الحاقة، الآية 32.

² - ينظر: مجمع اللّغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج 1، ص 582.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 124.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 124.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 112.

(بسلايسل) أي (بسلاسل) في الفصحى، و(غلغاله) من (الغلّ) وهو طوق من الجلد أو الحديد، يجعل في عنق الأسير أو يديه، وقد يجعل فيهما معا.¹

ومعنى البيت مستخرج من قوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَؤِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ٧١﴾²، وقوله أيضا: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَعْلًا وَسَعِيرًا ٤٤﴾³، فكانّ الشاعر يعيد صياغة ما حفظه من الذكر الحكيم في قالب شعري يفهمه العامّ والخاصّ.

والسلاسل في البيت هي أداة من أدوات التعذيب والعقاب للكفرة الفجرة، ووسيلة لتحقيرهم وإهانتهم، بتقييدهم بأغلال متصلة بالسلاسل فلا يستطيعون المشي وإنما يسحبون سحباً كالبهائم التي تقاد لحتفها.

2/ ما دلّ على وسائل القطع والحفر:

أ/ الفأس:

أي (الفأس): من الفعل الثلاثي فأس "قال: فأسه يفأسه أي يفلقه"⁴ جمع فؤوس وأفؤس، والفأس أداة تستعمل لقطع الخشب وشقّها وحفر الأرض وغيرها، "لها رأسان واحدتها حدأة مثل فعلة"⁵ ذات يد ملساء من خشب ويد عريضة من حديد.

¹ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 660.

² - سورة غافر، الآية 71.

³ - سورة الإنسان، الآية 4.

⁴ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 298.

⁵ - ابن سيده اللغوي، المخصّص، السفر الحادي عشر، ص 24.

جاء ذكر الكلمة في ديوان "بن خلّوف" بمعناها الحقيقي، باعتبارها وسيلة يعتمد عليها في الحفر، يقول الشاعر في قصيدة (الهارب قط ما ينام):¹

فِي دَارِ اللَّحْدِ نَنْدِفَنَّ مِنْ ذَاكَ لِذَاكَ... بِأَلْفَاسٍ وَكَثْرَةِ الْيَدَيْنِ

ب/ المسحات:

أي المسحاة من الفعل مسح، يقال للمريض: مسح الله عنك المرض أي أذهبه الله عنك وأزاله. ورجل ممسوح الوجه، لم يبق على شقي وجهه عين ولا حاجب إلا استوى² والمسحاة: "الخشبة المعترضة في نصابها التي يعتمد عليها الحافر برجله".³

أما في قصيدة (قصّة مزگران) يقول "بن خلّوف"، موظفا كلمة (المسحات) بمعناها المعروف:⁴

احتنطوا بِأَلْفَاسٍ وَالْمَسْحَاتِ... لَنْ وَجِدُوهُ مِنَ الثَّرَى جَابُوهُ

3/ ما دلّ على وسائل القتل:

أ/ السّهم:

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 153.

² - ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 139.

³ - ابن سيده اللّغوي، المخصّص، السفر الحادي عشر، ص 26.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 186.

عود خشبي يسوى في طرفه نصل يرمى به عن القوس، "فأول ما يقطع السهم يسمّى قضيبا فإذا مرّت عليه الطريدة فهي نضي وقدح ما دام ليس عليه ريش ولا عليه نصل فإذا راشوه بلا نصل فهو المنجاب والملجاب".¹

وظّف الشاعر كلمة (السهم) للتعبير عن مدلولات عديدة، مكرّرا الكلمة ثماني مرّات، منها أربع مرّات بصيغة الجمع منها ما جاء في قصيدة (نبتدا الكلمة):²

تَابِعِينَ السَّنَةَ بِالصِّدْقِ وَالسِّهَامِ... فِي بَدْرِ وَحَنِينٍ اتَقَرَعَتْ طُبُوهَا.

يذكرنا الشاعر بانتصار المسلمين في غزوتي بدر و حنين، وفرحة أولئك الأبطال بذلك النصر المبين، مجاهدين تمسكوا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً ونيةً وجهاداً.

دلّت كلمة (السهم) أي (السهم) في الفصحى، على الجهاد في سبيل الله.

ويواصل قوله:³

إِفْتَكَرَ يَوْمًا تَاتِيكَ الْمَوْتَ كَالسِّهَامِ... بَعْتُهُ تَاتِيكَ مِنْ بَعْدَ بَعْدِهَا

شبه الشاعر الموت بالسهم في سرعتها ومباغتتها، عكست هذه الأخيرة سرعة أشبه بلمح البصر.

وفي قصيدة (بك طابت الأثمار)، يترجم اللفظ معنى جديدا:⁴

¹ - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، كتاب جمهرة اللغة، ج 3، ص 458.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 164.

³ - المصدر السابق، ص 165.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 102.

مِنْ بَحْثٍ عَن حَاجَةِ تَعَدُّ لَه نَصِيبٌ... مِنْ سَمَحٍ فِي سَهْمِهِ مَا رَأَيْتَ مَا حَظًا

تكتب للساعي في فعل الخيرات الحسنات حتى وإن لم يحقق مبتغاه، فالنية تسبق الفعل، عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في معنى حديثه، أن الأعمال بالنيات، أما من لم يتخذ الأسباب للعمل الصالح فليس له نصيب في شيء.

جاء لفظ (سهمه) بمعنى نصيبه وحظّه من الخيرات الكثيرة، وذلك ما ذهب إليه ابن الزيدون "أيضا في قصيدة (وصف الطيعة):¹

فَلَمْ يَكْ حَظِّي مِنْكَ الْأَخْسُ... وَلَا عَدُّ سَهْمِي فِيكَ الْأَقْلُ

ب/ القوس:

جمع أقواس وقسي²، آلة تشبه الهلال في شكلها، على هيئة نصف دائرة، ترمى بها السهام "وخير الشجر لصنع القوس شجرة التبع، ولكن هناك أشجار أخرى كانت تصنع منها القسي ويرد ذكرها في الشعر الجاهلي منها: الشريان، ويعرفونه بقولهم: هو شجر ينبت في الجبال وقال بعضهم هو نبات السدر نفسه"³، كما استعارها الشعراء مثلا في تشبيهاهم خصوصا ما جاء فيها من نعت الحواجب، يقول شاعر بغداد "أبي الشّيص"⁴⁻⁵:

¹ - ديوان ابن الزيدون، دراسة وتهديب: عبد الله سنرة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م، ص 39.

² - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 766.

³ - سوسن يموت، مشاهد الصيد في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الأمريكية في بيروت، 1985م، ص 78.

⁴ - السري بن أحمد الرّفاء، الحبّ والمحبوب والمشموم والمشروب، كتاب المحبوب، تح: مصباح غلاوبجي مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986م، ج 1، ص 78.

⁵ - المرجع نفسه.

حَدَّرَتِ الْهُوَى حَتَّى رَمَيْتُ مِنْ الْهُوَى... بِأَصْرَدِ سَهْمٍ فِي قَسِيٍّ الْحَوَاجِبِ

رَمَيْنِ فَأَصَمَّيْنِ الْقُلُوبَ مَكَانَهَا... وَتَخَطَّيْ يَدَ الرَّامِي لَهُ فِي الْمَغَائِبِ

كما أوردوا لها مرادفات كثيرة في وصفها وتسميتها، فمن أسمائها: الإشاحة* والحنية*، والشدف*¹ وغيرها كثير.

وظّف "بن خلّوف" نفس المفردة للدلالة على انحناء الظهر كما سبق ذكره في حديثنا عن الرّباب، مكرّرا الكلمة خمس مرّات، أربع منها بصيغة المفرد، ومرة جمعا.

وفي قصيدة (قصّة مزغران) يصف الشّاعر عدّة المسلمين الذين خرجوا لقتال الإِسبان، يقول مفتخرا:²

إِحْتَاطُوا بِالْأَمِيرِ شَنْظَاطُوشٍ... بِالشَّلِّيَّةِ وَالْقَوْسِ وَالبَطَاشِ

ج/ الشّلية:

من الفعل شلّ: "يس فبطلت حركته أو ضعفت"³، اسم سلاح يفتك... بالعدوّ.

د/ البطاش:

*- الإشاحة: من أسماء القوس لأنّ صاحبها يتوشّحها توشّح السيف.

*- الحنية: سميت بذلك لأنّها منحنية.

*- الشّدف: العوجاء، واحدها شدفاء.

¹- ناهد جعفر، عدّة الحرب في الشّعر الجاهلي، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1985م، ص 181.

²- ديوان سيدي الآخر بن خلّوف، ص 182.

³- مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 492.

من الفعل بطش مصدره البطش ويعني "الأخذ الشّدِيد في كلّ شيء"¹ و (البطاش) آلة حرب تأخذ بالعدوّ أخذًا وتفتك به فتكا من بعد.

يؤكّد الشاعر أنّ العمل بالقرآن والسنة هو أنفد وأحكم من قوس رام بارع، في مدحه للرّسول صلى الله عليه وسلم، في قصيدة (محمد خير الأنام):²

هِيَ أَسْرَعُ مَنْ قَوْسِ رَامِي... وَأَنْفَدَ مِنْ كُلِّ سِهَامِ

(قوس) هي (قوس) في الفصحى، يريد بها السّريعة في التّدبير والحكم.

وفي نظم (أويّك راه علم شيب) يقول متحدّثا عن جبار عنيد من الأوّلين، أفنى حياته في بناء القصور وتشييدها، ناسيا أنّ البناء لدار الفناء لا يدوم.³

مِيَاهُ عَامٍ يَرْصَعُ دُوكَ الْأَقْوَاسِ... وَمِيَاهُ عَامٍ تَزْوِيْقٍ لِلدَّارِ الْمَادِمَةِ

الأقواس جمع (قوس) وتعني الكلمة في هذا المقام ما بني على شكل نصف دائرة، وهي أشكال تصنع لتزيين المباني بأنواعها.

كانت المعادن رموزا مثلّت مفاهيم مختلفة في ديوان "سيدي الأخضر بن خلّوف" جعلها الله سبحانه وتعالى كنوزا محبّبة في جوف الأرض لحكمة منه جلّ و علا، وإنّ لهذه الأرض التي يفتريتها الإنسان دلالات عميقة نراها بحول الرّحمن في الفصل الموالي.

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 145.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 174.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 174.

الفصل الخامس:

الأسماء الدالة على الطّبيعة ومظاهرها في ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف

المبحث الأوّل: ما دلّ على السّماء والأرض.

المبحث الثّاني: ما دلّ على الفصول والشّهور والأيام والليالي.

المبحث الثّالث: ما دلّ على الحيوان والنبات.

المبحث الأوّل: ما دلّ على السّماء والأرض

1/ ما دلّ على السّماء وما فيها:

أ/ نجوم: النّجوم:

جمع نجمة و "النّجم اسم يقع على الثّري، وكلّ منزل من منازل القمر سمّي نجما وكلّ علم من أعلام الكواكب يسمّى نجما"¹، وجمع لفظ النّجوم الكواكب كلّها، والنّجم من الأجرام السّماوية المضئئة بذاتها، كالشّمس ثمّ خصّص الثّريا، وأصبحت الكلمة تطلق على الوقت المناسب لأداء عمل ما أو تسديد دين²، فاهتمّ العرب بها وأحصوا أوقات طلوعها وقسّموها ودرسوها وأوردوا لها ألفاظا، واستشهدوا بأسماء بعضها في دواوينهم، على الرّغم من علوّ منزلتها وعظم جرمها، يقول "أبو علاء" مؤكّدا أنّ تصغير الأسماء لا يدلّ بالضرّورة على تصغير المسمّيات:³

إِنَّ ثُرَيَّا النُّجُومُ تُسَمَّى بِثُرَى... وَسُهَيْلُ السَّمَاءِ يُدْعَى بِسَهْلٍ

وللنّجوم معان عديدة، فالنّجم هو العشب والنبات ممّا لا ساق له، كاليقطين والبطيخ والنّجم الطّهور والتّبوغ، والنّجم الاهتداء والتدبّر⁴، ولما كانت الكلمة أنسب للمعنى الأخير وأوصل لمفهومه

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 195.

² - ينظر: مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسط، ص 905.

³ - جاسم سليمان حمد الفهيد، التّوظيف الفئّي للنّجوم والكواكب في شعر أبي العلاء، مجلّة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة الكويت، الحولية الخامسة والعشرون، الرّسالة التاسعة والعشرون بعد المتّين، 2005م، ص 84.

⁴ - ينظر: محمد التّونجي، المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م، ص 265-266.

استعارها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلامه: "إِنَّ مَثَل الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَل النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يَهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ يَضِلَّ الْهَادِءُ".¹

والنُّجُومُ هي "دلائل وعلامات على أوقات كثيرة لعمل من الأعمال كالزراعة والغراسة والاهتداء بها في السّفر في البرّ والبحر... وبها يهتدي السّيارون في ظلمة اللّيل وتقطع القفاز الموحشة".²

ومّا جاء في هذا الباب قول "بن خَلُوف" في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):³

حَسْرَاهُ وَأَيْنَ نُجُومِ الدَّهْرِ اللَّيِّ فَايْت... فِيهِمْ قِبَلَتِي وَأَهْلِيَّ وَالْعَشْرَانَ

وقوله أيضا:⁴

مازالت حَيْمَتِي كَالنَّجْمَةِ وَقِدَّةٌ... وَتَعُودُ حَيْمَتِي بِهَا النَّاسُ تُطَوِّفُ

شبهه خيمته بالنّجمة المضيئة، في إقبال النّاس عليها لينهلوا من معاني أشعاره ويستمعوا لمواعظه وخطبه.

تنطوي كلمة (نجوم) في البيت الأوّل، و (النّجمة) في البيت الثّاني على معنى الهداية وإضاءة طرق الحياة، فالنّجم يرسل نورا خافتا يبيد الظلام، كذلك الهداية سلوك تولّده الطّرق السّلمية الهادئة.

¹ - أبو محمد حسن عبد الرّحمان بن خلاد الرامهرمي، كتاب أمثال الحديث، تح: عبد العلي عبد الحميد الأعظمي، الدّار السّلفية، بومباي، الهند، ط 1، 1983م، ص 137.

² - أبو حامد الغزالي، أسرار الحكمة، تح: علي عبّاس خريس، دار منيرا للطباعة والتّشتر، بيروت، ط 1، 1994م، ص 24.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 191.

⁴ - المصدر نفسه، ص 192.

ومن حكمة الله تعالى في خلق النُّجُوم أن جعلها كثيرة لا تحصى، وهذا ما بيّنه "بن خَلُوف" في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي)، مطلقاً كلمة (النُّجُوم) للإكثار في الصَّلَاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:¹

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ قَدَّرَ سَحَابٌ وَغَيْمٌ... وَعَدَدُ نُجُومٍ كُلُّ دَامِسٍ لَنْ تَفْنَأَ

ويسبح الله عزّ و جلّ في قصيدة (قدر ما في بحر الظلام) عدد نجوم السماء:²

سُبْحَانَهُ مِنْ لَا يَنَامُ... قَدَّرَ نُجُومُهُ زَهْرَتْ فِي السَّمَاءِ عَالِيَيْنِ

وفي الاستفادة من نورها والسير تحت ضوءها ليلاً يقول:³

إِنْعَزَلْتُ بِالْغُلَامِ وَغَبَرْتُ فِي الْقَفَارِ... وَفِي الصُّبْحِ وَفِي النَّهَارِ وَتَحْتَ ضِيَا النُّجُومِ

يلوم الشعاع نفسه على تقصيرها في أداء الفرائض، في قصيدة (الموت لا غنى تدركني):⁴

مَانِي نَصُومٌ غَيْرَ رَمَضَانِي... نَقْضِي فَرَايِضِي وَالسَّابِقَ فِي الْفَلَكِ غَابَ

و (الفلك) هو (الفلك) في الفصحى، ويقصد به "مجرى النُّجُوم... وقد سمعت من يذكر أنّ الأفلاك أطراق تجري فيها النُّجُوم والشمس والقمر، والسماء فوقها"⁵، ويشير به "بن خَلُوف" إلى

¹ - المصدر السابق، ص 57.

² - المصدر نفسه، ص 51.

³ - المصدر نفسه، ص 124.

⁴ - المصدر نفسه، ص 143.

⁵ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، الأنواء في مواسم العرب، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد،

1988م، ص 31.

فسحة الفضاء الواسعة التي لا نهاية لها، فالزّمن الماضي كما يقول غاب في غياهب المجرّة، استعارة إلى تمضية جزء كبير من عمره بعيدا عن مدح المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويستعمل الشّاعر نفس المفردة بمعناها الحقيقي، يقول في قصيدة (قدر ما في بحر الظّلام):¹

قَدَّرَ الْفَلَكَ وَمَاذَا يَدُورُ بِهِ الْقَدْرُ

ب/ سحب: سحب:

من الفعل سحب، والسّحب "جرك الشّيء كسحب المرأة ذيلها، وكسحب الرّيح التّراب، وسمّي السّحاب لانسحابه في الهواء"²، مفردة سحابة والجمع سحاب، وسحب وسحب والسّحابة الغيم التي يكون عنها المطر³، أمّا التي لا يخلف مطرها فسمّوها الخال⁴ و "القرع سحب صغار يتطاير في السّماء وهو من أحبّ السّحاب إلى النّاس"⁵.

يستعمل الشّاعر في الصّلاة على الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، كعادته ويختار من الطّبيعة لوحات يرسمها، مستقصيا ممدوحه بالوصف الحامل لدلالات محورها العطاء.

يقول في قصيدة (لو لا أنت):⁶

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ قَدَّرَ مَطَرُ السَّحَابِ... وَمِنْ هُوَ فِي الْمَلَكَوَةِ وَالْمَلِكِ زَيْنَ

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 50.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 219.

³ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 21، ص 1948.

⁴ - ينظر: أبو العلاء صاعد بن الحسن الرّبيعي البغدادي، كتاب الفصوص، تح: عبد الوهاب التّازي سعود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1994م، ج 1، ص 287.

⁵ - ابن سيده اللّغوي، المخصّص، السفر التاسع، ص 95.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 65.

والشَّاهد هنا قوله (السَّحاب) أي (السَّحاب) في الفصحى، ويشير به إلى السَّحاب التي ملئت بالماء فأمطرت، وأراد بها السَّخاء والعطاء في الصَّلَاة على الرِّسول عليه الصَّلَاة والسَّلَام، وذلك ما ذهب إليه في قصيدة (ألف اسمثلوا كلامي):¹

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ قَدَّرَ سَحَابٌ وَغَيْمٌ... وَعَدَدُ نُجُومٍ كُلُّ دَامِسٍ لَنْ تَفُنَّا

ومن المعاني التي دلَّت عليها (السَّحاب) في الديوان، ما جاء في قصيدة (لله الحمد زاد فيا):²

الْجِنَّةُ وَالْجِنَانُ عُنْدِي... وَعَيْونَا كَالسَّحْبِ تَلْمَعُ

(السَّحاب) هي (السَّحاب) شبه شاعر عيون الماء الجارية بالسَّحاب اللَّامعة لما فيها من مياه، فديوانه هو سيل يجري من المعاني، ليفيض بما نظم فيه من أشعار ومديح زاده لمعانا وبريقا.

1.1 الظواهر الجوية:

أ/ الأمطار:

جمع المطر: الماء المنزل من السَّحاب، و "المطر فعله"³، نقول أمطرت السماء وبلت الأرض من "الوابل وهو أغزر المطر وأعظمه قطرا"⁴، ومنه "الذَّهاب وهو اسم للمطر كله ضعيفه وشديده"⁵.

¹ - المصدر السابق، ص 57.

² - المصدر نفسه، ص 95.

³ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 149.

⁴ - أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، كتاب المطر، نشره الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للأدباء اليسوعيين، بيروت، 1905م، ص 04.

⁵ - المصدر نفسه، ص 04.

ومن أسمائه الطلّ، والرّذاذ والغيث¹، وجاء في ذكر هذا الأخير قول الشاعر "محمد بن إبراهيم بن علي باق الأموي" موطّفاً (الغيوث) للرّزق: ²

طَالِبًا عِنْدَ عَاطِشٍ نَحْلًا... وَلَدَيْهِ الْغَيْوُثُ مُنْسَجِمَهُ

ومن كلام العرب في مقدّمة المطر قولهم: "لبست السّماء جلبابها"³، واستعير اللفظ للدلالة على الرّزق والعطاء، والعذاب والعقاب، ومن هذا المعنى نذكر قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ٥٨﴾.⁴

وبرع "بن خلّوف" في توظيف (الأمطار) في شعره، فاستطاع أن يحمل اللفظ دلالات معنوية جميلة، فيذكره على حقيقته ليكون آية من آيات الله في خلقه، تدعو إلى التّدبّر كما في نظم (أحسن ما يقال عندي):⁵

فَدُرُّ نُجُومِ اللَّيْلِ الْأَظْلَمِ... وَالْأَمْطَارُ الْبَارِئِينَ

وفي قصيدة (قدر ما في بحر الظلام) يقول أيضا:⁶

وَمَا صَبَّتِ الْأَمْطَارُ مِنْ سَمَائِهَا تُفِيضُ

¹ - ينظر: شوقي حماده، معجم عجائب اللّغة، دار صادر، بيروت، ط 1، 2000م، ص 69.

² - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، المجلّد السادس، ص 264.

³ - أبو اسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، المجلّد الأوّل، ص 237.

⁴ - سورة التّمل، الآية 85.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 41.

⁶ - المصدر نفسه، ص 101.

ومن الصّور الإيجابية أن يجعل "بن خَلّوف" (الأمطار) وسيلة يعتمد عليها ليفخر لممدوحه عليه الصّلاة والسّلام، فيتحدّث عن عطائه وكرمه، والخيرات التي فاضت من كفيّه الشّريفتين، ويوظّف ذلك بطريقة مبتكرة، معبّراً عن فرحته بالرسالة المحمدية من جهة ومشاركته الطّبيعة هذه البهجة، يقول في نظم (بك طابت الأثمار):¹

لِيكَ صَبَّتِ الْأَمْطَارُ وَفَاضَتِ الْمُنَازِلُ واحْتِيَاتِ الْجُذْبَةَ وَوَلَاتِ سَرِيْسِ خَضِرَا

وأمام نشوة السّعادة، وغمرة الفرح، يمضي "بن خَلّوف" بمخيّلته بعيداً، فيشبهه محبّته التي لا حدود لها لشخص النّبي صلّى الله عليه وسلّم، بالسّماء في اتّساعها، فهذا الحبّ الطّاهر القوي هو رعد هزّ كيانه مصوناً لإعلان الأمطار، فتخطّ أنامه أشعاراً تعكس خلجات نفس أهماها المديح النّبوي.

يقول في قصيدة (نرغب المعني المبدئي):²

مِنْ سِمَاكِ يَزْقَلِمُ رَعْدِيُّ... كَيْ يَهْبُ تَنْزُلُ الْأَمْطَارِ، يَا الْمُخْتَارِ

رمزت (الأمطار) في البيت إلى ديوان الشّاعر، والقصائد التي ينظمها في ذكر الرّسول عليه

الصّلاة والسّلام .

¹ - المصدر السّابق، ص 101.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خَلّوف، ص 148.

ب/ الرِّيح:

من بنات الواو على وزن فعل¹، والرِّيح "اسم مؤنثة تصغيرها رويحة"²، و "الرَّوْح: برد نسيم"³، والجمع أرواح و "أرياح و أراييح، وأراويح جمع أرواح والكثير رياح"⁴، وأصل (الرِّيح): الرَّوْح، و "الرَّاء والواو الحاء أصل كبير مطَّرد يدلُّ على سعة وفسحة واطِّراد... وأصل الياء في الرِّيح الواو... فالرَّوْح روح الإنسان، وإمَّا هو مشق من الرِّيح"⁵، الذي يعني الهواء المسخَّر المتحرِّك بين الهواء والأرض، وإمَّا سميت الرِّيح ريحا "لأنَّ الغالب عليها في هبوبها المجيء بالرَّوْح والرَّاحة، وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والغم والأذى"⁶، وهي مأخوذة من الرَّوْح، و "أصل رياح رواح و لحنوا من قال الارياح"⁷، وهو شاد ولكن الحريري استعملها.⁸

¹ - ينظر: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط 6، المجلد الثالث، ص 592.

² - أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، الرِّيح: تح: حسين محمد محمد شرف، مؤسسه الحلبي للطباعة والتَّشْر، المدينة المنورة، ط 1، 1984م، ص 19.

³ - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللُّغة، تح: عبد الله درويش، الدَّار المصرية للتأليف والترجمة، د ت، المجلد 5، ص 219.

⁴ - ابن سيده اللُّغوي، المخصَّص، المجلد 9، ص 83، وينظر: ابن سيده اللُّغوي، المحكم والمحيط الأعظم، ج 3، ص 390.

⁵ - أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللُّغة، ج 2، ص 454.

⁶ - محمد مرتضى الحسن الزبيدي، تاج العروس، ج 6، ص 413.

⁷ - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 2، ص 122.

⁸ - جرحي زيدان، اللُّغة كائن حي، دار الجيل، بيروت، ط 2، 1988م، ص 61.

ولما كان اهتمام العرب بالأنواء كبيرا، ميّزوا الرّياح ووقفوا على جهاتها وأفردوا لها أسماء، فقالوا أنّها ثمان: أربع رحمة وأربع عذاب.¹

ومنها الصّبوار وهي الرّيح الطّيبة²، وتنوّعت دلالتهم في دواوينهم، وعبّرت على الخير، كما جاءت لمعنى الشرّ، من ذلك نضرب مثلا لما أنشده المقام السّلطاني في ظاهر بلده:³

فِيَا رِيحَ هَبِّي بِالْبُطَاحِ وَبِالرُّبِيِّ ... وَمَرِّي عَلَى أَغْصَانِ زَهْرِ الحَمَائِلِ

ويقول "بن خلّوف" في ديوانه:⁴

هَبَّ الرِّيحُ الرَّمَدَ تَلَايِم... رَجَعَتْ لِلْحَالَةِ

ذكر الشّاعر كلمة (الرّيح) على سبيل الرّمز إلى معجزة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

وفي نظم (بسم الله بديت نزم) يقول:⁵

إِحْتَرَقَتْ وَكُلَّ جَسَدِهَا وَلَّى غَبْرَةً... هَبَّتِ الأَرِيَا حُ مَشَاتٍ بِهَا خِذْلَان

الرّياح التي هبّت حملت معها الأخضر واليابس، وقضت على بقايا العظام المحترقة، عكس

لفظ (الارياح) معنى الدّمار والفناء.

¹ - ينظر: أبو منصور التّعالبي، فقه اللّغة وأسرار العربية، ص 424.

² - أبو العلاء صاعد بن الحسن الرّبّعي البغدادي، كتاب الفصوص، ج 3، ص 137.

³ - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، المجلّد 6، ص 265.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 129.

⁵ - المصدر نفسه، ص 122.

مثل الشاعر الشدة والأوقات العصبية التي مرّ بها في صراعه مع نفسه بالرياح القوية في هبوبها،
يقول في قصيدة (نرغب المعين المبدي):¹

زَحْرَفْتُ نَيْسَانَ الْبُرْدِ... فِي زَمَانِ أَرِيَا حِ الصَّرِّصَارِ يَا الْمُخْتَارِ

(أرياح) هي (الرياح) في الفصحى، رمزت الكلمة إلى عذاب نفسي مرير عاشه الشاعر لائتما
نفسه على تقصيرها.

ويعضى الشاعر في نظم (الرّشيد مصباحي) ، ليلبس لفظ (الرياح) معنى جديد عكس مفهوم
الإحياء والانبعاث، بجولان قصائده أنحاء البلاد، وسمعها العام والخاص، فأضحت نورا بدد كل
دامس:²

هَبَّتِ أَرِيَا حِي... وَأَحْيَا تُ النُّورِ الْعَظِيمِ فِي كُلِّ أَطْلَالِي

(أرياحي) هي (أرياحي) في الفصحى، وأرياح الشاعر معاني نظمه، المزيّن بمدح المصطفى
صلّى الله عليه وسلّم، إنّ الدلالة الإيحائية لكلمة (أرياحي) في البيت هي الشهرة وذيع الصّيت.
وفي قصيدة (قدر ما في بحر الظّلام) يقف الشاعر متأملاً عظمة الخلق في تصريفه الرياح بأمره
جلّ جلاله:³

قَدَّرَ الصَّحُوَّ وَقَدَّرُ الْغِيَامِ... قَدَّرَ الْأَرِيَا حِ السَّبَّعَةَ جَاوِ مُتَابِعِينَ

¹ - المصدر نفسه، ص 148.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 91.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 50.

(جاو) هو الفعل (جاؤوا) في الفصحى، والرياح كما أشرنا سابقا ثمانية أنواع "المبشّرات والنّشر والرّسالات والرّخاء والعصف والقاصف وهما في البحر، والعقيم والصّرصر وهما في البرّ".¹

يبدو أنّ الشّاعر ضمّ إمّا رياح البحر ضمن نوع واحد، أو ورياح البرّ في قسم واحد فيكون عددها سبعة بذلك، وإشارة "بن خلّوف" إلى هذه الأنواع لدليل على اطلاعه بجهااتها وأقسامها، وإنّ تحديده لعددتها زاد من جمال نظمه الذي خصّه لغرض الطبيعة والتأمل في مخلوقات الله تعالى، رمزت كلمة (أرياح) إلى الهواء المتحرّك المعروف.

2/ ما دلّ على الأرض وما فيها:

أ/ الجندلي:

الجندل في اللّغة هي "الحجارة قدما يرمى بالمقذاف"²، فإذا كانت ملء الكفّ سموها اليهير، وإن كانت أعظم من ذلك هي فهر ثمّ جندل ثمّ جلمد ثمّ صخرة³، يضرب المثل بالجندل الصّلب في القسوة لشدّة صلابته يقال: "أصلب من الجندل"⁴، فإذا تراكمت بعضها على بعض أصبحت قضاضا⁵، والجلمدة من الأرض ما كثرت حجارته⁶.

وفي قصيدة (بما في علمك القديم) يعبر "بن خلّوف" عن ثقل الجندل يوم يكون في قبره ممدّدا، يقول:⁷

¹ - شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب التّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 1، ص 90.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 266.

³ - أبو منصور التّعالبي، فقه اللّغة وأسرار العربية، ص 327.

⁴ - شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب التّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 1، ص 213.

⁵ - ينظر: أبو العلاء صاعد بن الحسن الرّبيعي البغدادي، كتاب الفصوص، ج 3، ص 134.

⁶ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 131.

⁷ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 158.

تُبْتَنِي لَيْلَةٌ نَعُودُ عَاشِرَ الْاَلْحُودِ... باحمال الجُنْدَلِيِّ التَّقَالِ

(الألحود) هو اللحد: شقّ يكون في جانب القبر للميت¹، و (تبتني) بمعنى (تبتني) ليلة الممات، يوم أُغطي بالتراب وأثقل بالجنادل، ودلّ الشاهد (الجندي) على معناه الحقيقي المعروف، ورمز به إلى المعاناة التي تتولّد من نفس خائفة، عكس اللفظ معنى الألم والعذاب والصّراع.

عاش الشاعر صراعا نفسيًا مريرا في معظم قصائده، فظهر في شخصية نائرة غير راضية عمّا قدّمت، وهذا الشّعور ترجم مخاوفه ووساوسه الكثيرة من مصير يجهل نهايته حيناً، مؤمن بهلاكه حيناً آخر لما تأكّد من خفة موازين حسناته، وثقل موازين سيئاته التي مثلها بالصّخور الصّلبة القاسية تأكيدا لكثرتها وفضاعتها.

يقول في قصيدة (إذا تحيّرت من ذنوبي):²

غَرِقْتُ فِي بَحْرِ الظُّلَامِ نَفْسِي... وَثَقَّلَ الْجُنْدَلِيُّ عَلَيَّا

إنّ لفظ (الجندي) هو وعاء ملئ بكلّ ما يصبّ في معاني الظلمات والمساوي والأوزار، ويختار "بن خلّوف" كلّ ما كثر وجوده في الطّبيعة ليضرب به مثلا لكثرة الذّكر والعطاء في الصّلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم، يقول موظّفا كلمة (أحجار) لهذا المعنى:³

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ قَدَّرَ أَحْجَارُ الْبَيْنِ... الْعَامِقِ فِي الثَّرَى وَالظَّاهِرِ لَا يُخْفَى

وفي نظم (قدر ما في بحر الظلام) يقول أيضا:⁴

¹ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 817.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 180.

³ - المصدر نفسه، ص 59.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 49.

مَعَ الْمَوْجَاتِ بِلَا زِمَامٍ... وَعَدَدُ الرَّمْلَةِ وَالْأَحْجَارِ اللَّيِّ كَايِنِينَ

ب/ التّراب:

نقول: ترب الرّجل إذا افتقر، وأترب: استغى¹، وترب الشّيء إذا سقط في التّراب، و"تربت الرّيح إذا جاءت بالتّراب تراباً"²، والتّرب والتّوراب اسم جنس واحدة ترابة، والتّربة هي الأرض نفسها³، ويشمل "ما نعم من أديم الأرض"⁴، يقول الشّاعر "قيس بن ذريح"⁵:

أَمْسِ تُرَابِ أَرْضِكَ يَا لُبْنَى... وَلَوْ لَا أَنْتَ لَمْ أَمْسَسْ تُرَابًا

فإذا سقط المطر وبل التّراب وكان ندياً سمّوه التّرى⁶، من ثريت الأرض ثرى وقيل أثرت أيضا.⁷

¹ - ينظر، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، قاموس اللّغة (كتاب المصباح المنير)، نوبليس، ج 1، ص 101.

² - ابن السيّد البطلبيوسي، المثلث، تح: صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرّشيد، العراق، 1981م، ج 1، ص 378.

³ - ينظر: أحمد بن يوسف بن عبد الدّائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1996م، ج 1، ص 258.

⁴ - مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص 830.

⁵ - ديوان قيس بن ذريح، شرحه: عبد الرّحمن المصطاوي، دار المعرفة، لبنان، ط 2، 2004م، ص 55.

⁶ - ينظر: أبو منصور التّعالبي، فقه اللّغة وأسرار العربيّة، ص 315.

⁷ - ينظر: ابن سيده اللّغوي، المخصّص، السّفر العاشر، ص 156.

ذكر " بن خَلُوف " (التُّراب) في ديوانه، بمعاني عديدة، منها ما جاء في قصيدة (قدر ما في بحر

الظَّلام):¹

قَدَّرَ تُرَابُ الدُّنْيَا وَالنَّوْمُ وَالرُّقَادُ

الشَّاهد (تراب) هو (تراب) في الفصحى أراد به الشَّاعر أديم الأرض المعروف الذي رمز إلى التَّريغيب في الصَّلَاة على الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكره في البيت من باب الكثرة، فتراب الدُّنيا موجود في أقطار الأرض ومغارها في جميع الأزمنة والأمكنة، وكذا رسالة الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صالحة لجميع الأزمنة، نلتمس في كلمة (تراب) معاني البقاء والاستمرار وكذا الكثرة.

يستعير الشَّاعر من أحاديث الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاني نظمه، في قوله عليه الصَّلَاة والسَّلَام: "إِنَّ الله خلق آدم من تراب ثم جعله طينا، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار"²، ومن الذِّكر الحكيم قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝١٢ ﴾.³

يقول " بن خَلُوف " في قصيدة (محمد راحة العقاب):⁴

أَدَمٌ مَخْلُوقٌ مِّنْ تُرَابٍ... وَالشَّيْطَانُ مِّنْ مَّرْجٍ ذَاتُ الْوَقَادِ

ويقول أيضا في نظم (إذا تحيرت من ذنوبي):⁵

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 53.

² - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 15، ص 200.

³ - سورة الأعراف، الآية 12.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 118.

⁵ - المصدر نفسه، ص 180.

مَعْلُومُ الْخَلْقِ لِلتُّرَابِ... الطَّيْرُ وَلَوْ صَالَ يُقْصِر

وفي قصيدة (اختارك الواحد الأحد):¹

القَبْرُ لَا غِنَاهُ يَمْلِكُنِي... يَضْحَى التُّرَابُ لِي أَوْرَاثًا

مثلت كلمة (التُّرَاب) الرَّجُوع إلى الأَصْل، أصل أبونا آدم عليه السَّلَام، مبدأ الخلق البشري:

التُّرَاب، عكس اللَّفْظ: العُودَة إلى الأَصْل.

وفي نظم (محمد راحة العقاب) يقول:²

يَطُولُ الْمَكْتُ فِي التُّرَابِ... مَفْقُودُ الْجِسْمِ صَاحٍ بِهِ الْمَنَادِي

ويقول في نظم (الموت لا غنى تدركني):³

مَا أَفْوَاكُ رَاقِدَةٌ يَا عَيْنِي... مَا تَفْتَكِرِي رَحِيلَكَ وَالرَّفْقَةَ فِي التُّرَابِ

والشَّاهِد في البيت قوله (التُّرَاب) التي رمزت إلى القبر، والرَّجُوع إلى البداية.

ويوظف الشَّاعر نفس المفردة للدلالة على السَّحْق والفناء، في قصيدة (محمد راحة العقاب):⁴

وَتَعُودُ عِظَامُهُمْ تُرَابٌ... الْمُشْرِكِينَ هُمْ قَوْمُ الْأَفْسَادِ

¹ - المصدر نفسه، ص 76.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 116.

³ - المصدر نفسه، ص 138.

⁴ - المصدر نفسه، ص 117.

ويقول أيضا في النّظم (مقلب القلوب ربي):¹

وَعِظَامِي الْبَالِيَّةِ أَرْمَادِي... تَضْحَى مَعَ الثَّرَى مُصَوَّبٌ

مّا يلاحظ في البيت ذكر كلمة (الثّراب) مقرونة بـ (العظام)، تعزيزا لمعنى الموت والفناء، ومن هذا الباب ما جاء في كتاب الله العزيز الحكيم؛ حيث كرّر لفظ (الثّراب) مقرونا بالعظام خمس مرّات² لتقوية المعنى وتوكيده.

في قصيدة (الموت لا غنى تدركني) يقول "بن خلّوف":³

نتوسدوا دَرَاعِي الْيُمْنَى... يَضْحَى الثَّرَى عَطَايَا وَفَرَاشِي مَنْ ثُرَاب

فرّق الشّاعر بن معيني (الثّرى) و (الثّراب) إذ جعل الأوّل غطاء له والثّاني فراشا يتمدّد عليه، ولم يقل بعكس ذلك لوقوفه على الفرق بين الكلمتين، فالثّرى هو ما ندى من الثّراب وهو أوجب لأن يوظّف في هذا المقام هذا الأخير.

ويظّل الشّاعر يتخيّر اللفظ المناسب لمعانيه، ويحدّثنا في قصيدة (قصّة مزغران) عن مأساة الجيش الإسباني وحزّهم لفقدان قائدهم فدموه كي لا يقع في أيدي المسلمين، لكن السّلطان تنبّه لذلك وأمر بإخراج الجثّة، يقول:⁴

¹ - المصدر نفسه، ص 134.

² - سورة المؤمنین، الآيتين 35 و 82، وفي الصّافات الآيات: 15، 16 و 52، 53، سورة الواقعة، ينظر: أبو الفرج عبد لرجمان بن الجوزي، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، 46، 47 تح: حسن ضياء الدّین عنتر، دار البشائر الإسلامیة، بیروت، لبنان، ط 1، 1987، ص 475.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 139.

⁴ - المصدر نفسه، ص 139.

إخلف لهم سلطاناً بثباتٍ... شيب النار من انثرى جبدوه

احتنطوا بالفاس والمسحات... لن وجدوه من الثرى جابوه

(انثرى) هو الثرى، وجاء لفظ (شيب النار) تشبيها لقسوة للقائد النصراني، وشراسة أعماله،

فهو كالتار التي تأكل الأخضر واليابس.

أفادت كلمة (الثرى) في هذا النظم الشعري النهاية والخاتمة.

1.2 التّضاريس:

أ/ الجبال:

الجبال جمع جبل، و "هو ما ارتفع من الأرض إذا عظم وطال"¹، أوّله الحضيض ورأسه الشعفة²، وما انبسط هو الدّريجة وما عظم الطّود والطّور³ وغيره، ومنافع الجبال كثيرة، ولولاها ما وجد نبات ولا حيوان على بسيط الأرض، لأنّ بقاءها مرهون بالماء العذب، الذي ينعقد من البخار المحصول في الجبال بحكمة من الله جلّ جلاله، فكأنّها اسفنجة في إساحة المياه على الأرض⁴، ومن عظمة تدبيره في خلقها أن جعلها ثباتاً للأرض، يقول تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾⁵، كي لا تميد بأهلها⁶، فلا تضطرب ولا تتحرّك.

¹ - مجمع اللّغة العربية بمصر، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج 1، ص 214.

² - ينظر: أبو منصور التّعالبي، فقه اللّغة وأسرار العربية، ص 315.

³ - ينظر: شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب التّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 1، ص 209-210.

⁴ - ينظر أبو حيان التّوحيدي ومسكويه، الهوامل والشّوامل، ص 355، و ص 354.

⁵ - سورة التّبا، الآية 07.

⁶ - ينظر: محمد الرازي فخر الدّين، تفسير فخر الرّازي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1981م، ص 07.

ونُحِت عليها البيوت، وبنيت القلاع، ومنهم من اتَّخَذها كهوفا فهي كالبيوت لقوله تعالى:

﴿وَكَاثُوا يَنْحُثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝ ٨٢﴾¹.

واستدلَّ العرب بالجمال لمعرفة بقعة معيَّنة من الأرض، فلكلِّ منها رائحة خاصَّة يعرفها الماهرون

في هذا العلم الذي سمَّوه صناعة القيافة.²

أمَّا في دواوين العرب وكلامهم، فكانت الجبال مثلا للصَّمود، والبخل، وكذا الدَّهاء والذكاء

والعظمة.

يوظِّف "بن خَلُوف" في ديوانه (الجمال) جمعا أحيانا، ومفردا أحيانا أخرى، يقول قصيدة (بسم

الله تبتدأ القصيدة)، ناظما أبياته بمعاني القصص القرآني، متحدِّثا عن معجزات الرِّسول عليه الصَّلَاة

والسَّلَام:³

اطْلُبْ رَبَّ الْعِبَادِ يَا سَيِّدَ الزَّهْرَةِ... يَا تَيْوِكَ الْجِبَالِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

يقول أيضا:⁴

صَاحَ الْمُخْتَارُ وَلِيَهُ كَمْ جَبَلٍ أَتَى... تَرَكُوا الْحَيَّةَ رَمَادُ كَالثَّوْبِ حَرِيقِ

(ياتيوك) هو الفعل (ياتوك) في الفصحى، ذكرت الجبال على سبيل الرَّمز إلى التَّسيير

والتَّسخير.

¹ - سورة الحجر، الآية 82.

² - ينظر: محمد الزاوي فخر الدِّين، الفراسة، تح: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة، ص 31-32.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 122.

⁴ - المصدر نفسه، ص 122.

ويواصل "بن خلُوف" قوله:¹

قَالَ الْمُخْتَارُ صَحَّ يَا جَبْرِيلَ أَنْتَ... يَا تَبُوكَ الْجِبَالَ صَعِيقًا وَزَهِيْقًا

الشَّاهِدَ لَفْظَ (الجبال) دَلَّ عَلَى تَصَدَّعِهَا مِنْ عِظْمَةِ جَبْرِيلَ، وَتَوْضِيْفِهَا فِي الْبَيْتِ إِشَارَةً إِلَى الْخَشْيَةِ وَالذَّهْوْلِ وَالْخَوْفِ.

ويقول في نفس القصيدة:²

جَاوَبَ جَبْرِيلَ قَالَ يَا رَسُوْلَ أَنْتَ... لَوْ صَحَّتْ أَنَا تُصَيِّرُ ذَا الْجِبَالَ دَقِيْقًا

(ذا الجبال) أي (هذه الجبال)، وقصد بها الزوال والفناء.

ويقول الشَّاعِرُ فِي نِظْمِ (قَدْرَ مَا فِي بَحْرِ الظَّلَامِ):³

قَدَّرَ الشَّعْبَاتُ وَمَا مِنْ جِبَالِ الطُّوَالِ

يقول في قصيدة (مفتاح خير إلا ينفذ):⁴

لَوْ كَانَتْ الْكَوَانُ جِبَالًا... يُقَالُ فِيكَ أَنْتَ الرَّبُّوَّةُ

دَلَّتْ (جبال) عَلَى أَوْتَادِ الْأَرْضِ الْكَثِيْرَةِ، جَاءَتْ الْكَلِمَةُ نَكْرَةً غَيْرَ مَعْرِفَةٍ، لَجْهَلِنَا بَعْدَ جِبَالِ الدُّنْيَا، فَهِيَ مِنْ حِكْمَةِ تَدْبِيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَآيَةٍ مِنْ آيَاتِ الْكُونِ، عَكَسَتْ مَعْنَى الْعُلُوِّ وَالْإِرْتِفَاعِ.

¹ - المصدر نفسه، ص 122.

² - المصدر نفسه، ص 122.

³ - المصدر السابق، ص 51.

⁴ - المصدر نفسه، ص 81.

يقول في قصيدة (دقة الحب):¹

عَمَّرَتِ اِحْمَالَ فِي هَوَى سَيِّدِ الرَّجَالِ ... وَكُلَّ مِثْقَالَ تُوزَنُهُ الاجبالي

(احمال) هي (أحمال) في الفصحى، و (الاجبالي) هي (الأجبال) أضيفت الياء حفاظا على القافية، قصد بها الشاعر موازين الخير التي ثقلت كفتها وقدّرت بأحمال الجبال وزنا.

ويريد بلفظ (الاجبالي) في البيت الحسنات الكثيرة.

أما في نظم (نبتدا الكلمة) فيشير إلى جبل معيّن يقول:²

وَالصَّفَا وَالمروى وَالْحَرَمَ وَالْبَيْعَ ... وَالْجَبَلُ وَالْمَشْعَرُ وَالْمَنْزِلُ الْحَفِيلُ

والصّفاء والمروة "موضعان معروفان بمكة، شرفها الله تعالى، وأصل الصّفا الحجر الأملس، سمّي بذلك لخلوصه ممّا يشوبه"³، والصّفا موجود بالقرب من باب من أبواب المسجد الحرام⁴ الذي يسمّى أيضا الصّفا.

ذكر الشاعر (الصّفا والمروى) ليشير بهما إلى الجبلين مقدّسين بمكة المكرمة، وقوله (الجبل) اسم مفرد معرّف إشارة إلى جبل بعينه، هو جبل أبو قُبَيْس*، المطلّ على الكعبة الشريفة، ويسمّى أيضا شيخ الجبال وأبو قابوس وعرف بالأمين⁵ فيما مضى.

¹ - المصدر نفسه، ص 106.

² - المصدر نفسه، ص 165.

³ - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 2، ص 345.

⁴ - ينظر: حمد محمد بن صراي ويوسف محمد الشامسي، المعجم الجامع لما صرح به وأجهم في القرآن الكريم من المواضع، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2000م، ص 228.

* - قبيل في تسمية أنّ آدم عليه السّلام اقتبس منه النّار، وقيل سمّي كذلك نسبة إلى رجل كان يتعبّد فيه اسمه أبو قبيس.

⁵ - ينظر: شهاب الدّين التّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 1، ص 207.

(أوهاد) في الفصحى: والوهْدُ: "المكان المنخفض كأنه حفرة"¹، وتسمّى "الهوّة والهوّنة والوهدة"² المكان المطمئن، والجمع وَهْدٌ وَأَوْهْدٌ وَأَوْهْدٌ من أسماء يوم الاثنين³ والوهدة "النقرة المنتقرة في الأرض أشدّ دخولا في الأرض من الغائط، وليس لها حرف وعرضها رحمان وثلاثة لا تنبت شيئا"⁴، وتوهّد: نسفل، ويجمع الوهدة أيضا على وهدان بضمّ الواو. والوهد بالفتح ثمّ السكون اسم موضع في قول أحدهم:⁵

أَبَا أَتَلَّتِي وَهَدَّ سَقَى خَضِلُ النَّدَى... مُسَيِّلُ الرَّبَا حَيْثُ إِنْحَى بِكُمَا الْوَهْدُ

يقف "بن خلّوف" في ديوانه عند الكلمة مرّة واحدة فقط، وربّما يعود ذلك لقلّة استعمالها، يقول في نظم (اختارك الواحد الاحد):⁶

عَمَّرَتْ مِنَ الْمَدِيحِ أَوْهَائِد... وَاخْلَيْتِ مِنْ جُيُوشِ السُّلْطَانِ بِلَادِ

اتّخذ الشاعر من الوهاد دلاء صبّ فيها ديجا نبويّا عذبا سقى معانيه أنحاء المعمورة، وقهر به جيوش الكفر، وتغلّب على وساوس الشيطان اللعين.

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 402.

2- أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، المنتخب من غريب كلام العرب، ج 1، ص 440.

3- ينظر: إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصحاح، ج 2، ص 544.

4- ابن منظور، لسان العرب، ج 55، ص 4930.

5- شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م،

ج 5، ص 385.

6- ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 76.

وظّف لفظ (اوهايد) نكرة ليشمل جميع ما انخفض من الأرض دون استثناء، ودلّ على معناها بقوله (عمرت) و (بلاد) لتعطي صورة شاعر سبك الشّعْر، وقرضه فأبدع وتدرّب في معانيه، فكان ديوان مدح يزخر بالمعاني الفيّاضة المخصّصة لذكر سيّد الأنام.

3/ الأسماء الدالة على القارّات والبلدان والمدن:

1.3 ما دلّ على القارات:

أ/ إفريقيا:

هي ثاني أكبر قارة بين قارّات العالم السّبع¹ وإفريقية بكسر الهمزة وتاء مربوطة في آخرها "اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صيقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس... وسمّيت إفريقية بافريقيّس بن صيفي"²، الذي اختطّها فاشتقّ اسمها من اسمه وسار إليها النّاس وسكنوها، وقيل أنّها سمّيت كذلك لتفريقها بين مصر والمغرب: وأطلقت "إفريقية- أفريقيّة- أفريقيّة"³ قديما على ما يلي مصر غربا، وهو ما يسمّى بلاد المغرب، وتطلق الآن على القارة كلّها.

¹ - ينظر: أطلس العالم الكبير، مكتبة الصّغار، بيروت، لبنان، ص 383.

² - ياقوت الحمودي، معجم البلدان، المجلّد 1، ص 228.

³ - محمود مصطفى، إعجام الأعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983م، ص 206.

ذكر لفظ (أفريقيا) في الديوان مرّة واحدة في قصّة (مزگران) يقول "بن خَلُوف":¹

جَاتِ حُيُولَ افْرِيقِيَا تَنْجَرُ... وَفِرَاسِيْنَ الحَرْبِ مَدْكُورَةَ

يحدّثنا الشّاعر عن وصول الدّعم من مختلف جهات الوطن استعدادا للحرب وتتابع القبائل الوافدة على السّلطان من كلّ حدب وصوب وسيورها كالحَيُولِ يجرّ بعضها بعضها.

وظّف الشّاعر كلمة (أفريقيا) تعبيرا على كثرة القبائل والحشود، فكأنّ القارّة بأسرها هبّت لتشارك في شرف الجهاد، وعكس اللفظ مفهوم الاتحاد والوحدة والتّعاون.

2.3 ما دلّ على البلدان والمدن:

أ/ مَكَّة:

اسم للبلد الحرام²، من (المكّ) وهو انتقاء العظم وإخراج محّه، وسمّيت بذلك لأنّها وسط الأرض كالمخّ الذي هو أصل العظم³، وقيل: "سمّيت مَكَّة لأنّها عبّدت النّاس فيها فيأتونها من جميع الأطراف"⁴، وذكر الله تعالى مَكَّة في كتابه الكريم باسمين (مَكَّة وبكّة): ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٢٤١﴾⁵، وقال أيضا: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ٩٦﴾⁶، واختلف النّاس في الاسمين فقال "الفراء":

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 183.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 47، ص 3248.

³ - ينظر: الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 470.

⁴ - ياقوت الحموي التّومي البغدادي، معجم البلدان، المجلّد 5، ص 182.

⁵ - سورة الفتح، الآية 24.

⁶ - سورة آل عمران، الآية 96.

"وإنما سُمِّيت بَكَّةً لآزدحام النَّاسِ بها يقال بكُّ النَّاسِ بعضهم بعضاً: إذا ازدحموا"¹، واختار "الزجاج" أن اشتقاق مَكَّةَ بالميم كاشتقاق بَكَّةَ بالباء²، فكانت (بَكَّةَ هي مَكَّةَ)، من باب إبدال الباء ميماً على لغة مازن³، واختصَّت الباء في (بَكَّةَ) بالشدَّة لتبيين التَّدافع والمغالبة والميم بالحنْفَة في (مَكَّةَ) فكانت أنسب لفظ للبلد الآمن⁴، وذهب آخرون أن (مَكَّةَ) الحرم كلُّه، وبكَّةَ مزدحم النَّاسِ؛ حيث تباكون وهو المسجد الحرام، ومن أسمائها (أمِّ رحم) لتراحم النَّاسِ فيها، و (أمِّ زحم) لتراحمهم بها، والباسَّة لأَنَّها تبسُّ من أُلحد فيها فتحطَّمه وتهلكه⁵، وغيرها كثير.

ومهما اختلفت التَّسميات فالمسمَّى واحد، "فأولها في الشَّرق وأولها وأرفعها رتبة وأعلاها، مَكَّةَ التي هي أفضل جميع الأرض، في طولها والعرض، وفي أول بيت وضع للنَّاسِ، وطهر من سائل النَّقائص والأدناس"⁶.

¹ - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1983م، ج 1، ص 227.

² - عبد العظيم فتحي خليل، الأعلام الممنوعة من الصَّرف في القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2004م، ص 159.

³ - ينظر: عبد القادر سيلا، الظواهر الصوتية في كتاب المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز في ضوء علم اللُّغة الحديث، رسالة ماجستير مخطوط، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السَّعودية، 2001م، ص 141.

⁴ - ينظر: محمد ياس خضر الدَّوري، دقائق الفروق اللُّغوية في البيان القرآني، رسالة دكتوراه (مخطوط)، كلية التَّربية ابن رشد جامعة بغداد، 2005م، ص 339.

⁵ - الاتِّحاد العام لجماعة القراء، مجلَّة كنوز القرآن، العددان 3 و 4، السَّنَة الخامسة، مقال لـ عبد الحميد حجازي، مَكَّة المكرَّمة أسماؤها صفاتها فضائلها، ص 51.

⁶ - غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهري، كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطَّرُق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس، 1983م، ص 10.

وما أحسن ما أنشد بعض الشعراء في التّعني بحاسن مكّة وفضلها: 1-2

لِمَكَّةِ مَجْدٍ بَادِخِ الرُّكْنِ وَالْفِتَنِ... وَفَضْلُ مُنِيفٍ بَاسِقُ الدُّوْحِ وَالْفِتَنِ
وَمَكَّةٌ فِيهَا كَعْبَةٌ الْحُسْنِ كُلُّهُ... وَرَبَّيْنَهَا فِي حَدِّهَا خَالَهَا الْحَسَنَ

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (نبتدا الكلمة) ، متحدّثا عن المكانة الهامة التي حظيت بها مكّة المكرمة وما خصّه الله عزّ و جلّ بذكرها وتشريفها: 3

كَيْفَ فَضْلٍ مَكَّةٍ عَن سَائِرِ الْأَنَامِ... وَالْمَدِينَةُ الْخَضِرَا دَارِ السَّعَادَةِ

وظّف الشاعر لفظ (مكّة) للدلالة على بلد بعينه هو بلد الله الحرام و (المدينة الخضراء) أي (المدينة الخضراء) هي المدينة المنورة أرض التّشريف والتّمجيد، التي بلغت العلا في تقدير مكانتها، وتقديسها ولمكّة والمدينة المنورة نفس المنزلة عند الرّسول صلى الله عليه وسلم "قالت مكّة: أنا أحبّ الأرض إليه أخرجته قومه عني، قالت المدينة: أنا أعزّ بلاد الله إليه، فمن أفضل مني". 4

وفي نظم (بسم الله بديت نزم) 5، يستعمل "بن خلّوف" لفظ (مكّة) مريدا به الكعبة من باب إطلاق الكلّ للدلالة على الجزء.

1- جمال الدّين محمد جار الله بن محمد نور الدّين بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة القرشي الحزومي، الجامع اللّطيف في فضل مكّة وأهلها وبناء البيت الشّريف، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط 1، 1921م، ص 163.

2- المرجع نفسه.

3- ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 162.

4- محمد بن سليمان، مفاخرة بين مكّة والمدينة المنورة، تح: محمد الشّشتاوي، دار الآفاق العربية، مصر، ط 1، 1999م، ص 15.

5- ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 127.

وفي قصيدة (اختارك الواحد الأحد) يقول:¹

باغي نَزُورُ مَالِيَّ طَاقَةً... مَكَّةُ اضْحَات فَرَضَ عَلِيًّا

والمراد بكلمة (مكة) هو أداء فريضة الحج، عبّر الشاعر بالكلمة على شعيرة دينية تقام في هذا البلد، فكان لفظ مكة رمز لركن من أركان الإسلام، نلتمس فيه معاني الدعاء والعبادة وتطبيق تعاليم الدين الإسلامي.

ب/ بغداد:

تبغدد فلان: تشبّه بأهل بغداد، الذين كانوا يتدلّلون ويستخفّون بزعماء المسلمين حين كان يطلب ودّهم ومساندتهم في الحكم فتراهم يميلون إلى ذاك وذاك دون الاستقرار على رأي واحد²، ونسب أصل كلمة (بغداد) للأعاجم، ف قيل في تسميتها: بَعُ اسم للصنم ودَادُ هو الفعل أعطى، وبَعُ دَادُ (الصنم أعطاني)، ومنهم من ذهب أنّ (باغ) بستان، (وداد) اسم رجل، و (باغ داد) هي بستان الرّجل، وبغداد اسم فارسي معرّب عن (باغ داذويه) و (داذويه) هو اسم لرجل من الفرس، و (الباغ) رقعة من الأرض كانت ملكاً له، وفي بغداد سبع لغات منها بغدان، مغدان، بغدان وغيرها.³

وبغداد اسم بلد يذكر ويؤنث وبانيها هو "المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس" ثاني الخلفاء العباسيين، وكانت ولايته في ستّ وثلاثين ومئة هجري⁴، وأصبحت بذلك مركز الدولة العباسية آنذاك، واليوم هي عاصمة العراق، وهي عروس العواصم وسيّدة الدّنيا ومدينة السّلام المتربّعة على نهر دجلة، تعرف بتاريخها العريق وحضاراتها المجيدة، لا تزال آثارها شاهدة

¹ - المصدر نفسه، ص 77.

² - ينظر: عبد المنعم سيّد عبد العال، معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية، ص 136.

³ - ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 456.

⁴ - ينظر: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، قاموس اللّغة (كتاب المصباح المنير)، ج 1، ص 78-79.

على ذلك، ولما كانت مهذا للديانات وسرحا للثقافات والعلوم، قصدها العلماء فتغنّوا بها وسالت أقلامهم في وصفها، يقول أحد الشعراء*¹:

تُطَاوِلُ فِي بَغْدَادِ لَيْلَى وَمَنْ يَكُنْ... بِبَغْدَادِ يَلْبَثُ لَيْلُهُ غَيْرَ رَاقِدٍ

ويقول "بن خلّوف" في قصيدة (دقة الحب):²

بِحَاهِ الْأَعْيَادِ وَالرُّجَالِ اللَّيِّ عِبَادٌ... وَمَوْلَى بَغْدَادِ رَأَى عَقْلِي هَائِمٌ

يتوسّل الشّاعر من الله جل جلاله السّتر والحفظ الدائم، مذكّرا بأعياد المسلمين والرّجال الصّالحين، منهم (مولى بغداد) الذي يقصد به (دفين بغداد) "سيدي عبد القادر الجلاي" * رحمه الله، ودلّت كلمة بغداد على المدينة المعروفة، أضاف لها الشّاعر لفظ (مولى) -الذي يعني (السّيّد) في الفصحى - لتعظيم سيادتها.

دلّت كلمة (بغداد) على مركز العلم والعلماء، عكست المكانة العالية والقطب التّاريخي الهام.

وفي نفس القصيدة يذكر "بن خلّوف" كلمة (البغدادية)، إشارة إلى (بغداد) وإلى "سيدي

عبد القادر الجلاي"³:

* - البيت: غير منسوب لشاعر معيّن.

¹ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، ج 5، ص 390.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 106.

* - هو عبد القادر الجلاي بن صالح موسى جنكي دوست ومعناه العظيم القدر بن عبد الله بين يحيي الزّاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السّبّط بن علي بن أبي طالب بن فاطمة الزّهراء بنت الرّسول صلى الله عليه وسلم، ولد 471 هـ وتوفي 561 هـ، ينظر: عبد الله بن محمد الشارف بن سيدي علي الشّارف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرّسول، المطبعة التّونسية، تونس 1929م، ص 121.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 104.

بِجَاهِ مَكَّةَ وَحُرْمَةَ اللَّيِّ زَارَهَا... وَبِجَاهِ شَيْخِ الْمَشَايخِ الْبَغْدَادِيِّ

ويعكس لفظ (البغدادي) النّسب الشّريف، أطلقت كلمة إشارة إلى الأصل العريق.

المبحث الثاني: ما دلّ على الفصول والشهور والأيام والليالي

1/ ما دلّ على فصول السنّة:

أ/ الربيع:

من الفعل رَبَعَ بمعنى أقام، رعت الأرض: مطرت في الربيع¹، أي في الفصل يتوسّط الشتاء والصيف، حدّد العرب وقته بجلول الشمس برأس الحمل، واعتدال الليل والنهار²، وإتّما سمّوه الربيع "لارتباعهم فيه ورعيتهم العشب... وهو فعيل بمعنى مفعول"³، ويعرف بمزاجه المعتدل و "لذلك قال "جالينوس": من لم يهزه الربيع فهو فاسد المزاج، محتاج إلى العلاج"⁴، وقال آخر "الربيع شباب الزمان ونسميه غذاء النفوس ومنظرة جلاء العيون"⁵، وتزيّن الأرض فيه بألوان الزهر المختلفة، وفي هذا يقول "أبو الفضل الميكالي"⁶:

تَصُوعُ لَنَا كَفُّ حَدَائِقًا... كَعَقْدِ عَقِيقِ بَيْنِ سَمَطِ لِيَالِي

¹ - ينظر: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الرّمحشري، أساس البلاغة، ج 1، ص 217.

² - ينظر: ابن قتيبة الدّينوري، الأنواء في مواسم العرب، ص 105.

³ - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، الأيام والليالي والشهور، ص 42.

⁴ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، سلوة الخريف بمنظره الربيع والخريف، طبع في بيروت سنة 1320 هـ، (دار التّشر غير موجودة).

⁵ - مجموعة مختارة من عيون الأدب العربي، التّحفة البهية والطّرفة الشّهية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1981م، الرّسالة

الثامنة: زهر الربيع في المثل البديع، ص 236.

⁶ - أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الألباب وثمر الألباب، المجلّد 2، ص 267.

ولما كان للطَّبِيعَة مكان في ديوان "بن خَلُوف"، استعار من كلمة الرَّبِيع ألوانا لمعانيه، فوظَّفها خمس مرّات، بدلالات متنوّعة.

يقول في نظم (ألف اسمثلوا كلامي):¹

قَدَّرَ عَشُوبَ الرَّبِيعِ دَائِمَ مُخْتَلِطَةً... مَا دَامَ الدُّنْيَا إِلَى نَهَارِ الْفَانِ

شبهه نباتات الربيع المتنوّعة أشكالها، المختلفة ألوان أزهارها، بالبشر في اختلاف أجناسهم وتباين مناصبهم، ووجه الشّبه هو الاختلاف والمفارقة، دلّ لفظ (الرّبيع) على معنى التّنوّع والاختلاف، ويقول في قصيدة (قدر ما في بحر الظّلام):²

قَدَّرَ الحِلْفَةَ والدَّوْمُ وَالزَّرْعُ والرَّبِيعُ

وفي نظم (لو لا أنت) يقول:

مَا دَامَتِ الأَيَّامُ والليالي تبوعة... صَيْفِيَّةٌ وَحَرِيفٌ والرَّبِيعُ وَشَائِي

يتحدّث "بن خَلُوف" في البيت عن دوران الزّمن وتتابع أيّامه ولياليه وفصوله، والرّبيع هو الرّبيع في الفصحى وأحد حلقات الزّمن السّائر الذي يعيد نفسه كلّ سنة، عكس لفظ الرّبيع هنا معاني العودة والتّتابع والتّجدد.

ثمّ يعطي كلمة الرّبيع معنى جديدا في قصيدة (دقّة القلب):³

خايف نَحْمَاقِ أَعْدَرُونِي يَا عَشَّاقَ... رَبِيعُ الأَرْمَاقِ لِيَهَ قَلْبِي هَاوِي

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 59.

² - المصدر نفسه، ص 66.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 105.

والرّسول صلى الله عليه وسلم بهجة الناظر في حسنه، وسمة أخلاقه كالرّبيع في جمال منظره ولطافة جوّه، رمزت الكلمة في البيت إلى الانطراب والبهجة والحسن.

وكان النّبي عليه الصّلاة والسّلام عائداً خيراً على بني سعد ومن جاورهم، فمنذ قدومه والخيرات تتدفّق عليهم، فنشطت تجارتهم، وزادت مكاسبهم، وفي ذلك يقول "بن خَلّوف" في قصيدة (يا كوثر اللّبن):¹

لَا قَائِلًا يَقُولُ الرَّبِيعُ يَا فَارِسَ... يَا قِصَّةَ الْغُنَا نُدِيرُ الْأَعْرَابَ

أعطى الشّاعر للرّبيع معنى الخيرات والغنى فكان مصدر رزق في البيت.

2/ ما دلّ على الشّهور:

أ/ نيسان:

الشّهر السّابع من شهور السنّة السّريانية، ويقابله أبريل، الشّهر الرّابع من شهور السنّة الميلادية²، ونيسان بالفتح من شهور السنّة المسيحية³، كلمة دخيلة على اللّغة العربية⁴، وأجاز محيط المحيط نطق الكلمة بكسر التّون (نيسان)، خلافاً لمعجم الأغلاط اللّغوية الذي عثر هذا الجواز، وصوّته إلى (نيسان) بفتح التّون.

يقول بعض الشّعراء في أرجوزة مداخلة الشّهور:*

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلّوف، ص 97.

² - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوجيز، ص 661.

³ - ينظر: سعيد الخوري، أقرب الموارد إلى فصيح الشوارد، ص 1364.

⁴ - ينظر: شوقي حماده، معجم عجائب اللّغة العربية، ص 125.

* - شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب التّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 1، ص 153.

أَوَّلَ نَيْسَانَ لَدَى التَّجْرِيدِ... السَّادِسُ المَعْدُودُ مِنْ بَرْمُودِ

وفي قصيدة (نرغب المعين المبدي) يقول "بن خلُوف"¹:

زَحْرَفَتْ نَيْسَانُ البَرْدِ... فِي زَمَانِ أَرْيَاحِ الصَّرْصَارِ، يَا المُخْتَارِ

والرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ لَوْحَةٌ جَمِيلَةٌ زَيَّنَتْ سَمَاءَ مَلْبَدَةٍ بِالْغَيْومِ، فِي إِحْدَى أَيَّامِ الشَّتَاءِ العَاصِفَةِ، يَشْبَهُ الشَّاعِرَ حَالَتَهُ النَّفْسِيَّةَ المُضْطَّرِبَةَ القَلْقَلَةَ عَلَى مَصِيرِهَا بِالرِّيَّاحِ القَوِيَّةِ، وَذَكَرَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الشَّمْسُ الَّتِي تَبَدَّدَ الغَيْومِ، وَتَذَهَبَ الرِّيَّاحُ فَتَزْرَعُ السَّكِينَةَ وَالْإِطْمِئْنَانَ مِنْ جَدِيدٍ وَيَتَلَاشَى الخَوْفَ، فَتَنْبِتُ الثَّقَّةَ بِالنَّفْسِ وَيَتَحَقَّقُ الاِسْتِقْرَارَ الرُّوحِيَّ.

3/ ما دلَّ على الأيَّامِ واللِّيالي:

أ/ الجمعة:

سابع يوم من أَيَّامِ الأَسْبُوعِ، سَمِّيَ فِي الجَاهِلِيَّةِ عَرُوبَةً بِمَعْنَى الرَّحْمَةِ²، وَجَاءَتْ الكَلِمَةُ بِالأَلْفِ وَاللَّامِ أَيْضاً (العروبة)³، لِقَوْلِ "الفطامي"⁴:

نَفْسِي فِدَاءِ بُنِّي أُمِّ هُمْ خَلَطُوا... يَوْمُ العُرُوبَةِ أَوْرَادَ بِأُورَادِ

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلُوف، ص 184.

² - أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، المنتخب من غريب كلام العرب، ج 1، ص 767.

³ - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، كتاب جمهرة اللُّغة، ج 3، ص 489.

⁴ - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، الأيَّامِ واللِّيالي والشَّهور، تح: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 2، 1980م،

والجمعة ليس من "لفظ العدد، وإنما سُمِّي به لاجتماع النَّاس فيه، أو لإجماعهم على تفضيله ويقال الجُمُعة والجُمُعة"¹، بالتَّخْفِيف والتَّثْقِيل في النُّطْق، والذين اتَّبَعُوا الضَّمَّة ذهبوا إلى صفة اليوم في الاجتماع، وجمعها جُمُعات وجمَّع، وقيل أنه سُمِّي بذلك لأنَّ الله تعالى جمع فيها خلق آدم.²

إنَّ يوم الجمعة هو سيِّد الأيَّام³، وخير يوم طلعت فيه الشَّمْس، لما فيه من الفضائل، يجتمع الخلق فيه لأداء الصَّلَاة والاستماع للخطبة، وفيه ساعة لا تردُّ فيها دعوة مسلم، يسأل الله فضله إلاَّ أعطاه لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله ليس بتارك أحدا من المسلمين يوم الجمعة إلاَّ غفر له".⁴ ولما ثبت ليوم الجمعة ذلك الشَّرَف العظيم، ذكره "بن خَلُوف" في ديوانه مشيرا لبركته وتفضيله على سائر الأيَّام، يقول في قصيدة (لو لا أنت):⁵

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ قَدَّرَ فَضْلُ الْجُمُعَةِ... وَفَضْلُ عَاشُورَةَ وَالْعِيدِ يَمْضِي وَيَأْتِي

والصَّلَاة على الرَّسُول الكَرِيم يوم الجمعة تكفِّر الذَّنُوب، وتقرَّب من الله عزَّ و جلّ، وهي كذلك في غير هذا يوم يقول الشَّاعر في نفسه القصيدة:⁶

وَالْأَحَدُ وَالْإِثْنَيْنِ وَالثَّلَاةَ وَالْأَرْبَعَةَ... وَخَمِيسٌ وَجُمُعَةٌ وَفِي نَهَارِ السُّبُوتِي

¹ ابن سيده اللُّغوي، المخصَّص، السُّفْر التَّاسِع، ص 43.

² ينظر: محمد الهواري، السُّبْت والجمعة في اليهودية والإسلام، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1، 1988م، ص 142-140.

³ ينظر: أبو طاهر محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، سفر السَّعادة، تح: أحمد عبد الرَّحِيم السَّايح و عمر يوسف حمزة، مكتب الكتاب للنشر، القاهرة، ط 1، 1997م، ص 78.

⁴ وجيه الدِّين عبد الرَّحْمَن الأذْرعي، بشارة المحبوب بتكفير الذَّنُوب، تح: أيمن عبد الجبَّار البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2002م

⁵ ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 66.

⁶ المصدر نفسه، ص 66.

يشغل "بن خَلّوف" نفسه بالاستغفار، وذكر الرّسول صلى الله عليه وسلم والصّلاة عليه ليلة الخميس استقبالا ليوم الجمعة المبارك عملا بقول العلماء: "إنّ لله عزّ و جلّ فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلّا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة"¹، ويقول الشّاعر في قصيدة (إلّا وجه الحبيب غاب):²

أَنَا مَدْحِيٌّ لِلرَّسُولِ هَمَّةً وَشَبَاحًا... لَيْلَةُ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ مَعَ الْجُمُعَةِ

ويقول أيضا في نظم (نبتدا الكلمة):³

وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ وَالسَّلَامُ... لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ مَعَ صَبَاحِ يَوْمِهَا

وتعكس عظمة كلمة الجمعة معاني العبادة والدّعاء، والخشوع وجميع الأعمال الصّالحة التي تقرب المسلم من ربّه.

وينقل الشّاعر في نفس القصيدة للحديث عن تعاقب الأيّام والسّنون، موظفا اللفظ السابق رمزا لمضيّ الوقت وتتابع الزّمن والأعوام، يقول:⁴

الشَّهْرُ وَالْجُمُعَةُ وَالْأَيَّامُ وَالْأَعْوَامُ... نَاقِصَةٌ مِنْ عُمْرِي وَأَنَا نَعْدُهَا

وعندما يمضي الشّاعر لحبك أحداث معركة مزگران التي جرت وقائعها يوم الجمعة المبارك، يعلّل الدّعر والفرع، الذين أصابا الجيش الإسباني جرّاء القتال والحرب بعظمة هذا اليوم، فكأنّ في

¹ - محمد الهواري، السّبت والجمعة في اليهودية والإسلام، ص 226.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خَلّوف، ص 114.

³ - المصدر نفسه، ص: 160-166.

⁴ - المصدر نفسه، ص 163.

طلوع فجر الجمعة رهبة أصابت صفوف النَّصارى، فأسرت نفوسهم، وأضعفت قائدهم، فحلّ بهم الخوف والاستسلام، يقول:¹

عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ حَلَّ الْكَارِ... وارتعبوا بفضائل الجُمُعَةِ

ب/ اللّيلة:

أي اللّيلة، اللّيل ضدّ الظلام²، واحدة ليلة وجمعه ليال، وهو المدّة من غروب الشّمس إلى طلوعها، وقسموه إلى قسمين: فما ذكر هو ليل طبيعي وأما "الشّرعي، فهو من حين غروبها إلى طلوع الفجر الثّاني"³، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾⁴.
ومّا جاء في ذكر اللّيل قول "الحطيئة"⁵:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ عَارِمٍ النَّظْرَاتِ... يُقَطِّعُ طُولُ اللَّيْلِ بِالزَّفْرَاتِ
إِذَا مَا الثُّرَيَّا آخِرَ اللَّيْلِ أَعْنَقَتْ... كَوَاكِبُهَا كَالْجَزَعِ مُنْحَدَرَاتِ

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (نتدا الكلمة):⁶

حُذِّ حَضَّكَ مِنْهَا يَا غَابِطَ الْمَنَامِ... يَا الرَّاقِدَةَ مِثْلِي اللَّيْلَةَ بِطُوهَا

¹ - المصدر السابق، ص 184.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج 4، ص 113.

³ - شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب التّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص 123.

⁴ - سورة البقرة، الآية 187.

⁵ - ديوان الحطيئة، شرح حمدو طماس، دار المعرفة، لبنان، ط 2، 2005م، ص 28.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص: 161.

يلوم الشّاعر اللاهين عن ذكر الله، المنشغلين بالدّنيا، جاء معنى كلمة (اللَّيْلَة) لتصوير الغفلة واللامبالاة.

وكثيرا ما يستعير الشّاعر لفظ (ليلة) للدلالة على (اليوم)، كما في قصيدة (بما في علمك القديم) يقول:¹

نَخْتِمُ قَوْلِي بِلَا إِلاهِ إِلاَّ اللهُ... تَحَضَّرُ لِي لَيْلَةُ الْمَمَاتِ

والمقصود بقوله (ليلة الممات) يوم الممات، ويدلّ بكلمة (اللَّيْل) على مدّة زمنية طويلة، في نظم (قدر ما في بحر الظّلام) ، يقول:²

قَدَّرَ اللَّيْلُ وَمَا يَلِيهِ النَّهَارُ يَا سَامِعِينَ

4/ ما دلّ على أسماء أخرى:

أ/ الدَّهْر:

هو الأبد الممدود³، ومن أسمائه المون والطَّيْل والطَّوْل والأبْض، والمسند والسَّبات والأعرم والحرس وغيرها⁴، ويقال "دهر دُهرور"، ويقال دهر، داهر⁵، ودهري للذي لا يؤمن بالآخرة، ويقول

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلّوف، ص 159.

² - المصدر نفسه، ص 51.

³ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 52.

⁴ - ينظر: أبو علي المرزوقي الأصفهاني، كتاب الأزمنة والأمكنة، مجلس دائرة المعارف، الهند، ط 1، 1332هـ، ج 1، ص 288-297.

⁵ - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، الأيام واللَّيالي والشهور، ص 78.

بأزلية الوجود، والدَّهْر هو الزَّمان الطَّويل المحدود، يقول "حَطَّان بن المعلَّى" أحد شعراء الحماسة في العصر الإسلامي:¹

أَبْكَانِي الدَّهْرُ وَيَا رُبَّمَا... أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي

يصلِّي "بن خَلُوف" في ديوانه على الرِّسول الكريم صلى الله عليه وسلم مدى الزَّمن وإن طال يقول:²

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ... طُولُ الدَّهْرِ عَلَى نَبِيِّنَا

ولما كان موضوع ديوان الشَّاعر مدح خاتم المرسلين عليه الصَّلَاة والسَّلَام، أصبح لزاما عليه نعت روحه الطَّاهرة الشَّريفة بأجمل الصِّفَات، فراح يتخيَّر له اللَّفْظ المناسب ومقام حضرته صلى الله عليه وسلم.

وفي قصيدة (لو لا أنت) يناديه مادحا (بسراج الدَّهر) تسعة عشر مرَّة يقول:³

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ الْعَرَبِيِّ... يَا سِرَاجَ الدَّهْرِ يَا الْمُرْسَلِ نَبِيِّنَا

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو مبلِّغ رسالة الهدى التي تهدي إلى طريق الحقِّ كما يهدي الضَّوء إلى الطَّرِيق، فيتبدَّد ظلام الدُّنيا وتبني مفاهيم الحياة، وتشير كلمة دهر إلى الزَّمن البعيد الضَّارب في التَّاريخ، إلى وقت مضى وفات وما سيأتي وما سيكون، وهي دلالة تنطوي على مفهوم أعمق من

¹ - علي الطَّنطاوي، من شوارد الشَّواهد، دار المغارة، السَّعودية، ط 1، 1988م، ص 27.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 41.

³ - المصدر السَّابق، ص 65.

أن يكون الدّهر اسماً للزّمن الطّويل، فهو مفهوم يؤثّر عمق الرّسالة المحمّدية الهادية في جميع الأزمنة والأمكنة، منذ مجيء الإسلام إلى يوم البعث.

وجاءت كلمة (الدّهر) مسبوقه بلفظ (سراج) في معظم القصائد، ولعلّ هذا التّتابع معنى يوحي بديمومة الاستضاءة، في هديه عليه الصّلاة والسّلام.

عكست كلمة (الدّهر) حقبة زمنية طويلة جدّاً، لا يعرف لها نهاية، ولا حدّ.

وفي قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة) يقول "بن خَلُوف"¹:

ثُمَّ جَعَلُوهُ فِي السِّجْنِ دَهْرَ وَمَدَّةٍ... وَسَكَنَ دَارَ الظَّلَامِ مِنْ لِإِلْهَا بَاب

يحدّثنا الشّاعر في القصيدة على معجزة الرّسول صلى الله عليه وسلم، ورغبة المشركون في التّخلّص من الغلام الذي أعلن إسلامه، فوضعه في جوف الأرض، وبعدهما أحسّوا هلاكه، تفقدوه فإذا هو حيّ يرزق.

وهذا التّفقّد كان بعد دهر ومدّة كما قال الشّاعر، أي بعد انقضاء جمع أوقات متوالية مختلفة أو غير مختلفة، وجعل لفظ المدّة معطوفا على الدّهر لبيان طول الوقت واختلافه في الحرّ والبرد، "لأنّ من المدّة ما يكون أطول من الدّهر ألا تراهم يقولون: هذه الدّنيا دهر ولا يقال: الدّنيا مدد...".²

المبحث الثالث: ما دلّ على الحيوان والتّبات

1/ ما دلّ على الحيوان:

أ/ الخيل:

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 123.

² - أبو الهلال العسكري، الفروق اللّغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والتّقافة القاهرة، د ت، ص 270.

أي الخيل: بكسر الخاء في اللهجة وفتحها في اللغة، "جماعة الفرس لم تؤخذ من واحد مثل النبل والإبل"¹، وجاء في "الصّحاح" "الخيّل: الفرسان"²، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾³، وسمّيت خيلا لاختيالها في المشي "وكان أبو عبيدة يقول واحها خائل لاختيالها فهو على هذا اسم للجمع عند سيبويه وجمع عند أبي الحسن"⁴.

أولى العرب عناية فائقة بالخيّل، فربّوها واعتنوا بها وروّضوها واستعانوا بها في حروبهم وتنقلاتهم وفي الصّيد أيضا، حتّى كسبت مكانة عالية من الوصف في أشعارهم فتغنّوا بها، وصوّروها في أحسن صورة، وها هو ذا "طرفة بن العبد" يصف لنا فرسا شاهده:⁵

وَلَقَدْ شَهِدَتِ الْخَيْلُ وَهِيَ مُعَيَّرَةٌ... وَلَقَدْ طَغَتْ مُجَامِعُ الرَّبَابَاتِ

ولما بعث الرّسول صلى الله عليه وسلم اتّخذ الخيل "وارتبطها وأعجب بها وخضّ عليها وأعلم المسلمين ما لهم في ذلك من الأجر والغنيمة"⁶، فسارعوا إلى تربيتها والاهتمام بها.

تكرّرت كلمة (الخيّل) في الديوان سبع مرّات جمعا وإفرادا، وردت ثلاث مرّات اسما مفردا معرّفا، ومرّة اسما مفردا نكرة، وجاءت على صيغة الجمع ثلاث مرّات، يقول الشّاعر في قصيدة (قدر ما في بحر الظّلام):⁷

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 458.

² - إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص 1691.

³ - سورة النحل، الآية 8.

⁴ - ابن سيده اللّغوي، كتاب المخصّص، ج 6، ص 135.

⁵ - ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، لبنان، ط 1، 2003م، ص 17.

⁶ - أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبلي، كتاب نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، تح: جرجس لوى دلا وبدا، مطبعة بريل، لندن، 1928م، ص 02.

⁷ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 52.

وَعَدَدُ الْخَيْلِ وَمَا طَعَنْتَ بِهَا الرُّجَالَ

ويقول أيضا في نفس القصيدة:¹

وَمَا رَكَّبْتُ مِنْ خَيْلٍ مِنْ جُنُودِ الْمُسْلِمِينَ

صرّح الشّاعر بقوله (الخيّل) و (خيل)، بكسر الخاء في العامية وفتحها في الفصحى، والمراد بها نفس المعنى الذي تشير إليه الكلمة، أي الحيوان المعروف.

وفي قصيدة (أو ياك راه علم شيبي)، يقول واصفا جبّارا عنيدا من الأوّلين، وما لاقاه في عاقبته:²

وَرَكَّبَ مِنَ الْخَيْولِ أَرْبَعَةَ آآفٍ... اصْفَى مِنَ الْوَرِيقِ وَأَعْلَى مِنَ الْفَجْرَا

و (الخيول) هي (الخيول) بضمّ الخاء في الفصحى.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (نبتدا الكلمة):³

لَاغِنَا ننتقلوا مِنَ الدَّيَّارِ وَالْحَيَّامِ... تَرْتَحِلُ ذَا الدُّنْيَا مَعَ حُيُولِهَا

عبارة (لاغنا) تعني (لابد)، ومن المحتمّ الرّحيل عن الدّنيا وترك ما فيها من متاع وخيول وغيرها، والمراد بالخيول في البيت كلّ ما يدبّ على الأرض، فألحق اللفظ الدالّ على الخاصّ للدلالة على العموم.

كانت الخيول قديما مراكبا للمجاهدين في سبيل الله، المدافعين لرفع راية الإسلام "وأمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأنّخاذها وارتباطها، واعتبارها من مصادر القوّة، ومن أهمّ

¹ - المصدر نفسه، ص 51.

² - المصدر نفسه، ص 174.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 164.

أدوات الحرب التي يجب أن تعدّ لمواجهة الأعداء والأخطار الخارجية التي تحيط بالأمة الإسلامية"¹، من ذلك الخطر الإسباني النصراني الذي هدّد سيادة الجزائريين فيما مضى، وينقل لنا "بن خَلُوف" بحماس كبير وقائع معركة مزگران مشيرا إلى استعدادات الحرب:²

جَات خُيُولَ افريقيَا تَنْجَرُ... وقراسين الحُرْبَ مَدْكُورَةَ

أ.1/ الفرس:

"واحد الخيل الذّكر والأنثى في ذلك سواء"³، والجمع أفراس، وعند نسب الخيل لصاحبه نقول (فارس)، ويمثّل "الفرس التّمودج الأعلى للجودة في الخيل فهو في الغالب (ذكرا كان أو أنثى) كميت، ضامر مدمج الخلق مترز اللّحم، طويل القرا، طويل الذّنب..."⁴.

وكلمة (فراسين) في البيت تعني (فرسان) والفوارس، أي المحاربون على ظهور الخيل والمأهرون في ركوبها، ومن ذلك قول الشّاعر في قصيدة (قصة مزگران) أيضا:⁵

يَا فَارِسُ مَنْ تَمَّ حَيْثُ الْيَوْمِ... غَزْوَةُ مزگران مَعْلُومَةٌ
يَا عَجَلَانَا رِيضَ الْمَلْجُومِ... رَأَيْتُ اجنَابَ السِّلْوِ موشومة

أ-2/ الملجوم:

¹ - سند بن مطلق السّبيعي، الخيل معقود في نواصيها الخير، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 2004م، ص 20.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 183.

³ - المعجم الوسيط، ص 681.

⁴ - سوسن يموت، مشاهد الصّيد في الشّعر الجاهلي، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الأمريكية في بيروت، 1985م، ص

70.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 182.

اسم مفعول أطلق للدلالة على الخيل أو الفرس، من الفعل جَمَّ، مصدره اللَّجَم واللَّجَام "ما يجعل في فم الفرس من حديد مع الحكمتين والعذارين والسيير"¹، وقالت العرب في أمثالها: "جاء فلان وقد لفظ لجامه، إذا انصرف عن حاجته مجهوداً من الإعياء والعطش"²، وبالبحث عن جذور الكلمة يتضح أنّ "اللفظة سامية الأصل وغنما الفارسية أخذتها من الأرامية"³، ويشير "ابن سيده" أنّ اللفظ فارسي معرّب، يدلّ على جبل أو عصا يدخل في دم الدابة.⁴

و (الشلو): سيور اللجام التي انتشلت من شدّة اليسر في ساحة القتال وهي أشلاء اللجام.⁵

وفي وصف صورة اللجام، والشلو، انعكاس لحالة فارس أعياء التعب، وبلغ منه الإرهاق كلّ مبلغ، وفي ذلك نزع لمعاني جميلة تقودنا لتخيّل الواقعة أو المعركة.

تعدّت الدلالة الإيحائية لكلمة (الشلو) المفهوم المادّي الذي وضعت له، ورسمت معنى حسّي لحال إنسان متعب.

يصوّر الشّاعر فرسا أحمرًا، لا يقدرّ ثمنه بكنوز الدّنيا، ففرسه غير كلّ الفرس تقاس قيمته بقناطر الذهب، يسرع به إلى الرّسول صلى الله عليه وسلم، يقول "بن خلّوف" في قصيدة (مفتاح خير إلا ينفذ):⁶

¹ - المنجد في اللّغة، ص 714.

² - أبو يعقوب يوسف بن طاهر الخويي، فرائد الخرائد في الأمثال، ص 143.

³ - السيّد ادي شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص 142.

⁴ - ينظر: ابن سيده اللّغوي، المخصّص، ج 6، ص 188.

⁵ - ينظر: المنجد في اللّغة، ص 400.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 69.

مِنْ صَابٍ لِيْ عَمُوْهَجٍ أَحْمَرٍ... يَسُوْى مِنْ الْإِبْرِيْزِ مِيًّا

مَعْلُوْمٍ بُحْلِيٍّ وَيُعَمَّرُ... لِلْهَاشِمِيِّ يُسْرِعُ بِيَّا

ب/ الإبل:

هو حيوان معروف يعيش في المناطق الحارة، يطلق عليه اسم "سفينة الصحرا" له سنام أو سنامين، يتميز بشدة تحمله للعطش، ويقال "الإبل المؤبلة: التي جعلت قطيعا قطيعا"¹، ويقع اللفظ على "البعران الكثيرة ولا واحد له من لفظه"²، يقول الله عزّ و جلّ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۗ ۱۷﴾³، أجمع المفسرون أنّ كلمة (الإبل) في الآية دلّت على معنى الغيم⁴، خلافا لمعناها المعروف المتداول في المصادر الشعرية وكتب الأدب، ونضرب لذلك مثلا بشعر "الحطيئة"، يقول ناهيا خروج إبله لمرعاها مخافة أن تذهب:⁵

وَيَأْمُرُ بِالْجَمَالِ فَلَا تُعْشَى... إِذَا أَمْسَى وَقَدْ قَرَبَ الْعِشَاءُ

ويقول "بن خلّوف" في قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة):⁶

يَوْمُ خَرَجَ الرَّسُولُ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ... لِحَقِّ عِنْدَ الْإِبِلِ رَاعِيٍ وَوَلَدَ فَرِيدٍ

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 52.

² - الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 08.

³ - سورة العاشية، الآية 17.

⁴ - أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللّغوي، شجرة الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، تح: محمد عبد الجواد، دار المعارف، القاهرة، ط 3، ص 85.

⁵ - ديوان الحطيئة، اعتنى به: حمدو طماس، ص 14.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 119.

كثرت كلمة (الإبل) في الديوان ثلاث مرّات، سبقت مرّتين باسم الإشارة (ذا)، كما في قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة):¹

قَالَ الْعُلَامُ لِلنَّبِيِّ يَا طَه لَبَيْكُ... أَقْبَلْ مُنِي ذَا الْإِبِلِ أَنْتَ أَوْلَى بِهَا

كما استعمل لفظ (البعير) للتعبير عن الإبل يقول في قصيدة (إذا تحيرت من ذنوبي):²

يَتَمَرَّتْ فِي الْعُيُوبِ شَيْءٌ... نَسْتَخْشَعُ وَالْبَعِيرَ يَعْتَرِ

والبعير من الإبل معروف، ويقال للذكر والأنثى، كما في كلمة إنسان للذكر، وهذه إنسان للمرأة³ ومن صفاتها الرجول، "إذا كان الجمل فيها قويًا على الارتحال الذكر فيه والأنثى سواء".⁴ ويشبه الشاعر في البيت حالته النفسية المضطربة بشاة تتخبّط بعد ذبحها، فقد نال منه المشيب وأدركه الكبر، ولا يزال للمعاصي حاصدا، ممّا ولّد لديه صراعا مع نفسه مثله ببعير يحتضر.

ويصرّح الشاعر بكلمة (جمال) للدلالة على (الإبل) في قصيدة (قدر ما في بحر الظلام) يقول:⁵

قَدَّرَ الْعَدْرَا وَالْمَالَ وَالطَّبِي وَالْجَمَالَ

(الجمال) بسكون الجيم في اللهجة وكسرهما في الفصحى (الجمال).

¹ - المصدر نفسه، ص 122.

² - المصدر نفسه، ص 123.

³ - نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الأرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1999م، ج 1، ص 571.

⁴ - أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكّيت، الكنز اللّغوي في اللّسن العربي، تعليق: أو غست هفنز، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1903م، ص 104.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 52.

يشبّه الشاعر المنزلة العظيمة للرّسول عليه الصّلاة والسّلام بكلّ ما علا من على وجه الأرض، فلو كان الكون جمالا لبقيت مكانة النبي عليه أركى الصّلاة والسّلام في دروته لا محالة، يقول في قصيدة (مفتاح خير إلا ينفذ):¹

لَوْ كَانَتْ الْأَكْوَانُ جِبَالٌ... يُقَالُ فِيكَ أَنْتَ الرَّبُّوَّةُ
لَوْ كَانَتْ الْأَكْوَانُ أَجْمَالٌ... يُقَالُ فِيكَ أَنْتَ الدِّرْوَةُ

1.1 ما دلّ على الطيور:

تنوّعت الأسماء الدالة على هذا الحقل في الديوان منها: الغراب، الباز، الحمام الورشان، وغيرها، ومن هذه المجموعة اخترنا اسما واحدا للدراسة:

أ/ الغراب:

"جمع أغرب وأغربة وغربان"²، والغراب طائر شديد السّواد، "تقول العرب فلان أبصر من غراب"³ للمفاضلة، كما يطلق اسم الغراب تشاؤما به، يقولون "أفسق من الغراب"⁴، وذكره الله عزّ و جلّ في القرآن الكريم، للدلالة على الطائر المعروف، يقول جلّ جلاله في سورة المائدة: ﴿قَبَعَتْ اللَّهَ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾⁵، وفي سورة فاطر: ﴿وَمَنْ أَلْجَبَالَ جُدُّ بَيْضٍ وَحُمْرٌ مُخْتَلَفٌ لَوْنُهَا وَغَرَابِيبُ

¹ - المصدر نفسه، ص 81.

² - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم الغرابوي، مطبعة حكومة الكويت، ط 2، 1987م، ج 3، ص 467.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ص 3229.

⁴ - أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم التيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، تح: محمد محي الدين عبد المجيد، مطبعة السنّة المحمدية، 1955م، ج 2، ص 90، رقم المثل: 2827.

⁵ - سورة المائدة، الآية 31.

سُوْدٌ^{٢٧}،¹ أي متناهية في السَّوَادِ²، تشير الكلمة إلى دلالات عديدة في ديوان "بن خَلُوف"، منها ما دلَّ على الحزن والتَّشَاؤْمِ والفراق، يقول في قصيدة (الموت لا غنى تدركني):³

فِي كُلِّ حِينٍ يَدْنُو مَيِّتِي... قَبْرِيَّ وَمَنْزِلِيَّ يُدْرِكُنِي هَتْفُ الْغُرَابِ

يتشائم الشَّاعِر من هتف الغراب، الذي يدلُّ بصوته على قروب أجله، وسجَّلنا نفس المعنى

في قول "ابن حمديس":⁴

أَشَارَتْ وَسَحَبَ الدَّمْعَ دَائِمَةَ السَّفْحِ... بِأَنَّ غُرَابَ الْبَيْنِ يَنْعَبُ فِي الصُّبْحِ

"التَّعْيِقُ والتَّعْيِبُ: نعيقه بالخير وتعيبه بالبين"⁵، ويسمى أيضا الشَّحِيحُ: شحج الغراب إذا غلظ

صوته، وكثيرا ما يذكر في أشعار العرب وأمثالهم تشاؤما به⁶، ورمزا لاستحالة أمر في قول الشَّاعِر

"راهب اللَّيْلِ":⁷

أُمَّةٌ تَنْشُدُ السَّلَامَ فَمَا بَالِ حَمَامِ السَّلَامِ أَمْسَى غُرَابًا

¹ - سورة فاطر، الآية 27.

² - مجمع اللُّغة العربيَّة بمصر، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة العامَّة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 138.

⁴ - ديوان ابن حمديس، تح: محمد عباس، دار صادر، بيروت، 1960م، ص 93.

⁵ - أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل التَّعَالِي، فقه اللُّغة وأسرار العربيَّة، ص 245.

⁶ - ينظر: قاسم أديب عراي، الطَّيْر في تاج العروس للزَّبيدي، رسالة ماجستير مخطوط، الجامعة الأميركيَّة، بيروت، لبنان،

1973م، ص 181-182.

⁷ - ديوان راهب اللَّيْلِ، دار الشُّرُوق، بيروت، ط 1، 1983م، ص 129.

يستعمل "بن خَلُوف" لفظ الغراب للدلالة على اللون الأسود، في قصيدة (أوتياك راه علم شبي) يقول:¹

أَوَيَاكَ رَاهَ عِلْمَ شَيْبِي فِي رَاسِي... وَأَيْنَ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ مِنْ صَارَ رُخَامَةَ

(أوتياك) في اللهجة تعني (حقاً) (وكن متيقناً) في الفصحى، يؤكد "بن خَلُوف" على تغيير لون شعره الذي أصبح رخاماً كما قال، بعد أن كان أسوداً غراباً.

يوظف الشاعر نفس اللفظ للدلالة على (الشعر) ووجه المشابهة بينهما شدة السواد، يقول في قصيدة (جفّ المداد):²

بَعْدَ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ رَاهَ كَسَانِي الْبَيَاضُ... بِالنُّورِ وَالذَّنْسِ يَا لَأَهْيَ عَنْ رَاهِبِ

وفي قصيدة (الموت لا غنى تدركني) يستعمل "بن خَلُوف" كلمة (الغراب) للدلالة على الاستحالة، أي استحالة وقوع حدث ما، يقول:³

جَمِيعَ مَنْ زَارَنِي مَا يُثْنِي... وَلَوْ كَانَ تَيْبَسُ الدَّوْمِ وَيَشِيبُ الْغُرَابِ

ومن هذا الباب ما جاء في كلام العرب: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب، للدلالة على ندرة الحدث.⁴

2.1 ما دلّ على دواب مائة:

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 173.

² - المصدر نفسه، ص 170.

³ - المصدر السابق، ص 140.

⁴ - ينظر: قاسم أديب عرابي، الطير في تاج العروس للزبيدي، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1973م، ص 180.

تميّز هذا الحقل بوجود اسمين: الحوت والضفادع.

أ/ الضفادع:

أي الضفادع، جمع (ضفدع)، والأنثى ضفدعة ويقال للضفدع أبو المسبح، وأبو هميرة، وأبو معبد¹، وهو "حيوان برمائي ذو نقيق"²، من الخلق الذي لا عظام له وأجحظهم عينا³، ويوصف بحدّة السمع إذا كان خارج الماء، له جلد رقيق أسفل أذنيه، ينطبق في فصل الشتاء فلا يفتح حتى يعتدل الجو، ويضرب به المثل في شدة الحذر⁴، وقيل "إنّ الضفدع ينقّ بالليل فإذا رأى النار ترك النقيق"⁵، والضفدع والضفدع والضفدع كلّها صحيحة و "يجوز جمعه على ضفادي أيضا"⁶ وضفادع، يقول الله عزّ و جلّ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ﴾⁷.

واستعان العرب في تشبيهاهم بالضفدع، فوصفوه وأشاروا إلى شكله وصوته في تصوير لوحاتهم، تغنيا بالطبيعة الخلابة وما فيها من وحوش وطيور وهوام عديدة.

وقصيدة (الضفادع والتجوم) لـ "إيليا أبي ماضي" لأبرز مثال على دقة الوصف، فقد سعى الشاعر من خلالها إلى تصوير مظهر طبيعي جميل، تلمع فيه النجوم ليلا، ويسمع للضفادع نقيقا، ليجسد فكرة الكبرياء والغرور بأسلوب سياسي ساخر، يقول في مطلعها:⁸

¹ - ينظر: كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج 2، ص 102.

² - مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص 698.

³ - ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج 5، ص 527-529.

⁴ - ينظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 10، ص 194.

⁵ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأمصار في ممالك الأبصار، ص 193.

⁶ - محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1989م، ص 396.

⁷ - سورة الأعراف، الآية 133.

⁸ - ديوان إيليا أبي ماضي، دار العودة، بيروت، ص 667.

صَاَحَتِ الضَّفَادِعُ لَمَّا شَاهَدَتْ... حَوَّلَهَا فِي الْمَاءِ أَظِلَالَ النُّجُومِ

وينقل "بن خلوف" لنا مشهد احتفاء المخلوقات برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام وفرحهم بها، فسمع للطبول قرعا، وللطيور رنينا، وللضفادع نقيقا، يقول:¹

وَعَسَاكِرُ بِطُبُولٍ رَنَّتْ... تَنْسُجُ فِي قَرْيَةٍ وَخَيْمَةٍ

وضفازع في شطِّ وادِّي... تَسْهَرُ بِكَ اللَّيْلُ وَغَدًا

ب/ الحوت:

صوابها (الحوت): من السمك العظيم²، جنس من الحيوانات الثديية من رتبة الحيتان، جمعها حيتان وأحوات³، يقول الله عز و جل: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾⁴، ذكرت كلمة (الحوت) في الديوان مرتين، مرّة مفردة، وأخرى جمعا، يقول الشاعر "بن خلوف" في قصيدة (لو لا أنت):⁵

قَدَّرَ عِظَامُ الْحُوتِ وَمَا عَظُمَ مِنْ هَوَايَشٍ... سَارِحُ بَحْرِ الْمُحِيطِ وَمَالِي الْمَشَارِعِ

وفي قصيدة (قدر ما في بحر الظلام) يقول:⁶

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 45.

² - ينظر: أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، العراق، ط 2، 1986م، ج 1، ص 255.

³ - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ص 204.

⁴ - سورة الكهف، الآية 63.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 67.

⁶ - المصدر نفسه، ص 49.

قَدَّرَ مَا فِي بَحْرِ الظَّلَامِ... مِنْ هَوَايَشِ وَحِيتَانٍ بِلَا قَدَّرَ عَايَشِينَ

استعمل الشَّاعر مظهرًا من مظاهر الطَّبِيعَة المتحرِّكة (الحوت)، للتعبير على دلالة التَّريغيب في الإكثار، وتكون الكثرة بثواب من صَلَّى على الرَّسول صلى الله عليه وسلم مرَّة، فيجازى بعشر آخر من أمثالها، والدَّلالة الإيحائية لكلمة (حوت) هي دلالة العدد.

3.1 ما دلَّ على الزَّواحف:

أ/ تاتا:

صوابها الحرباء في الفصحى، وجمعها حراي، والحرباء "المسمار الذي يكون في حلقة الدرع"¹، تدلُّ الكلمة على حيوان معروف، كما تطلق على العظم الذي في وسط كتف الإنسان²، والحرباء ذويبة، مخطَّطة الظَّهر، تستقبل الشَّمس برأسها، وتدور معها كيف دارت للوقاية من لفحاتها³، وتمتاز بقدرتها على تغيير لونها، تنتمي لفصيلة الزَّواحف والأحناش المقيمة في القفر التي ترجع لصورة الضب⁴، ويضرب بها المثل في سرعة التَّغيُّر والتَّقلُّب، وشدَّة الحزم، وكثيرًا ما تغنى الشعراء بوصفها، وصفًا يلخص شدَّة قسوة الصَّحراء في حرارتها⁵، وهي البيئة المفضَّلة لها، يقول "ذي الرِّمَّة"⁶:

وَمِنْ مُلَمَّعِهِ * غِرَاءَ مُظْلِمَةٍ... تُرَابُهَا بِالشَّعَافِ * العَبْرَ المَعْصُوبَ

كَأَنَّ حِرْبَاءَهَا فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ... * ذُو شَيْبَةٍ مِنْ رُجَالِ الهِنْدِ مَصْلُوبٌ

¹ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج 6، ص 368.

² - أبو عمرو الشَّيباني، كتاب الجيم، ج 1، ص 148.

³ - علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 3، ص 235.

⁴ - ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج 6، ص 20-406.

⁵ - ديوان ذي الرِّمَّة، شرح غريبه: عبد الرَّحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 2006م، ص 25.

ويوظّف "بن خَلُوف" اسم (تاتا) في قصيدة (اختارك الواحد الأحد)، للدلالة على القدرة على التّغيير والتّحكّم، يقول:¹

الشَّيْبُ لَا غِنَاهُ يَلْحَقُنِي... يَضْحَى الشَّبَابُ عَلَيَّ تَاتَا

يقرّر "بن خَلُوف" أنّ الشَّيب مدركه لا محالة، ولا خلاص من تعيّر لون شعره، والحرباء فقط هي من تستطيع الاحتفاظ باللّون الأسود وتبديله وقتما تشاء.

1.4 ما دلّ على الحشرات:

أ/ الذّباب:

أي الذّباب بضمّ الذال في الفصحى، اسم جمع من الفعل ذبّ يذبّ، ذبّا وذبيا، وثبت قولهم "ذبان"²، و "ذباب السّيف حدّه"³، والذّباب "هو الأسود الذي يكون في البيوت يسقط في الإناء والطعام، قال الدّميري في حياة الحيوان سمّي ذبابا لكثرة حركته"⁴، ويطلق على العديد من الحشرات

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 46.

² - جونسون .ن.م، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، تر: أحمد محمد الصّيب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط 2، 1983م، ص 194.

³ - أبو الحسن علي بن الحسن، المنتخب من غريب كلام العرب، ص 492.

⁴ - محمد مرتضى الحسيني الزّبيدي، تاج العروس، ج 2، ص 426.

المجنحة منها ذبابة المنزل وذبابة الخيل التي تؤذي الدواب وتسمى اللقعة ومنها الشذاة¹، والزناير والنحل والبعوض بأنواعه²، وهو الأكثر إيذاء للناس، مما يحظى باهتمام الشعراء، قال أحدهم:³

بَارِضٍ خَلَاءٍ مَا يَغْشَى بَعِيرَهَا... عَلَى مَاءِ الطَّرَادِ الشُّدَى وَبُودَهَا

ويضرب به المثل في "القدر وفي استطابة النتن، فإذا عجز الدباب عن شم شيء فهو الذي لا يكون أنتن منه".⁴

وظف الشاعر "بن خلوف" كلمة (الدباب) للتعبير على الكثرة في الذكر والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، عدد المخلوقات وما أكثرها، يقول:⁵

فَدُرْ جُنُودَ النَّحْلِ وَالدُّبَابِ... وَالْمُرْجَى وَالْمِسْكَ فِي رِيَاضِ السَّفِينَةِ

ويقول أيضا:⁶

الْجَرَادُ وَالنَّحْلُ وَالدُّبَابُ... وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تُرَابٍ وَصَلْصَالِهِ

2/ الأسماء الدالة على التبات:

¹ - عبد الفتاح الصعيدي و حسن يوسف موسى، الإفصاح في فقه اللغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1، 1929م، ص 452.

² - ينظر: سعيد الخوذي الشرتوي اللبناني، أقرب الموارد في فصح الشوارد، ص 364.

³ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، كتاب المعاني الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1984م، ج 1، ص 609.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 67.

⁵ - المصدر نفسه، ص 109.

⁶ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج 3، ص 381.

1.2 ما دلّ على الزّهر والورد:

أ/ النّعمان:

أي النّعمان: نبات ينتشر في الحقول والمزارع، له زهر أحمر اللون جميل، ينتظم في سفوح الجبال ناشرا حلته الحمراء¹، من فصيلة الشّقيق والشّقاقق المختلف ألوانها بين الأبيض والأسود والأحمر والوردي والرمادي والأصفر²، نقل النّعمان في أشعر العرب معاني الحبّ، والباقي على الوفاء والعهد، فوظّفوه توظيفاً جمالياً خاصّة بالمرأة، لاسيما أنّ الشعراء يشبهون خدودها بالنّعمان، يقول الشاعر "مجد الدّين أسامة بن منقذ*":³⁻⁴

لَأَعْجَبَ مَا صَاغَ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّهْرِ... مَدَّاهُنَّ تَبْرَ مَا يَصُغْنَ مِنَ التَّبْرِ
شَقَائِقِ فِي أَعْصَانِ تَبْرِ كَأَنَّهَا... خُدُودُ بَدَتْ فِيهَا عَوَارِضَ مَنْ شِعْرِ

والنّعمان أيضا هو الدّم، ومنه قيل "شقائق النّعمان لأنّه يشبه الدّم في حمّته"⁵، ويطلق للدلالة على اسم من أسماء الرّجال و "تنسب إلى النّعمان بن المنذر الملك اللّخمي"⁶.

¹ - ينظر: السري بن أحمد الرّفاء، الحبّ والمحبوّب والمشموم والمشروب، كتاب المشموم، ج 3، ص 15.

² - ينظر: شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب التّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: يحيى الشّامي، دار الكتب العلمية، لبنان، ج 11، ص 188.

* - شاعر شامي من شعراء القرن السّادس، له كتب عديدة في الأدب واللّغة، توفي: 584هـ.

³ - علي بن ظافر الأزدي المصري، غرائب التّنبهات على عجائب التّشبيّهات، تح: محمد زغلول سلّام و مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، القاهرة، ص 94.

⁴ - المرجع نفسه.

⁵ - أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، المنتخب من غريب كلام العرب، ج 1، ص 78.

⁶ - نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج 10، ص 6669.

تكرّرت كلمة النّعمان في الدّيوان مرّتين، عبّر بها الشّاعر عن الجانب الجمالي الخاصّ بالرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وعن جمال محيّا، ونور وجهه وإشراقه طليعته، فقد كان "أزهر اللّون مشرباً بحمرة في بياض ساطع، كأنّ وجهه القمر ليلة البدر".¹

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (مفتاح خير إلّا ينفذ):²

مِنْ نُورِكَ النُّعْمَانِ شَرَقَ... مِنْ رَيْقِكَ عَسَلَ النُّحْلَا

وفي قصيدة (بك طابت الأثمار) عبّر الشّاعر عن فرح الطّبيعة وابتهاجها بمولد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وإقرارها برسالته، فيصوّرها في أجمل صورة وقد ارتدت حلّة الرّبيع الحمراء الزّاهية الجميلة: النّعمان، يقول:³

إِبْتَهَجَ النُّعْمَانُ الأَحْمَرُ فِي القُطَيْبِ... فِي حَدَائِقِ مَصْنُوعَةٍ لِيكَ حَافِظَةً

2.2 ما دلّ على الأشجار:

أ/ النّخلة:

شجرة ذات ساق طويلة، شامخة، ثمارها لذيدة الطّعم، تعرف بالتمر أو البلح، تعيش في المناطق الحارّة والجافّة، والنّخلة مفرد نخل ونخلات، ويقال لجماعة النّخل الصّور والحائش⁴، وهو أنواع عديدة

¹ - عز الدّين بدر الدّين بن جماعة الكناني، المختصر الكبير في سيرة الرّسول صلى الله عليه وسلّم، سامي مكّي العاني، دار البشير، الأردن، ط 1، 1993م، ص 70.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 79.

³ - المصدر نفسه، ص 101.

⁴ - أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله المعروف بابن الأجداني الطّرابلسي، كفاية المتحقّق ونهاية المتلقّظ، المطبعة الأدبية، بيروت، 1305هـ، ص 64.

تختلف ألوانها وأشكالها "ومن النّخل ما ينبت من نفسه وهو البرّي، ومنه ما يجاور الماء فهو العُبري"¹، ولعلّ نحلة التّمر من أهمّها وأقدمها، وأكثر النباتات ذكرا في القرآن الكريم وذلك "يرجع إلى أهمية النّحلة في المجتمع العربي قبل الإسلام، ولارتباط الإنسان العربي بها، وتأثيرها الكبير في حياته، فكانت النّحلة زراعته وغذاؤه وثروته"²، يقول تعالى: ﴿وَزَيَّنُونَا وَنَخَلًا ۚ﴾³ ويقول أيضا: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَّرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ﴾⁴.

وقد سمّى الرّسول صلى الله عليه وسلم النّحلة بالعمّة، لأنّها خلقت من فضلة طين آدم عليه السّلام، وهي تشبه الإنسان من حيث استقامة قدمها⁵، وطولها، واختلاف جنسها، "وإذا قطع منها غصن لا يرجع بدله، كعضو الإنسان، وعليها ليف كشعر يكون على الإنسان".⁶

ومن مظاهر اهتمام العربي بهذه الشّجرة المباركة، توظيفها في قصائده واستعارتها في أبياته، فوصفها وضرب بها المثل في الطّول، يقول الشّاعر "دريد بن الصّمة" (ت632هـ):⁷

يُفَوْتُ طَوِيلُ الْقَوْمِ عَقَدَ عِدَارُهُ... *مُنِيفٌ كَجَذَعِ النَّحْلَةِ الْمُتَجَدِّدِ

¹ إبراهيم السامرائي، رسائل ونصوص في اللّغة العربيّة والأدب والتاريخ (كتاب النّخل لابن وحشية التّبّطي)، مكتبة المنار، الرّزقاء، الأردن، ط 1، 1988م، ص 294.

² عبد المنعم فهمي الهادي، دينا محسن بركة، عالم التّبات في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1998م، ص 187.

³ سورة عبس، الآية 29.

⁴ سورة الرّعد، الآية 04.

⁵ ينظر: ابن الورد، منافع التّبات والتمّار والبقول والفواكه والخضروات والريّاحين، تح: محمد سيّد الرّفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، ص 21.

⁶ نخب الملح جمعها يوحنا بابلو واغوستينوس، مطبعة المرسلين البسوعيين، بيروت، 1884م، ط 4، ج 1، القسم الثالث من كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لمحمد بن محمد القزويني، ص 92.

⁷ ديوان دريد بن الصّمة، تح: عمر عبد الرّسول، دار المعارف، القاهرة، ص 72.

يقول "بن خَلُوف" في قصيدة (سيّد المهاجرين وسيّد الأنصار):¹

لَيْكَ جَاتِ النَّخْلَةَ الْمُجْدِبَةَ * وَاحِيَاتٍ مِنْ كَفِّكَ أُرَوَاتِ الْعُرْبَ يَا رَسُولَ رَبِّ الْبَيْتِ

يشير الشّاعر في هذا البيت إلى معجزات الرّسول عليه الصّلاة والسّلام في نبع الماء من أصابعه الشّريفة، في أكثر من موضع، منها "معجزة ماء عين تبوك وبئر الحديبية"² وإعادة إحياء النخلة التي أوشكت على اليبس، وفي أسلوب قصصي شعري مشوّق يحكك لنا ما جرى لهذه الشّجرة الفارعة الطّول التي أوشكت على الهلاك لولا قدرة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، يقول في قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة):³

وَأَعْظَمُ مِمَّا تَكُونُ نَخْلَةُ جُبَارَةٍ... تُدْرَعُ بِالْمَكِّيِّ * مِائَةَ طُولًا عَنَانِي
وَأُدْعِي النَّخْلَةَ انْجَاذِبَةَ * تَرْجِعُ حُضْرَةً... وَتُنَادِي بِالصَّلَاةِ عَنكَ عَيْنَانِي

ويقول أيضا:⁴

ثُمَّ مَنْ بَعْدَ سَارِّ لِسُورِ النَّخْلَةِ... وَجَعَلَ قَدَمُهُ عَلَى أَصْلِهَا ذُو الْأَبْرَارِ

بعد أن وضع أقدامه الشّريفة عليه الصّلاة والسّلام في أصل النخلة اخضرت، فسألها النّبي عن

اصفرارها وهلاكها، موظفا اسم الشّجرة للدّلالة على النخلة، يقول:⁵

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 88.

² - ابن خليفة عليوي، معجزات النّبي المختار من صحيح الأخبار، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1991م ص 130-133.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 120.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص: 122.

⁵ - المصدر السّابق، ص 122.

قَالَ لَهَا مَا لَكَ إِحْتَرَقَتْ يَا شَجَرَةَ... قَالَتْ لَهُ يَا الْمُصْطَفَى كَيْفَ تَرَانِي

إِحْتَدُونِي آلَاهُ عَبَّدُونِي الْكُفْرًا... وَاجِبٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَزَادُ أَحْزَانِي

ويقول "بن خلوف" في قصيدة (قدر ما في بحر الظلام):¹

قَدَّرَ النَّخْلَةَ وَالِدَالِيَّةُ بِثَمَارِهَا الْبُنَيْنِ

والدالية هي الكرمة أو الكرم: تعني شجرة العنب.

3.2 ما دلّ على الثّمار والفاكهة:

أ/ الثّمر:

في اللهجة بسكون التاء وفي الفصحى (الثّمر) بفتح التاء وتسكين الميم، والثّمر هو ثمر النّخلة، غذاء متكامل، غنيّ بالفيتامينات والأملاح اللازمة للجسم، ويستعمل لعلاج علل وأمراض عديدة، ويساعد على تيسير الولادة²، قال تعالى: ﴿وَهَرَيَ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۚ ۲ فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَفَرِّي عَيْنًا ۚ 3﴾، والرّطب هو "البلح الذي نضج قبل أن يجفّ ويصبح تمرا"⁴، والثّمر أصناف عديدة اهتمّ العرب بتقسيمها وتسميتها، منها: العجوة، الحشف، والصّيحاني⁵ وغيرها، قال أعرابي "إنّ في الثّمر أدّمه وزيادة حلاوة"⁶، ويقول "التّابغة الدّيباني" واصفا الثّمر:⁷

¹ - المصدر نفسه، ص 51.

² - فيصل بن محمد عراقي، الأعشاب دواء لكلّ داء، ط 1، 1413هـ، ص 68.

³ - سورة مريم، الآيات 26/25.

⁴ - سمير عبد الحليم، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مكتبة الأحباب، دمشق، ط 1، 2000م، ص 112.

⁵ - ينظر: أديب عمر الحصري، تمر طابة وفوائدها المستطابة، مكتبة الملك فهد الوطنية، جدّة، 1419هـ، ص 30.

⁶ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م، ج 3، ص 202.

⁷ - ديوان التّابغة الدّيباني، ص 99.

صَعَارُ النَّوَى مَكْنُوزَةٌ لَيْسَ قِشْرُهَا... إِذَا طَارَ قِشْرُ التَّمْرِ عَنْهَا بِطَائِرٍ

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (مفتاح خير إلا ينفذ):¹

مَقْطُوعٌ مِنْ عُرْجُونِ التَّمْرِ... مَحْصُودٌ عِنْدَ الْوَسِيمِيَّةِ

جاءت كلمة (التّمّر) مسبوقة بلفظ (عرجون)، والعرجون ما يحمل التّمّر، وهو كالعنقود من

العنب، وقيل "العرجون أصل العنقود الرّطب".²

عبّر الشّاعر عن أصالة فرسه، وصغر حجّه بكلمة (عرجون تمر)، كما دلّ على نفس المفهوم

بألفاظ: (عرجانها) و (إعراجنها) و (عراجين مثقلين)، وفي قصيدة (لو لا أنت) يقول موظفا كلمة

(الأثمار) للدلالة على التّمّر:³

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ قَدَرَ الْأَثْمَارِ فِي النَّخْلِ... وَعَرَاجِينُ مُثْقَلِينَ وَفَتْحَ النَّوَاوِيرِ

4.2 ما دلّ على نبات آخر:

أ/ الحَلْفَةُ:

أي الحلفة بفتح اللّام، جمعه الحلف من الحلفاء "وقياسه قصباء وقصبة وقصب وطرفاء، وطرفة

وطرف"⁴، نبات "أطرافه محدّدة كأطراف سعف النّخل"⁵، يكثر في الجزائر ومصر، تصنع منه الحبال

والأوراق.

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 79.

² - عبد المنعم فهيم الهادي، دينا محسن بركة، عالم التّبات في القرآن الكريم، ص 193.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 68.

⁴ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 342.

⁵ - مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص 192.

تكرّر ذكر (الحلقة) في الديوان مرّة واحدة للتّعبير على الكثرة، يقول الشّاعر:

قَدَّرَ الحِلْفَةَ والدَّوْمَ وَالزَّرْعُ والرِّبِيعَ

إنّ النّبات ألوان وأنواع، وفي اختلاف فصائله دلالات عديدة، وقف عندها العلماء وفسّروها لكونها رموزاً تحمل معاني، وإنّ في مجهودهم الفكري هذا إعمال للعقل الذي يستنبط المفاهيم ويعلّلها، فتخطّتها اليد في كلمات، ومع كلّ عملية فكرية وحركة عضوية يولد فعل جديد، حاملاً معه دلالات عديدة، نحاول الوقوف عندها في الفصل الموالي بإذن الله.

الفصل السّادس:

الفعل ودلالته في ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف

المبحث الأول: الأفعال الدالّة على الحركة والتّواصل.

المبحث الثاني: الأفعال الدالّة على الإحساس والانفعال.

المبحث الثالث: الأفعال الدالّة على الفكر والتّعلّم

المبحث الأول: الأفعال الدالة على الحركة والتواصل

أولاً: الأفعال الدالة على الحركة

1/ تعريف الحركة:

أ/ التعريف اللغوي:

من الفعل حرّك، "الحاء والراء والكاف أصل واحد، فالحركة ضدّ السكون"¹، وحرّك يحرك، حرّكا وحرّكة، خرج عن سكونه.²

ب/ التعريف الاصطلاحي:

"تغيير متّصل ذو سرعة معيّنة لوضع الشّيء في المكان، وهو للدلالة على الزّمان، وتطلق الكلمة مجازاً على حركات النّفس والدّهن والحركات الاجتماعية"³، وهي انتقال من القوّة إلى الفعل تدريجاً، فلا يقع الفعل دفعة واحدة وإّما زمناً بعد زمان.

وديوان "بن خلّوف" زاخر بأفعال الحركة والعمل، التي تعكس جوانب الحياة، فمنها: ما دلّ على الجري، والطّواف، والتّسج، والغطس، والصّلاة، والمشي، والقيام، والجلوس وغيرها.

واكتفينا بدراسة ثلاثة أفعال، والبحث في دلالتها.

¹ - أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 2، ص 45.

² - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 168.

³ - مجمع اللّغة العربية، المعجم الفلسفي، ص 70.

1.1 بَنَى:

هو الفعل (بَنَى) يبني، بينيا وبني، والبنية: الكعبة¹، والبناء مدبر البناء وصانعه والبنيان: الحائط².

واستعمل الفعل مجازاً في معاني كثيرة، تدور حول التأسيس والتنمية³، ومن ذلك ما ذهب إليه "المتنبي" في ديوانه، حين أهدى لممدوحه بيتاً من نجوم مضيئة، تغنياً برفعة قدره وعلو شأنه، يقول:⁴

مُسْتَقِلُّ لَكَ الدِّيَارُ وَلَوْ كَا... ن نجومًا آجَرَ هَذَا الْبِنَاءِ

يتكرّر ذكر الفعل (بني) في ديوان "بن خلّوف" بصيغ عديدة، في تسعة مواضع تدلّ على التأسيس والصنع، يقول في نظم (أويك راه علم شيبى):⁵

فِي آرَامِ الْعِمَادِ بَنَى كَمْ قُصُورٍ... مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَزَبْرَجَدِ زَانَهَا

ويواصل قوله:⁶

مِيَاهُ عَامٍ وَهُوَ يَبْنِي فِي الْأَسَاسِ... وَمِيَاهُ عَامٍ بِجَلْبِ الْمِيَاهِ التَّامَّةِ

¹ - ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 165.

² - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 365.

³ - ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 72.

⁴ - عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص 156.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 156.

⁶ - المصدر نفسه، ص 174.

الشّاهد في قوله (بني)، فعل ماض بوزن (فعل) صوابه (بني) بوزن (فعل) في الفصحى، مسند إلى ضمير الغائب المفرد، و(بيني) فعل مضارع على وزن (يفعل) مسند إلى ضمير الغائب المفرد أيضا.

ويعكس الفعل (بيني) في البيتين معنى التأسيس والتشييد، يحكي عن بناء مدينة إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، واستغرقت حركة التأسيس زمنا طويلا، قدّر بمئات السنين.

ومن معاني الفعل (بني)، ما ورد في قصيدة (أحسن ما يقال عندي):¹

قَدَّرَ النَّحْلَةَ اللَّيِّ تَسِيدِي... تَبَيَّ شُهْدَةً فَوْقَ شُهْدَا

الشّاهد (بني) على وزن (تفعل)، وصوابه (تبني) بفتح التاء على وزن (تفعل) فعل مضارع مسند لضمير الغائب المؤنث المفرد، شبه الشاعر حبه للرّسول عليه الصّلاة والسّلام بالنّحلة التي تشقى في صنع العسل، وتكوين (الشّهدة)، وهو الشّمع المملوءة بالعسل الذي لم يعصر بعد، وترتيبه الواحدة تلوى الآخرين حتّى تشكّل خلية كبيرة تضمّ شهاد عديدة، كذلك هو وقع حبّ محمد عليه الصّلاة والسّلام في نفس "بن خلّوف"، نما شيئا فشيئا حتّى صار الضّوء الذي يبصر به، وحبّا شريفا صافيا صفاء العسل.

وفي نظم (الموت لا غنى تدركني) يوظّف الفعل للدلالة على البناء المعنوي، يقول:²

هُوَ يَقُولُ رَاهَ يَبْنِي... وَرِي يَقُولُ دَارُ الْفُسَّاقِ تَمْسِي حَرَابَ

الشّاهد (بني)، والبناء هنا هو بناء النّفس وتحضيرها للقاء الله جل جلاله والاستعداد للموت، بالتّمسك بالدين وتربية النّفس بالنّظر، والتّأمل شيئا فشيئا، وذلك أشبه بالبناء.

¹ - المصدر السابق، ص 141.

² - المصدر نفسه، ص 146.

إنّ البيت موجّه للفاسقين الذين يظنّون أنّهم قد عملوا الصّالحات، وأعدّوا العدّة للرحيل، لكنّهم جهلوا أنّ بنيانهم حالما سينهار، لأنّه غير مؤسّس على التّقوى.

دلّ الفعل (بنى) على التّحضير النّفسي، وتأسيس معتقد سليم، أساسه الدّين الإسلامي.

ويواصل "بن خلّوف" قوله:¹

رَأَهُ كُلٌّ مِّنْ جَرَّبَ يَبْنِي... رَجَلُهُ عَلَى حَدَرٍ مَتَهْوِلٍ مِّنَ الرِّكَابِ

حالما سيسارع كلّ من جرّب الدّنيا وآمن بفنائها للاستعداد النّفسي للرحيل، بتقوية إيمانه وتكثير الأعمال الصّالحة، فالبناء هو تحضير لاختبار أخروي، بتهديب النّفس أوّلا وفعل الخيرات ثانيا.

2.1 تنسج:

هو الفعل (تنسج) في الفصحى بوزن (تفعل)، من الفعل الثلاثي نسج، ينسجه نسجا والتّسج ضمّ الشّيء إلى الشّيء، ومن ذلك نسج الثّوب، بمعنى حاكه²، ونسج الشّاعر الشّعْر: نظمه ونسج الزّور: لفقّه، ونسج الكلام: حلّصه³، ويوظّف الفعل (نسج) للدّلالة على إصلاح الفاعل وتهديبه لشيء أو شخص.

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 49، ص 4406.

² - ينظر: مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص 917.

³ - ينظر: سليمان فياض، الحقول الدّلالية الصّرفية للأفعال العربيّة، دار المريخ للنّشر، الرّياض، المملكة العربيّة السّعودية، 1990م، ص 61.

تكرّر الفعل (نسخ) بصيغتين في ديوان "بن خلّوف"، منها ما جاء في نظم (أحسن ما يقال عندي):¹

وَعَسَاكِرُ بِطُبُولٍ رَتَّتْ... تَنْسُجُ فِي قَرْيَةٍ وَحَيِّمًا

الشّاهد (تنسج) صوابه (تنسج) في الفصحى، على وزن (تفعل) فعل مضارع مسند لضمير الغائب المفرد المؤنث، فدلّ الفعل (تنسج) على نظم الشعر وقرضه ومزجه بقرع الطّبُول، ممّا يعكس جوّ الفرح والسّرور، وسعادة المسلمين برسالة المصطفى عليه الصّلاة والسّلام.

3.1 غطس:

هو الفعل (غطس) في الفصحى، و "الغين والطاء والسين أصل صحيح، يدلّ على الغطّ، يقال غططته في الماء وعطسته"²، وغطس يغطس غطسا، والغطس في الماء: الغمس فيه³ وغطس في الإناء، شرب منه، وتغاطس القوم: غطس بعضهم بعضا في الماء.⁴ ومن معنى الغطس في الماء، ما جاء في قصيدة (قصّة مزگران):⁵

مَا رَفَرَفِ شَيْءٍ بِالْجَنَاحِ يُقُومُ... حِينَ الْغَطِّ لَفْظُهُ غَطْسٌ فِي الْمَا

(غطس) على وزن (فعل)، هو الفعل الماضي (غطس) على وزن فعل، مسند إلى ضمير الغائب المفرد، يتحدّث "بن خلّوف" في البيت عن أحد قتلى الجيش الإسباني الذي لفظ أنفاسه الأخيرة،

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 45.

² - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 4، ص 130.

³ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 37، ص 3270.

⁴ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 655.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 187.

وانغمس في الماء بعد أن حرّك ذراعاه، كآخر حركة له ليفارق الحياة بعدها، تكرر الفعل مرّة واحدة في ديوان الشّاعر كلّه.

ثانيا: الأفعال الدالّة على التّواصل

1/ تعريف التّواصل:

أ/ التّعريف اللغوي:

من الفعل اتّصل على وزن (افتعل)، مزيد بهمزة الوصل، أصله من الفعل الثلاثي (وصل)، على وزن (فعل): "الواو والضاد واللام أصل واحد، يدلّ على ضمّ شيء إلى شيء حتّى يعلّقه، ووصلته به وصلا، والوصل ضدّ المهجران"¹، وخلاف الفصل، وتوصّل إليه: انتهى إليه وبلّغه، ووصله: دعاه دعوى الجاهلية، ووصل إليه، واتّصل، إذا انتمى وانتسب إليه²، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾³.

ويأتي بمعاني عديدة منها: التّصرّف والطلب⁴، والتّشارك⁵ أو المشاركة، ومن معانيها الإظهار، والتّخيّر، والمبالغة في معنى الفعل⁶.

¹ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللّغة، ج 6، ص 115.

² - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 54، ص 4850-4851.

³ - سورة النساء، الآية 90.

⁴ - ينظر: أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج 4، ص 74.

⁵ - ينظر: أحمد الحمالوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، ص 35.

⁶ - ينظر: نجات عبد العظيم الكوفي، أبنية الأفعال (دراسة لغوية قرآنية)، دار الثّقافة، القاهرة، 1989م، ص 60.

ب/ التعريف الاصطلاحي:

تعدّ وظيفة الاتصال أهمّ وظائف اللّغة ذات الطّابع الاجتماعي، وتمثّل علاقة اللّغة بالمجتمع، وعلاقة الفرد بمحيطه، لأنّها أداة المرء في التّواصل بين بني جنسه، عن طريق الاستماع والتّحدّث¹، والاتّصال هو رسالة تتمّ بين مرسل ومستقبل بطرق كثيرة، قد تكون شفوية أو كتابية أو رموز وإيماءات.

سجّل حقل الاتّصال في ديوان "بن خلّوف" حضوراً قوياً، عكس صلات الشّاعر الكثيرة كالحديث والطلب، والسؤال والشّكر، والنّداء والدّعاء، والتّبليغ والخصام، واللّوم والشّكوى والزّواج، والتّداوي والتّشاور وغيرها، اخترنا خمسة أفعال للبحث في دلالتها:

1.1 سأل:

الفعل الأجوف (سأل) بوزن (فعل)، مشتقّاته السّؤال، ومسألة، وسألة، تسألاً، وسألة، وهو يسأل ويتساءل ويتسائل، وقد يخفّف أيضاً، سال يسال²، والسّؤال: "استدعاء معرفة أو ما يؤدّي إليها، واستدعاء مال أو ما يؤدّي إليه، فاستدعاء المعرفة جوابها باللسان تنوب عنه اليد، فاليد خليفة عنه بالكتابة والإشارة، واستدعاء المال جوابه باليد، وينوب عنه اللسان بوعده أو ردّه"³، والسّؤال طلب الصّدقة، لقوله تعالى: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا . نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾⁴، والمسألة: الاستخبار عن أمر ما.⁵

¹ - ينظر: أحمد عبده عوض، مداخل تعليم اللّغة العربية (دراسة مسحية نقدية)، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرمة، ط 1، 2000م، ص 65-67.

² - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 21، ص 1906.

³ - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 2، ص 60.

⁴ - سورة طه، الآية 132.

⁵ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 411.

يقول عزّ و جلّ: ﴿يَسْتُلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾¹، وتعني طلب الخير والتّعمة ويستعمل (الفعل) سأل للدلالة على التّوبيخ والتّأنيب أحيانا، والمحاسبة وطلب الحاجة أحيانا أخرى.

ويوظّف الفعل (سأل) للدلالة على الطّلب، باختلاف أغراضه وغاياته، من ذلك قول امرأة من بني عقيل:²

وَإِنَّ سَأَلَ الْوَارِثُونَ عَنْهَا فَقُلْ لَهُمْ... وَذَاكَ غِطَاءٌ لِلْوُشَاةِ جَبْرِيلَ

إنّ المراد من السّؤال هنا الاستخبار لغاية خبيثة وبنية فاسدة.

تكرّر الفعل (سأل) ومشتقاته في الديوان ثلاث عشرة مرّة.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (إلا وجه الحبيب غاب):³

كَثُرَتِ الْخُلُقُ كَالدَّوَابِ... غَرَّقُوا فِي الدُّنْيَا مَا قَرَأُوا وَلَا سَأَلُوا

شبهه الشّاعر الخلق (بالدّواب) وهي البهائم، ووجه الشّبه اللامبالاة والتّصرّف بجمجية دون إعمال العقل، وهو ما عكس انغماس الإنسان في ملذّات الدّنيا، ناسيا العلم والدين.

الشّاهد في قوله (سالوا) على وزن (فعلوا) من السّؤل وأصله الهمز عند العرب ولما استقلّوا ضغطة الهمزة فيه، تكلموا به على تخفيف الهمزة⁴، ومعناه طلب المعرفة والعلم.

¹ - سورة الأحزاب، الآية 20.

² - أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، أشعار النّساء، حقّقه: سامي مكّي العافي و هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 1، 1995م، ص 61.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 11.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، ج 21، ص 1907.

ويستند الفعل إلى ضمير المفرد، فيقول "بن خلّوف" في نظم (مقلّب القلوب ربّي):¹

وَإِذَا سَأَلُوكُ يَا وَلِيْدِي... عَن مَدْحِ الْهَاشِمِيِّ الْمُرْتَبِّ

الفعل (سالوك) بوزن (فعلوك) من الثلاثي (سال) بوزن (فعل)، ويعني الاستخبار وطلب معلومات عن ديوان "الأخضر بن خلّوف" وأشعاره.

وبنفس المعنى يقول الشاعر في نظم (أحسن ما يقال عندي):²

يا محمد بجاه جاهك ... لو لا أنت من سأل فيا

(سأل) هو الفعل الماضي (سأل) وفي البيت (سأل عني) أي: استقصى أخباري.

لما ذاع صيت الشاعر بمدحه الرسول صلى الله عليه وسلم، انتشر خبره في الحضرة والبوادي وحضيت قصائده باهتمام العامة، ولاقت أشعاره استحسانا في أوساطهم كونها منظومة بلهجتهم، وموضوعها هو مدح نبي الأمة عليه الصلاة والسلام، فكان ديوان الشاعر سببا في شهرته وسؤال الناس عنه.

ويكون السؤال بمفهوم المحاسبة، كما في نظم (إذا تحيرت من ذنوبي):³

لقيت المصطفى العربي ... منكر وناكر جا يساؤل

الشاهد (يساؤل) أي (يتساؤلان) بالألف والتّون، لأنّ الفعل منسوب إلى ضمير المثني الغائب، والسؤال هنا من باب التّبيين والمحاسبة، وتكون الأسئلة عن أمور دينية من قبل الملكين (منكر) و(ناكر) لاختبار درجة إيمان المسؤول.

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 137.

² - المصدر نفسه، ص 43.

³ - المصدر نفسه، ص 181.

ويواصل "بن خلّوف" قوله:¹

مَا يَسْأَلُ مَا يَرَى عَذَابٌ... مَنْ يَحْفَظُ بَيْتُ قَصِيدُ يَا سِر

يرى الشاعر في قصائده يسرا، يثبت حافظها عند السؤال، بعد الموت، وذلك المراد من قوله (ما يسأل)، سبق الفعل بـ (ما) النافية لنفي طلب الاستخبار، فكأنّ الإنسان يسبق السائل بأجوبته، فلا تتاح له الفرصة لطرح الأسئلة التي سبقتها أجوبة سريعة.

وفي ذلك رمز لشدة الثقة بالنفس والاستعداد لهذا الاختبار.

ويقول "بن خلّوف" أيضا:²

قَالَ لَهُمْ يَا أَمْلَاكِ رَبِّي... مَنْ يَحْفَظُ بَيْتُ مَا يُسَوَّلُ

يتصوّر الشاعر الرسول عليه الصلّاة والسّلام، وهو يخبر ملائكة الرّحمن الكرام أنّه من حفظ بيتا من أشعار "بن خلّوف" رفع عنه السؤال، وذلك من سبيل التشبيه ووصف لقصائده بأجمل الصفات والنّعوت، ويقصد الشاعر التدبّر في معاني الديوان الذي ضمّ ابتهالات وذكر الله تعالى، وسرد معجزات رسوله الكريم، والتذكير والوعظ في أكثر من موضع.

2.1 اشتكى:

هو الفعل (اشتكى) بفتح التاء في الفصحى، بوزن (افتعل) أصله (شكا) (يشكو) شكوا وشكاية وشكاة، و "الشّين والكاف والحرف المعتلّ أصل واحد، يدلّ على توجّع من شيء"³،

¹ - المصدر السابق، ص 181.

² - المصدر نفسه، ص 181.

³ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس معجم اللّغة، ج 3، ص 207.

وشكوت فلان: أخبرت عنه بسوء، والشكاية والشكوية إظهار ما يصفك به غيرك من المكروه، والاشتكاء إظهار المكروه من مرض أو ألم أو حزن وغيرها.¹

وتكون الشكوى من المخلوق الذي ليس بيده شيء، وللخالق تعالى القادر على التغيير بقدرته الجليلة، يقول عزّ وجلّ: ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾² وقوله أيضاً: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾³، أي لا أظهره إلا الله تعالى.⁴

ومهما كان في إظهار الألم والأخبار عنه، ما قالته بعض العرب، بشيء من التضرّر، ونبرة حزن:⁵

إِذَا نَهَضَتْ اِتْشَكَى الْأَصْلِبَا * تَأْذَى الْعُودُ * اِشْتَكَى أَنْ يُرَكِّبَا

تكرّر الفعل (شكى) ومشتقاته في الديوان أربع مرّات، منها ما جاء إخباراً بسوء كما في قصيدة (قصّة مزگران):⁶

استوعظ في طلبته وشكى... ومشى لحرم الثعلبي ودخل

الشاهد (شكى) بالألف المقصورة من الشكاية، ويعني الإخبار بسوء الحال، ممّا أصاب الجزائريين في معركة مزگران، وهجوم الإسبان عليهم بعدد هائل وعدّة كبيرة، فشكى السلطان هول

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 26، ص 2313.

² - سورة المجادلة، الآية 01.

³ - سورة يوسف، الآية 76.

⁴ - ينظر: أحمد بن يوسف بن عبد الدّائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 2، ص 288.

⁵ - أبو العلاء صاعد بن الحسين الرّبيعي البغدادي، كتاب الفصوص، ج 2، 1994م، ص 154.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 183.

ما أصاب شعبه لله عزّ و جلّ، ويخاطب الشّاعر نفسه ويأمرها باللّجوء لخالقها، ودعوته في السّراء بحمده وفي الضّراء بالتّوسّل لجلالته أملا في تخفيف وتسهيل الأمور.

إنّ الرّحمان جلّ وعلا هو مجيب دعاء الدّاعي إذا دعاه، يقول "بن خلّوف" في نظم (الموت لا غنى تدركني):¹

تَضْرُعِي لِسَيِّدِكَ وَأُشْكِي... لَا بُدُّ يَنْتَظِرُ لِلْحَالَةِ

والشّاهد في قوله (اشكي) على وزن (افعلي)، فعل أمر مسند إلى ضمير المخاطب المفرد المؤنث.

وتكون الشّكوى أيضا للحبيب والصّديق، بغية التّخفيف من الهمّ والقلق الذي يساور الإنسان، فإذا جاء أجل هذا الأخير ووضع في قبره فلا أنيس ييوح له سرّه، ولا صاحب يقاسمه ضرّه، وذلك ما قصده "بن خلّوف" في قصيدة (قم صلّي):²

الْقَبْرِ وَالْحِسَابُ وَرَأَيْكَ لِيَهْ مُلْقَاكَ... لَا حَبِيبًا يَا تِيكَ غَدًا لِيَهْ تَشْكِي

(تشكي) بفتح التّاء في الفصحى (تشكي)، بوزن (تفعل) فعل مضارع مسند إلى ضمير المخاطب المفرد.

ويلحق الشّاعر الطير بالإنسان في الاتّصال، فيكون للحيوان حسّا يمكّنه من الإحساس بالجوع والعطش، والتّعبير على ذلك بالشّكوى وإظهار الوجد، يقول "بن خلّوف" في نظم (صلّوا وسلّموا):³

¹ - المصدر السابق، ص 138.

² - المصدر نفسه، ص 167.

³ - المصدر السابق، ص 132.

نَطَقَ مُوسَى وَقَالَ يَا ذَا الْحَمَامَةِ... هَذَا الطَّيْرُ اشْتَكَى مِنْ جُوعِهِ صَابَهُ*

اشتكى الطير في البيت لسيدنا موسى عليه السلام هلاكه، ويعدّ استعمال الفعل (اشتكى) للحيوان توظيفا مغايرا لما أتت به معاجم العربية، فليس للبهايم حواسّ تترجم ما تشعر به، بيد أنّه من المهمّ الإشارة إلى أنّ ذلك من ضروب المعجزة التي ألهمها الله تعالى لسيدنا موسى بفهمه ومعرفته منطوق الطير والحيوان.

3.1 نشكر:

من الفعل (شكر)، و "الشّين والكاف والرّاء أصول أربعة متباينة بعيدة القياس، فالأوّل: الشّكر: الثّناء على الإنسان بمعروف يوليّه، ويقال إنّ حقيقة الشّكر الرّضا باليسير"¹، والثّاني الامتلاء والغزير، فيقال بقرة حلوب شكرة: إذا كثر حليبها، والثّالث القضبان الغضة التي تنبت في ساق الشّجرة فتكون شكيرة، والشّكر النّكاح أيضا وهو الأصل الرّابع²، والشّكر الاعتراف بالإحسان بالثناء الجميل والمجازاة، ولا يكون إلّا عن يد على خلاف الحمد الذي يكون بها ودونها، و "الشّكر مقابلة التّعمة بالقول والفعل والنية فيثني على المنعم بلسانه، ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنّه مولّيها"³، يقول عزّ و جلّ: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾⁴، وقوله أيضا: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشُّكْرِينَ﴾⁵ ١٤٤، والشّاكرين الأجير والمستخدم، ويقابل الفعل (شكر) عبريا (يشر)، و(كشر) آراميا بمعنى: صلح وطاب ووافق، ومن مواطن استعمال الفعل (شكر) ما قاله "أبو جعفر الدّهبي"⁶:

¹ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 3، ص 208.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 208.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ج 26، ص 2305.

⁴ - سورة التّمل، الآية 40.

⁵ - سورة آل عمران، الآية 144.

⁶ - ينظر: مراد فرج، ملتقى اللّغتين العربية والعربية، مطبعة السّفير بالإسكندرية، مصر، 1936، ج 2، ص 445-446.

شُكِرُ اللهُ مَا أُتِيْتُ وَجَازًا... كَ وَلَا زُلْتُ نَجْمَ هُدَى لِسَارِي

بمعنى أنّ الله تعالى شاكر عباده ومجازيهم على أعمالهم الصالحة.

تكرّر الفعل (شكر) في الديوان ثلاث مرّات، وجاء بمعنى ذكر النعمة والثناء عليها، كما في

قصيدة (لو لا أنت):¹

وَبِالرِّضَى عَن أَصْحَابِ سَيِّدِ الْخَلْقِ نَعْمُو... هَذَا هُوَ الْفَضْلُ نَشَكُرُوا مَنْ عَطَاهُ

(نشكروا) هو الفعل المضارع (نشكر) المسند إلى ضمير الجماعة المتكلم على وزن (نفع)،

والشكر في البيت ثناء على نعمة القرآن الكريم، والدّين الإسلامي الحنيف الذي بيّن أحكامه، ويسّر طريقه سيّد الخلق رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، فالشكر هنا بذكر نعمة بعينها هي نعمة الإسلام.

ويحمد "بن خلّوف" المولى عزّ و جلّ حمدا مباركا كثيرا، ويشكره على ستره العيوب ومحوه

الذنوب بالاستغفار والعمل الصّالح، يقول في نظم (إذا تحيرت من ذنوبي):²

السَّتَارُ يَسْتُرُ لِي عُيُوبِي... نَحْمَدُهُ وَلَا بَدَّ نَشْكُرُ

والشّاهد (نشكر) هو الفعل المضارع (أشكر) على وزن (أفعل) المسند إلى ضمير المتكلم

المفرد، وتوظيف الشّاعر للفعل هو من باب اعترافه بنعم الجليل عزّ و جلّ عليه وعرفانا بإحسانه

تعالى على عباده، وبنفس المدلول يوظّف "بن خلّوف" الفعل (شكر) في قصيدة (غلاّ وجه الحبيب

غاب):³

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 65.

² - المصدر نفسه، ص 179.

³ - المصدر السابق، ص 114.

تَضْمَنُ لِي جُمْلَةُ الاقْرَابِ... إِذَا نَشْكُرُ مَا وَاجِبُ الشُّكْرِ إِلَّا لَهُ

جاء الفعل (شكر) في ديوان الشاعر، لتخصيص العلاقة التي تربط الإنسان بربه من باب الثناء على الخالق عزّ و جلّ بنعمه الكثيرة.

4.1 زوجني:

أي (زوجني) في الفصحى، بوزن (فعلني) و "الزّاء والواو والجيم أصل صحيح يدلّ على مقارنة شيء بشيء"¹، والزّوج خلاف الفرد، وكلّ واحد فيها يقال له زوج، فهما زوجان للاثنين معاً، وهما زوج أيضاً²، والتّزواج هو التّكاح والقرآن وزوّجَ و(زوّج) هو الفعل العبري (زوج)³: قَرَنَ بما يشبهه لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ٥٤﴾⁴، وقوله أيضاً: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُؤِّجَتْ ٧٥﴾⁵، والأزواج: الأنواع المتشابهة أو الأصناف المتفاوتة⁶، لقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ٧٦﴾⁷.

ورد ذكر الفعل (زوّج) في الديوان مرّة واحدة فقط، لأنّ نفس "بن خلّوف" تركت ملدّات الدّنيا بأكملها، فلم يشكّل الزّواج بالنّسبة إليه حدثاً يستحقّ أن ينظم قصائداً فيه لانشغاله بأمور الآخرة، خصوصاً وأنّ الغرض العامّ الغالب في الديوان هو مدح خير البريّة محمد عليه الصّلاة والسّلام، وذكر ذلك لا يتناسب ومقام مدحه.

¹ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 3، ص 35.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 21، ص 1884.

³ - ينظر: مراد فرج، ملتقى اللّغتين العبرية والعربية، ج 1، ص 375-376.

⁴ - سورة الدّخان، الآية 54.

⁵ - سورة التّكوير، الآية 07.

⁶ - ينظر: أحمد بن يوسف بن عبد الدّائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 2، ص 152.

⁷ - سورة الواقعة، الآية 07.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (إلاّ وجه الحبيب غاب):¹

وَزَوْجِي مِنْ تُرَابَةِ الشَّرْفِ الْأَخْرَارِ... مِنْ الْحُسْنِ وَالْحَسَنِ الْأَجْوَادِي

إنّ توظيف الشاعر للفعل (زوّجني)، هو من باب المفاخرة بنسب زوجه الشريف والإشارة إلى أصله النبيل أيضا، لأنّ مدلول (زوّجني) هو قرني بما يشبهني في الصّفات الخلقية والعرف الطيّب.

5.1 نطق:

هو الفعل (نطق) في الفصحى، و" (نطق)، (ينطق)، (نطق)، وهو منطوق بليغ والكتاب الناطق: البين"²، ونطق فلان بكذا: تكلم وصوّت بالباطل أو بالحق لقول "عمرو بن قميئة"³:

فَمَا قَلْتُ مَا نَطَّقُوا بَاطِلًا... وَلَا كُنْتُ أَرْهَبُهُ أَنْ يُقَالَ

وكلام كلّ شيء منطوقه⁴، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۖ﴾⁵، ومنطق الطير: لغته وأنطقه: جعله يتكلم، لقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ﴾⁶.

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 114.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 236.

³ - ديوان عمرو بن قميئة، تح: حسن كامل الصّبري، جامعة الدّول العربية، معهد المخطوطات، 1965م، ص 176.

⁴ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 50، ص 4462.

⁵ - سورة التّمل، الآية 16.

⁶ - سورة فصّلت، الآية 21.

استعمل "بن خلّوف" الفعل (نطق) في الديوان للإنسان وخصّه للحيوان، تكرر اللفظ عشر مرّات، منها ما جاء في قصيدة (صلّوا وسلّموا):¹

نَطَقَ مُوسَى وَقَالَ يَا ذَا الْحَمَامَةِ... هَذَا الطَّيْرُ إِشْتَكَى مِنْ جُوعِهِ صَابَهُ

الشّاهد (نطق) بمعنى: تكلم.

ويواصل الشّاعر كلامه، ناسبا نفس الفعل للحيوان، يقول:²

نَطَقَ الْبَازُ لِلْحَمَامَةِ يَا حُضَّارُ... وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ تَوَصَّلِيَّ بَيْنَ اسْنَانِي

ويقول أيضا:³

نَطَقَ الْبَازُ وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ... رَأَيْتُ مُحْتَاجٌ غُنِّي قَبْلَ أَنْ نُعْدِمَ

والنّطق في البيتين منطلق الطّير وهو لغته.

يقول الشّاعر في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):⁴

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ قَدَّرَ حُرُوفُ الضَّادِ... الضَّبِّيُّ الشَّارِدُ نَطَقَ لِنُورِ أَعْيَانِي

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 132.

² - المصدر نفسه، ص 132.

³ - المصدر نفسه، ص 132.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 61.

و (نطق) هو الفعل (نَطَقَ) الذي يدلّ على كلام الطّبي، ويشير الفعل إلى معجزة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام في حديث الطّبية معه، واعترافها برسالته، والقصة المذكورة بطرق كثيرة يقوّي بعضها بعضاً، ويثبت أنّ للقصة - كما قال السيوطي - أصلاً.¹

ويسير "بن خلّوف" على ذلك النّحو، في سرد معجزات الرّسول عليه الصّلاة والسّلام فيحدّثنا عن معجزة الشّاة المسمومة التي حملتها يهودية إلى الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، فأكل منها الذّراع الذي نطق بما دُسّ فيه، يقول الشّاعر في قصيدة (إلّا وجه الحبيب غاب):²

نُطِقُ لِلصَّادِقِ الْأَمِينِ ذِرَاعَ الشَّاةِ... مُحَمَّدٌ إِنهَمَرَتِ الْعُيُونُ مِنْ اصْبَاعِهِ

و (اصباعه) هي أصابع النّبي الشّريفة التي نبع منها فشرب أصحابه، وتوضّوا للصّلاة.

الشّاهد (نطق) هو الفعل (نطق)، الذي خصّ الجماد في هذا المقام دون الإنسان، وفي ذلك أمر خارق للعادة، وخارج عن قوانين الطّبيعة، فأصبح لذراع الشّاة المشوي إحساساً وعلماً وكلاماً، وصار يتكلّم بلغة الإنسان، ليحذّر النّبي عليه الصّلاة والسّلام ويوصيه بالامتناع عن الأكل.

ويختصّ الإنسان بالنّطق والكلام لما أكرمه الخالق بنعمة العقل والحواس، ويكون ذلك في سنوات العمر الأولى لما ينمو فكره شيئاً فشيئاً، أمّا نطقه وهو لا يزال في المهد لا يقوى على الحراك، فذلك من ضروب المعجزة التي حصلت للرّسول عليه الصّلاة والسّلام، يقول "بن خلّوف" في قصيدة (سيّد المهاجرين وسيّد الأنصار):³

نَهَيْتُ يَا أَحْمَدَ عَنِ السُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ... فِي بَطْنِ يَامِنَةَ نَطَقَتْ بِقُدْرَةِ الْقَدِيرِ

¹ - ينظر: ابن خليفة العليوي، معجزات النّبي المختار من صحيح الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1991م، ص 84.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 107.

³ - المصدر السّابق، ص 88.

الشّاهد (نطقت) وهو (نَطَقْتُ) بفتح النّون دون تسكينها، كما جرت العادة في اللهجة في الأفعال المضارعة والماضية المنسوبة لضمير المتكلم.

خرج الفعل (نطق) عن دلالته المعهودة في التعبير عن منطلق الحيوان إلى مخاطبة هذا الأخير للإنسان وحديثه وكلامه وكلامه، فألحق الحيوان بالإنسان في كلامه لغته استثناء، لمعجزة إلهية أرادها الله تعالى أن تكون.

ويستوحي "بن خلّوف" معنى للفعل (نطق) من الذكر الحكيم، ليوظفه في ديوانه مقاربا لما جاء في القرآن الكريم في سورة المؤمنون ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٢﴾.¹

يقول الشاعر في قصيدة (لو لا أنت):²

وَالْقُرْآنُ نَطَقَ لَكَ بِحُرُوفٍ نَافِسَةٍ... يَا رَحْمَةَ الْإِسْلَامِ لَا دَنْسٌ لَا خِبَابًا

(نطق) هو الفعل الماضي (نطق)، ويعني إخبار القرآن بالغيبيات التي ستقع في المستقبل، وهي إحدى وجوه إعجازه.

وفي قصيدة (الموت لا غنى تدركني) يوظف الشاعر الفعل (نطق) بمعنى آخر يقول:³

رَبِّي نَطَقَهُ بِالْحُكْمَةِ... بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يُنَادِي

الشّاهد (نطقه) هو الفعل (نطقه) أي جعله يتكلم بالحكمة، فالرسول عليه الصّلاة والسّلام لا ينطق عن هوى بفضل قدرة الجليل الذي كلّمه بيانا وحكمة.

¹ - سورة المؤمنون، الآية 62.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 68.

³ - المصدر نفسه، ص 146.

المبحث الثاني: الأفعال الدالّة على الإحساس والانفعال

أولاً: الأفعال الدالّة على الإحساس

1/ تعريف الإحساس:

أ/ التعريف اللغوي:

من الفعل أحسّ، يحسّ، إحساساً، وأحسّ الشيء وبه حسّاً، وحسيّاً: أدركه بإحدى حواسّه¹، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَحَدٌ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۙ﴾²، والإحساس بأمر: العلم به، لقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾³.

والإحساس الرقّة والرّحمة⁴، والحاسة مفرد حواس، وهي قوّة طبيعية غير مرئية، تشرف عليها أجهزة الجسم وآلاته الجسمية فيدرك الإنسان التغيّرات التي تطرأ عليه.

ب/ التعريف الاصطلاحي:

هو الإدراك بإحدى الحواسّ الخمس: وهي البصر، والسمع، والشمّ، والدّوق واللمس، وهي حواس ظاهرة⁵، والإحساس في اصطلاح الفلاسفة "ظاهرة فسيولوجية سيكولوجية مترتبة على إثارة إحدى الحواس، ويصاحبها الوجدان أحياناً كالإحساس بالألم أو التفكير أحياناً أخرى كالإحساسات المرئية"⁶.

¹ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 172.

² - سورة مريم، الآية 98.

³ - سورة آل عمران، الآية 52.

⁴ - ينظر: أبو علي إسماعيل بن القاسم الفالي البغدادي، كتاب الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، ص 176.

⁵ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 172.

⁶ - مجمع اللّغة العربية، المعجم الفلسفي، ص 04.

انتقينا خمسة أفعال من حقل الأفعال الدالة على الإحساس، وأخذنا من كل ما يدل على الحاسة فعلا واحدا.

1.1 رأيت:

أي رأيتُ في الفصحى، فعل ماضٍ مسند إلى ضمير المتكلم، أصله (رأى) ومضارع (يرى)، ومصدره (رؤية)، وتعني النظر بالعين، خففت الهمزة في الفعل وكسرت الياء تخفيفا للتطق، وذلك موافق لما جاءت به المعاجم العربية ومصادر اللغة "قال الجوهري: وربما جاء ماضيه بلا همز، وأنشد هذا البيت أيضا:¹

صَاحَ هَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ

و (رآه): أراه أنه على خير وصلاح على خلاف ما هو عليه²، وهو إدراك شيء ما والعمل به، يقول "أبو القاسم العلوي الأطرش":³

إِنِّي رَأَيْتُكَ أَعْلَى النَّاسِ مَنْزِلَةً... فِي الْعِلْمِ وَالشَّعْرِ وَالْأَرَاءِ وَالْفُطْنِ

والرؤية تعني الاعتقاد أيضا⁴، لقوله جلّ جلاله: ﴿وَلِكَيْتَ أَرَلَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾⁵، وقوله أيضا: ﴿إِنِّي أَرَلْتُكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾⁶.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 17، ص 1538.

² - ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 320.

³ - ديوان القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز، تح: سميح إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط 1، 2003م، ص 21.

⁴ - مجمع اللغة العربية، معجم الألفاظ القرآن الكريم، ج 4، ص 456.

⁵ - سورة الأحقاف، الآية 23.

⁶ - سورة الأنعام، الآية 74.

جاء الفعل (رأى) في الديوان في خمسة وعشرين موضعاً، منها ما ورد بمعنى (أبصر)، يقول "بن خلّوف" في نظم (قصّة مزگران):¹

يَا عَجَلَانَا رِيضَ الْمَلْجُومِ... رَأَيْتُ أَجْنَابَ الشَّلْوِ * موشومة

و (الملجوم) هو الفرس الذي كان يمتطيه أحد المقاتلين، رآه الشاعر مضجراً بدماء كست أعضائه وجسده وجميع جلده، وهو المقصود بالشّلو، جرّاء الجروح، نتيجة القتال في ساحة الحرب، فكانت كالوشم الذي يطبع في ظاهر اليد.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (مقلّب القلوب ربّي) يقول:²

وَاللِّي نَرَاهُ جَا فِي يَدِي... مَا قَلَّتِ احْنُوشِ وَلَا أَعْقَارِ

الفعل (نراه) هو (نراه) في الفصحى، وصيغة (اللّي نراه) في اللهجة بمعنى (الذي أراه) في الفصحى، ويشير إلى (كلّ ما تقع عليه عينه).

ويقول أيضاً في قصيدة (بك طابت الأثمار):³

مَا يَرَى بِإِذْنِ اللَّهِ نِكَالَاتِ الضَّرِيحِ... ثُمَّ نَاكِزٌ وَمُنْكَرٌ يَاتُوهُ مُلَاطِفًا

الشّاهد (يرى) هو الفعل (يرى) بفتح الياء، لأنّ العرب لا تبدأ كلامها بساكن.

وفي نظم (سيّد المهاجرين وسيّد الأنصار) يقول "بن خلّوف":⁴

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 182.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 135.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 102.

⁴ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 85.

سَيِّدُ الْمُهَاجِرِينَ وَسَيِّدِ الْأَنْصَارِ... وَالسَّيِّدُ الَّذِي مَا رَيْتَ مِثْلَهُ سَيِّدُ

الشّاهد في البيت (رَيْتَ) من صيغ الأفعال المتداولة في العربية، فمنهم من يجذف الهمزة ويكسر الراء، ويسكن الياء فيقول (رَيْتَ).

وفي قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة) يقول الشاعر:¹

قَالَ الْغُلَامُ يَا مُحَمَّدَ إِذَا رَأَيْتُ... هَذَا الْوَادِ وَنَظَرْتَ الْحَيَّةَ فِيهِ

ويواصل قوله:²

لَمَّا رَأَتْ النَّبِيَّ خَرَجَتْ بِالْمَرَّةِ... وَبَكَى سَيِّدُ الرِّسْلِ بِدُمُوعِهِ طُوفَانَ

الشّاهد في البيتين (رَأَيْتَ) و (رَأَتْ)، وصوابهما (رَأَيْتَ) بالفتح و (رَأَتْ) بالهمز خلافا للمدّ، ومعنى الفعلين النظر بالعين المجردة.

ويوظّف الشاعر الفعل (رَأَى) بحلّة جديدة، في قصيدة (لو لا أنت) يقول:³

وَكَذَلِكَ الْغَافِلِينَ عَنْ وَقْتِ السُّجُودِ... رَأَيْتُ كِتَابَ الْحَقِّمَا إِعْطَاهُمْ سَلَامَةً

(كتاب الحق) هو القرآن العظيم الذي حدّر السّاهين عن الصّلاة في كم من موضع، منها ما جاء في سورة الماعون: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾⁴، ومعنى البيت مقارب

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 120.

² - المصدر نفسه، ص 121.

³ - المصدر نفسه، ص 70.

⁴ - سورة الماعون، الآيات 05/04.

لمعنى الآيتين الكريمتين، فلم يحفظ القرآن الحكيم لهؤلاء الغافلين عن الصّلاة حقوقهم، وسلامتهم وإيّاها أعدّ لهم عذاباً مريراً.

والشّاهد (رأيت) هو الفعل (رأيتُ)، الذي يعني الاعتقاد اليقيني وأخذ العبرة.

ويخرج الشّاعر دلالة الفعل لمعنى مغاير في قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة):¹

قَالَ لَهَا مَا لَكَ إِحْتَرَقْتُ يَا شَجْرَةَ... قَالَتْ لَهُ يَا الْمُصْطَفَى كَيْفَ تُرَانِي

(تراني) صوابه (تراني) فعل مضارع يدلّ على إمعان النّظر، واستقصاء الأسباب واتّخاذ النّتائج، للوقوف على الحقيقة، فالرّؤية في البيت نظر بالبصر وإعمال بالبصيرة أيضاً، لاستخلاص العبرة، وفي ذلك حتّى على المشاهدة والتّعجب من شأن ما حلّ لهذه الشّجرة.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (بك طابت الأثمار):²

مِنْ بَحْثٍ عَن حَاجَةٍ تَنَعَدُ لَهُ نَصِيبٌ... مِنْ سَمَحٍ فِي سَهْمِهِ مَا رَأَيْتُ مَا حَظًّا

ويتضمّن البيت حكمتين هامّتين في الحياة، لأنّ السّاعي وراء الأعمال الخيّرة يحضى برضى الله تعالى، وتكتب له الحسنات وترفع عنه السيّئات، حتّى وإن لم يتمكّن من تحقيق ما نوى فعله، فالنّية الحسنة يجازى عليها العبد المؤمن، أمّا من هو في غنى عن ذلك فليس له شيء ممّا ذكر وهو المراد بالشّطر الثّاني.

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 122.

² - المصدر نفسه، ص 102.

الشّاهد في قوله (ما رأيت) صوابه (ما رأيت) بتسكين الياء، والرّؤية في البيت هي الرّؤية القلبية التي تكون بعقد التّية، والاعتقاد الجازم المصحوب بالعمل، لم يتمكن الشّاعر من رؤية ما حصل عليه هذا الإنسان الذي ابتعد عن طريق الخير، ومعنى الرّؤية هنا يعكس الفعل (رأيت) معنى الإدراك.

وتكون الرّؤية بالحاسّة للإنسان، وبما يجري مجراها لله عزّ و جلّ، فلا تصحّ الحاسّة على الله تعالى، وذلك ما قصده "بن خلّوف" من قوله في قصيدة (دقّة الحبّ):¹

حَاضِرٌ أَلَا تَعْيِبُ مُهَوِّئُ كُلِّ صَعِيبٍ... مَنْ يَرَانَا وَلَيْسَ حَدُّ يَرَاهُ

الفعل (يرانا) منسوب للخالق جلّ وعلا، وتكون الرّؤية بعلم الغيب، ومعرفة خافية الأعين، وإبصار ما تدركه عين الإنسان وما لا تدركه.

إنّ معنى الفعل (يرانا) في البيت أوسع ممّا يكون بالحاسّة، خلافاً للفعل الثّاني (يراه) الذي خصّ الإنسان بالنّظر.

وفي نظم (بما في علمك القديم) يقول:²

لَا تُحَرِّمْنَا مِنَ الْجِنَانِ وَلَا جَنَّةَ... الَّتِي كُلُّ مَا تَرَاهُ إِلَّا فِيهَا

(تراه) أي (تراه) ما تراه عينك وتبصره موجود في الجنّة، وما يراه قلبك كائن فيها أيضاً.

الملاحظ أنّ الفعل (رأى) تضمّن لدلالاتي الأبصار بالعين المجرّدة، والتّمّي وهو طلب حصول الفعل وتحقيقه، فكأنّ الشّاعر يريد أن يقول (ما تراه عينك الآن في الدّنيا وما ستراه غداً)، ويتضمّن الفعل معنى الكثرة وتعدّد الملذّات والخيرات.

¹ - المصدر السابق، ص 104.

² - المصدر نفسه، ص 156.

ومن مواطن استخدام الفعل (رأى) ما دلّ على الرّؤية المنامية، في نظم (لله الحمد زاد فيا):¹

الْبَارْحُ فِي الْمَنَامِ رَأَيْتُهُ... وَأَصْحَابُهُ حَاضِرِينَ جَمَلًا

ويقول أيضا:²

شَفِيعُ الْخَلْقِ بَوْرَقِيَّةٍ... الْبَارْحُ فِي الْمَنَامِ آيَتِ الْعَدْنَانِي

ويواصل قوله:³

مَا يَتَمَثَّلُ خَبِيثٌ لِيَا... مَنْ شَاهَدَنِي فِي أُمَّتِي فَقَدْ رَانِي

خففت همزة الفعل (راني) تسهيلا للنطق، ومعناه (شاهدني)، وسبق الفعل (رآني) بفعل آخر (شاهدني)، وفي ذكر الأوّل تفسير لمعنى الثّاني، والمشاهدة المشار إليها هي الرّؤية في المنام على غرار مدلول (راني) الذي يعني الرّؤية حقيقة بالعين الباصرة.

2.1 اصغ/اسغ:

إصغ فعل أمر من (صغى) يصغي صغا، و "صغا يصغو فؤاده إلى كذا، أي مال، وصغوك إليه: أي ميلك، وأصغيت إليه: استمتعّ، والإصغاء: الإمالة وصغت النّجوم: مالت للغروب"⁴، ومنه قولهم: صاغية لمن يميل مع الشّخص في رأيه من أصدقائه وأهله، لأنّ الصّاد والغين والحرف المعتلّ أصل يدلّ على الميل.⁵

¹ - المصدر السابق، ص 93.

² - المصدر نفسه، ص 93.

³ - المصدر نفسه، ص 93.

⁴ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 399.

⁵ - ينظر: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللّغة، ج 3، ص 89.

صغو الكفّ جوفه، وصغو المعرفة باطنها، وصغو البئر ناحيتها، وصغو الدلو ما تتى من جوانبه¹، يقول "ذو الرمة"²:

فَجَاءَتْ بِمَدِّ نِصْفِهِ الدِّمْنِ آجَن... كَمَاءُ السَّلَا فِي صَعْوِهَا يَتَقَرَفُ

تكرّر الفعل (صغى) في الديوان أربع مرّات، وجاء مكتوبا بالسّين ثلاث مرّات.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي)³:

وَرَفَاقُ إِنْبَسَطَتِ الخَوَاطِرُ يَا حَضْرَةَ... وَأَعْجَبَ مِنْ ذَاكَ الهَوَى قُمْ إِصْغَ لِي

يخاطب الشاعر رفاقه والجالسين عنده ممّن قصده لتدوّق معاني شعره، طالبا منهم الإصغاء إليه، والاستماع لأشعره التي شبّها بالهوى الذي يبعث في النفس ميولا وأنسا.

ونفس المعنى ما قاله في نظم (صلوا وسلّموا)⁴:

أُدْعِي لِي اللهُ يَا مَنِ سَغِيَتْ لِلْأَشْعَارِ... الأَخْضَرُ طَالِبُ العَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

والشاهد في قوله (سغيت) صوابه (صغيت) بالصّاد في الفصحى، فعل ماضٍ معناه الاستماع بتركيز وانتباه.

وفي نظم (شايين عشت لا بد تندم) يقول⁵:

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 28، ص 2454-2455.

² - ديوان ذي الرمة، شرح: عبد الرحمن المصطاوي، ص 182.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 58.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 133.

⁵ - المصدر نفسه، ص 176.

إِعْمَلِ الزَّادَ بَاشً تَسَافِرُ... حُذِ الطَّرِيقَ وَاسْغِي لِيَا

الشّاهد في البيت (اسغي) هو الفعل الأمر (اصغ)، ومعناه الميل بالسمع لنصيحة الشّاعر الذي يحثّ على فعل الخيرات واجتناب الموبقات، ويدلّ الفعل (اسغى) في البيتين على الاستماع للكلام والعمل به.

3.1 تشرب:

على وزن (تَفَعَّل) في اللّهجة وفي الفصحى (أشرب)، على وزن (أَفْعَل) فعل مضارع مصدره الشُّرْبُ، من الفعل شَرِبَ يشرب شُرْبًا وشَرَبًا، والشُّرَاب اسم لما يشربُ وكلّ شيء لا يمضغ فإنّه يقال فيه يشرب¹، والشُّرْبُ: "تناول كلّ مائع بالفم من ماء وغيره"² لقوله تعالى: ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا نَشْرُبُونَ ۚ ۝۳۳﴾³، ولقوله أيضا: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ۚ﴾⁴.

والشُّرْبُ بالكسر، الحظّ من الماء وفي المثل: آخرها أقلّها شربا، والشُّرْبُ هو وقت الشُّرْب أيضا، هو المورد والجمع أشراب⁵، ووظف للدلالة على النّصيب وبلوغ المحبّة في القلوب لقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْإِعْجَالَ ۚ﴾⁶، والشُّرَاب: الخمر لقول "عمر الخيام"⁷:

قَلَّتْ سَأْتِرُكَ الشُّرَابَ تَائِبًا

¹ - ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 317.

² - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 2، ص : 2222

³ - سورة المؤمنون، الآية 33.

⁴ - سورة البقرة، الآية 249.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، ج 26، ص 2222.

⁶ - سورة البقرة، الآية 93.

⁷ - رباعيات عمر الخيام، تعريب أحمد الصّافي التّجفي، ص 86.

يوظّف الشاعر "بن خلّوف" في ديوانه الفعل (شرب) للتعبير عن تناول الماء تحديداً.

يقول في نظم (بسم الله نبتدا القصيدة):¹

قَالَ لَهُ الْمُحْتَارُ مُدِيَّ الْكُوزَ تَرَى... نَشْرِبُ مِنْهُ وَكُلَّ مَنْ هُوَ عَطْشَانِي

ويواصل قوله:²

قَالَ الْغُلَامُ حُذِّ يَا مُحَمَّدَ الْكُوزِ... أَشْرَبُ مِنْهُ وَرَدُّ لِي مَا يُشْرَبُ أَحَد

ويقول أيضاً:³

أَصْحَابِي يَنْظُرُوا وَنُشْرِبُ كَيْفَ يَجُوزُ... قَالَ الْغُلَامُ مَا إِشْفَقَ دَا مُحَمَّد

إِشْرَبِ وَأَعْطِي الْمَاءَ أَنَا فَاتَا حَرًا... وَإِذَا شَطَّ الْقَلِيلِ عَنْهُمْ يَكْفِينِي

(اشرب) في البيت الأوّل هو فعل الأمر (اشرب) في الفصحى على وزن (افعل).

(نَشْرِبُ) هو الفعل المضارع (أشرب) و (أشرب) على وزن (أفعل) و (أفعل) بفتح العين أو

ضمها، تكرر اللفظ في ديوان "بن خلّوف" إحدى عشرة مرّة.

انتقلت دلالة الفعل من تناول الماء واغترافه إلى تذوّق قطرة منه فقط، يقول الشاعر في نفس

القصيدة:⁴

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْيَزِيدِ مَا تَشْرَبُ قَطْرَةً... لِمَنْ تَعَلَّمَنِي بِنِسْبَتِكَ يَا إِنْسَانِي

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 119.

² - المصدر نفسه، ص 120.

³ - المصدر نفسه، ص 120.

⁴ - المصدر نفسه، ص 119.

تنتقل دلالة الفعل للإشارة إلى فعل آخروي، فماء الجنّة لا يشرب منه إلا الصّالحون الفائزون
برضى الله تعالى، كما في نظم (نرغب المعين المبدي):¹

نشربوا مِنْ حَوْضِ الْمَوْزُودِ... قِبَلْتِي وَيَمِينِي وَيَسَارِي، يَا الْمُخْتَارِ

ويواصل "بن خلّوف" قوله:²

نُشِرْبُ مِنْ حَوْضِ الْمَوْزُودِ... بَعْدَ حَوْضِكَ تُذْهِبُ الْأَوْزَارُ، يَا الْمُخْتَارِ

الشّاهد في البيت الأوّل (نشربوا) هو الفعل المضارع (نشربُ) المنسوب إلى ضمير الجمع المتكلم
(نحن) و (تشرب) في البيت الثّاني هو الفعل المضارع (أشربُ) المسند إلى ضمير المتكلم المفرد،
يعكس الفعل تجرّع ماء الآخرة من الحوض الذي تشرب منه الأمة الإسلامية، فالشرب هنا هو فعل
آخروي.

تلوّنت معاني الفعل (شرب) في ديوان "بن خلّوف"، ففي قصيدة (مقلّب القلوب ربي) يقول:³

فِي رَسُولِهِ رَأَيْتُ مُجِدُّ... نُشِرْبُ وَيَلْدُ لِي بُرُودُهُ

يتمكّن حبّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام من قلب الشّاعر تمكّنا بمنزلة من شرب الماء فتدخل
جوفه، وسرى في عروقه، فحلّت محبة محمد صلى الله عليه وسلم محلّ الشّراب، وصارت موجودة لا
تنمحي، كالماء الذي يغترفه الإنسان في أوقات عديدة.

¹ - المصدر السابق، ص 150.

² - المصدر نفسه، ص 152.

³ - المصدر نفسه، ص 137.

4.1 نَشِمٌ:

هو الفعل (أشَمُّ) في الفصحى على وزن (أفعل)، من الفعل الثلاثي شَمَّ شِمُّ وشَمِيمًا¹ وقال أبو حنيفة: تشَمَّنَ الشَّيْءُ واشتَمَّهُ أدناه من أنفه ليجتذب رائحته وأشَمَّهُ إِيَّاهُ: جعله يشمُّه¹، يقول أحد الشعراء في وصف رائحة الحبق والتنعاع:²⁻³

شَمَّ أَنْفِيَّ وَحَنُّ قَلْبِي غَرَامًا... وَنَشَرُ نَمَامِهِ الطَّرِيَّ الْجُنِي
نُزْهَةَ الْعَيْنِ حَضْرَةً وَتَرَاهُ... تَرَهُ الْأَنْفَ بِالْمَشْمِ الدُّكِّي

جاء ذكر الفعل (نَشِمٌ) في الديوان كلّ مرّة واحدة في نظم (ابقاوا بالسلامة)، ودلّ على فعل آخروي، فالشَمُّ المذكور هو تمّي إدراك رائحة الجنّة، وتحسّس نسيمها الرّكيّ بالأنف:⁴

نَشَمُّ رايحة الجنّة وَمَا فِيهَا... وَنَحْلُ فِيهِ عَيْنِي فِي ذِيكَ الدَّارِ

5.1 تَصْفِقُ:

هو الفعل المضارع (تُصْفِقُ) المسند إلى ضمير الغائب المؤنث، والصَّفْقُ: الضرب الذي يسمع له صوت، وكذلك التّصفيق، ويقال: صَفَقَ بيديه وصَفَّحَ سواء⁵، وصَفَقَ رأسه ضربه، وصَفَقَ عينه: رَدَّها وغمضها، وصَفَقَ بيديه: ضرب باطن إحداهما على باطن الأخرى⁶، وصَفَّقَ على وزن (فَعَّل) للمبالغة في التّصفيق.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 26، ص 2333.

² - السري بن أحمد الرفاء، الحبّ والمحجوب والمشموم والمشروب، كتاب المشموم، ص 10.

³ - المصدر نفسه، ص 110.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 190.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، ج 28، ص 2436.

⁶ - ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 517.

يستعمل "بن خلّوف" الفعل (تصقّق) مرّتين في ديوانه، بمعنى ضرب كفيّي اليدين بعضهما بعض وفي ذلك ملامسة لهما، يقول في قصيدة (مقلّب القلوب ربي):¹

وَإِذَا نَضَحَكَ تَقُولُ سَعْدِي... تُصَقِّقُ فَارِحَةً وَتَلْعَبُ

ويعكس فعل التّصفيق في البيت، جوّ الفرح والانطراب، وسعادة والدة الشّاعر بابنها الذي كان يلعب ضاحكا.

ويضرب التّصفيق أيضا على البيعة، إذا اتّفق القوم على البيع والشّراء، والمفاهمة والاتّفاق الحاصل بين الطّرفين، وجد "بن خلّوف" وجها لتشبيه ذلك بمبايعة الرّسول صلى الله عليه وسلم، فكان فعل التّصفيق رمزا للإيمان بالرسالة المحمّدية، وقبول جميع ما جاء فيها، وأتباع طريق السنّة النبوية الشّريفة.

يقول الشّاعر في نظم (بسم الله نبتدا القصيدة):²

تَسْجِدُ وَتُصَقِّقُ لَكَ أَنَا ظَنَيْتُ... نُدْخِلُ لِلدِّينِ الَّذِي تَأْمُرُنِي

ثانيا: الأفعال الدالّة على الانفعال

1/ تعريف الانفعال:

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 135.

² - المصدر نفسه، ص 120.

أ/ التعريف اللغوي:

من الفعل (انفعل)، مزيد بمزمة الوصل والتّون، ويدلّ على المطاوعة¹، أصله من الفعل الثلاثي (فعل)، و "انفعل مطاوع فعّله، فهو منفعل وانفعل بكذا: تأثر به انبساطا وانقباضا"².

ب/ التعريف الاصطلاحي:

"الظواهر الوجدانية كاللذّة والألم، ويقابل الإدراك والتّزوع، وقد يقصر على الانفعالات الشّديدة التي يصحبها توقّف أو حركة، كالخوف والحبّ"³، ويستعمل اللفظ للدلالة على الأهواء والميول والحبّ والكراهية والغضب والبخل وغيرها.

وتنوّعت الأفعال الدالّة على الانفعال في ديوان "بن خلّوف" منها: ما دلّ على الرّهو والحزن، والشّوق والإلهام، والشّفقة والخوف وغير ذلك، اكتفينا بدراسة أربعة أفعال تنتمي لهذا الحقل الدلالي.

1.1 نزهى:

على وزن (نَفَعَل)، فعل مضارع صوابه (أزّهى) بفتح الألف، فوقع التّغيير في حركة الحرف الأوّل في الفعل، بالكسر في اللهجة وبتحتها في الفصحى، لأنّ نون المضارعة تدلّ على جمع المتكلم أو مثناه، والفعل (نزهى) مسند إلى ضمير المتكلم المفرد، ولم يتغيّر معناه في اللهجة، فالرّهو: الكبر والعظمة، والمزهو المعجب بنفسه والريح تزهو النّبات إذا هزّته بعد غبّ الندى⁴، والرّهو: الكذب ويعني الاستخفاف أيضا⁵، والفعل مشتقّ من " (زهو) الرّاء والهاء والحرف المعتلّ أصلا: أحدهما

¹ - ينظر: بن حمدون بن الحاج، حاشية الطّالب بن حمدون بن الحاج على شرح لامية الأفعال لابن مالك، دار الفكر، بيروت، ص 32.

² - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 695.

³ - مجمع اللّغة العربية، المعجم الفلسفي، ص 26.

⁴ - ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 199.

⁵ - ينظر: علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 4، ص 295.

يدلّ على كبر وفخر، والآخر على حسن"¹، وزها بكذا: أعجب به فهو مزهو، وهي مزهوّة، من الكبر والتّعاضم.²

ومن الأشعار التي ورد فيها الفعل بمعنى أضاء ولمع وأشرق، قول "البحثري" في ديوانه:³

يزدهيه من العلى كبرياء... فيه أن يزدهى على الاخوان

الشاهد (يزدهيه) و (يزدهى) من الفعل (زها) بوزن (فعل) ورد الفعل في البيت مزيدا بحرفين، ولحقه إبدال التاء دالا لكون فائه زايًا⁴، ويحمل معنى العجب والكبر.

تكرّر اللفظ في الديوان خمس مرّات.

يقول "بن خلّوف" في نظم (أحسن ما يقال عندي):⁵

نرجى الله يدوم فرحي... نزهى بك وليك فأرح

ويقول أيضا في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):⁶

من حوله مع قوته نزهى الحضرة... في يوم حرّ الشّموس وسائر الاهوالي

وفي نظم (قدر ما في بحر الظلام):⁷

¹ - ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 405.

² - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 29.

³ - ديوان البحتري، مطبعة الجوائب، قسنطينة، ط 1، 1300هـ، ج 1، ص 79.

⁴ - ينظر: أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، ص 116.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 46.

⁶ - المصدر نفسه، ص 61.

⁷ - المصدر السابق، ص 54.

قَدَّرَ مَا تُزْهِى الْأَعْوَامُ... وَمَا مَنَ صِدْقِ بِالنَّبِيِّ وَالْجَاهِدِينَ

وفي قصيدة (سيّد المهاجرين وسيّد الأنصار):¹

ثُمَّ أَزْهَاتٍ يُمْنَةً بِوَلَدِهَا الْمُخْتَارِ... فَازَتْ عَلَى النَّسَاءِ بِالشَّفِيعِ مُحَمَّدٍ

ورد الفعل (زها) بصيغ عديدة في أشعار "بن خلّوف"، ففي البيت الأوّل (نزهي) فعل مضارع، على وزن (نفع)، كما تقدّم بيانه مسند لضمير المتكلم المفرد، وفي المثالين الثاني والثالث (تزهي) فعل مضارع بوزن (تفعّل) مسند لضمير الغائب المؤنث، وفي البيت الرابع الفعل (ازهات) ماض بوزن (افعلت) مسند لضمير الغائب المؤنث.

عكس الفعل في الأمثلة السابقة دلالة الفرح والسعادة.

ومن معاني الفعل (زها) ما دلّ على الانطراب وعكس جوّ الفرح في المحيط الذي عاش فيه "بن خلّوف"، وزين سماء أشعاره التي كان يلقيها على مسامع الجالسين عنده من أهله وإخوانه وبني عشيرته.

يقول الشاعر في قصيدة (يا كوثر اللبّين) واصفاً ذلك:

نَزْهَى وَنَنْطَرِبَ مَعَ جَمِيعِ الْإِخْوَانِ... وَالْأَهْلُ اللَّيِّ مَعِيَ الْقَرِيبِ حَتَّى الْجَارِ

2.1 عَزَّكَ:

¹ - المصدر نفسه، ص 88.

من الفعل الثلاثي (عزّ) و (عزز) بعد فكّ الإدغام، يعزّ عزّة، وهو عزيز بين العزّاة، ويقال: عزّ الشيء، جامع لكلّ شيء إذ قلّ حتى يكاد لا يوجد من قلته¹، ويدلّ على الشدّة والقوّة وما جرى مجراها من غلبة وقهر، يقال: عزّه على كذا: إذا غلبه² و "إذا عزّ أخوك فهن"³، أي: إذا عاسرك فياسره و "أعزه: قواه وجعله شديدا وأيضا أحبه وأكرمه"⁴، والتّعزي: التّصبر والعزاء المواساة لقول "مروان بن أبي حفصة" في ديوانه:⁵

تَعَزُّ أَبَا الْعَبَّاسِ عَنْهُ وَلَا يَكُنْ... عَزَاؤُكَ مَنْ مَعَنَ بِأَنْ تَتَضَعَّعَا*

تكرّر اللفظ في ديوان "بن خلّوف" تسع مرّات حاملا مدلولات عديدة، منها ما جاء بمعنى أيّد وقوى، كما في قصيدة (اختارك الواحد الأحد):⁶

أَنْتَ الْعَزِيزُ يَا مَعْرُوزِي... عَزَّكَ بِالِدَّوَامِ رَبِّ الْعِزَّةِ

ويقول أيضا:⁷

اخْتَرَكَ الْجَلِيلَ وَعَزَّكَ... أَرْضَاكَ وَإِصْطَفَاكَ عَلَيْنَا

¹ - ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 145.

² - ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 4، ص 38-39.

³ - أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، الفاخر، تح: عبد العليم الطّحاوي، مراجعة: محمد علي النجّار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ص 64.

⁴ - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 598.

⁵ - شعر مروان بن أبي حفصة، تح: حسين عطران، دار المعارف، ط 3، ص 15.

⁶ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 74.

⁷ - المصدر نفسه، ص 74.

ويقول الشاعر في نظم (لو لا أنت):¹

يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلُّوا وَسَلِّمُوا... عَلَى مَنْ عَزَّهِ وَفَضَّلِهِ وَاصْطَفَاهُ

ويقول أيضا في نظم (إلا وجه الحبيب غاب):²

مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ جَا وَجَابٍ... مِنْ أَعَزِّهِ رَبَّنَا الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ

الشاهد في الأمثلة قوله: (عزّك) في البيتين الأوّل والثاني، وهو فعل ماض مسند إلى ضمير المخاطب المفرد المذكّر، على وزن (فَعَلَكْ)، و (عزّه) في المثال الثالث بوزن (فَعَلَهُ)، فعل ماض مسند إلى ضمير الغائب المفرد، أمّا المثال الرابع فالفعل (أعزّه) بوزن (أَفَعَلَهُ) فعل ماض مسند إلى ضمير الغائب المفرد أيضا.

ارتبطت استعمالات الفعل (عزّ) بتوضيح علاقة دينية ربطت الرسول عليه الصلّاة والسّلام بخالقه جلّ جلاله، فكشف الفعل عن المكانة التي شرف بها الله تعالى نبيه عليه الصلّاة والسّلام وما فيها من نصر وعزّ وتأيد ونصر وتقوية.

إنّ الله تعالى هو الغالب الذي لا يقهر وهو العزيز الحكيم يقول في كتابه: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾³، ومن هذا المعنى يقول "بن خلّوف" في نظم (اختارك الواحد الأحد):⁴

أَنْتَ الْعَزِيزُ يَا مُحَمَّدَ... مَا أَعَزُّ مِنْكَ إِلَّا رَبُّ الْعِبَادِ

¹ - المصدر السابق، ص 65.

² - المصدر نفسه، ص 109.

³ - سورة البقرة، الآية 209.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 74.

الشّاهد (أعزّ) هو الفعل (أعزّ) على وزن (أفعل)، فعل ماض بمعنى قوّاه وجعله عزيزاً، أمّا في البيت فيدلّ على القوي القادر عزّ وجلّ، وهي صفة لا يتمتع بها الخلق بما فيهم الأنبياء، لأنّها جامعة لكلّ معانيها وتختصّ بالخالق وحده.

3.1 يجزّن:

يجزّن في الفصحى بفتح الياء من الحزّن والحزّن وفيها لغتان: فتح الحاء وضّمّها فإذا جاء منصوباً فتحوه، وإذا جاء مكسوراً أو مرفوعاً ضمّوه¹، حَزَنَ يجزّن حُزْناً وهو حزين والحزن "خشونة في النفس لما يلحقها من الغم"²، لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾³، وقوله أيضاً: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾⁴، وسمّي المكان الحشن الغليظ حزناً أيضاً.⁵

تكرّر الفعل (يجزّن) مرّتين في ديوان "بن خلّوف"، في قصيدة (لله الحمد زاد فيا):⁶

يَا عَيْنِي مَا بَعَيْتُ تَحْزَنَ... كَيْفَ يَحْزَنُ شَاعِرَ الْعَرَبِي

الشّاهد في قوله (يجزّن) صوابه (تحزّن) فعل مضارع على وزن (تفعل) و(يجزّن) هو الفعل المضارع (يجزّن) بفتح الياء، بوزن (يفعل).

والمراد من البيت ليس التّهي عن تحصيل الحزن، لأنّ ذلك لا يساور الإنسان باختياره، إنّما المراد تعاطي أسبابه، يناجي "بن خلّوف" نفسه التي سمّاها (عيني) لأنّ العين هي من تذرف الدّموع ألماً وحسرة لإحساس النّفس بالهمّ والجزع، فأطلق الخاصّ المقصود به دلالة العموم، أراد لنفسه الابتعاد

¹ ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 313.

² أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 1، ص: 68

³ سورة يوسف، الآية 86.

⁴ سورة يوسف، الآية 13.

⁵ ينظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 171.

⁶ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 94.

عن أسباب كلّ ما من شأنه أن يعكّر صفوها، وفي ذلك حتّ على الاستعداد، وتوضيب النفس البشرية ترصدًا لأيّ نائبة من نوائب الدهر، فلا يجزن عندها لما عنده من زاد.

ورد الفعل (تحزن) في البيت بمعنى: (تهتمّ)، و (تغنم)، و (يجزن) بمدلول (يهمّ) و (يغمّ).

4.1 اشتاق:

أي (اشتاق) على وزن (افتعل)، من الفعل الثلاثي شاق، شوق، شوقا، ويزيده اشتاق شتاق اشتياقا، "وشاقي شوقا وشوقني: هاجني"¹، يدلّ على تعلق الشّيء بالشّيء ونزاع النفس، ولا يكون ذلك إلا عن علق حبّ²، يقول "ابن الزّيدون"³:

بُنْتُمْ وَبِنَا فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا... شُوقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَآقِينَا

ورد الفعل (شاق) في ديوان "بن خلّوف" بصيغة المزيد (اشتاق) الدالّة على الإظهار والتّشارك مرّتين في ديوانه.⁴

يقول الشّاعر في نظم (اختارك الواحد الأحد):⁵

نُعْطِ قَبِيلَ وَأَلْفَ فَرَسِي... لَهُ إِشْتَاقَ قَلْبِي غَايَةَ

ويقول أيضا في نظم (الرشيد مصباحي):⁶

¹ - علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، ج 6، ص 319.

² - ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج 3، ص 29.

³ - ديوان ابن الزّيدون، ص 12.

⁴ - ينظر: أحمد الحمالوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، ص 35.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 77.

⁶ - المصدر نفسه، ص 91.

يَا نَادِرُ وَبَاشِرٌ... عِنْدَ طُولِ الْحَشْرِ كُنْ لِمَنْ إِشْتَاكَ

الشّاهد في البيت الأوّل (اشتاق) فعل ماضٍ مسند لضمير المفرد الغائب وكذا بالنّسبة للفعل (اشتاقك) في المثال الثّاني، والفعلين بوزن (افتعل) الدالّ على المبالغة والتّكثير¹، ويدلّ في البيتين على إظهار الشّوق وبيان شدّته، وتعلّق الشّاعر بالرّسول عليه الصّلاة والسّلام، فشوقه إليه هو شوق القلب المحبّ الذي هام بمحبّة محمد عليه الصّلاة والسّلام، فنزعت نفسه بصدق للحبّ التّبوي الشّريف وذلك إحدى مواطن الإيمان.

المبحث الثالث: الأفعال الدالّة على الفكر والتّعلّم

1/ تعريف الفكر:

أ/ التّعريف اللّغوي:

من الفعل الثّلاثي (فكّر)، الفاء والكاف والرّاء أصل واحد، يدلّ على تردّد القلب في الشّيء، يقال تفكّر إذا ردّد قلبه معتبرا.²

ب/ التّعريف الاصطلاحي:

"جملة النّشاط الدّهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة، وهذا هو المعنى الذي قصده الفلاسفة بقولهم: "أنا أفكّر، إذن أنا موجود"³، والعلاقة التي تربط اللّغة بالفكر هي علاقة متينة وطيدة في الفكر، يرى في اللّغة صورا مختلفة تعبّر عن ماهيته، واللّغة تبحث عن الفكر عن أفعال عقلية معادلة لها.

¹ - ينظر: أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، ص 35.

² - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللّغة، ج 4، ص 446.

³ - مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الفلسفي، ص 137.

انتقينا من الديوان خمسة أفعال للبحث في دلالاتها فيما يخصّ هذا الحقل:

1.1 اتفكر:

على وزن (اتفعل)، وأصل الفعل (فَكَرَ) بوزن (فَعَلَ) بفتح العين في الفصحى، زادت همزة الوصل والتاء وضعفت العين في اللهجة، و "التفكر اسم التفكير وهو التأمل ومن العرب من يقول: الفكر الفكرة، والفكرى على فعلى اسم، هي قليلة"¹.

وفكر في كذا، يفكر، فكرا: أعمل العقل، ورتب بعض ما يصل به إلى المجهول وفكر في مشكلة ما، أعمل عقله ليتوصل إلى حلّها، فهو مفكر.²

والفكر أيضا النظر في عواقب الأشياء للوقوف على حقائقها.

يقول "المتنبي" في ديوانه:³

لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى... حَسَنَ الَّذِي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ

والفكر النظر والرؤية، والفكرة هي الصورة الذهنية لأمر ما، وقوة موصلة للمعلوم بجولانها في العقل، يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾⁴ ٢١٩، ويقول أيضا: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾⁵.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 39، ص 3451.

² - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 728.

³ - عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1986م، ج 1، ص 337.

⁴ - سورة البقرة، الآية 219.

⁵ - سورة المدثر، الآية 18.

وقال بعض أهل الأدب: "الفكر مقلوب من الفك، لكن يستعمل في المعاني وهو فك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها".¹

جاء الفعل (اتفكر) في ديوان "بن خلّوف" بصيغ عديدة في أربعة عشر موضعا منها قوله:²

لله توب يا بُو نَادِمٍ... واتفكر القبر عَذَابُهُ يَرْجَاكَ

ويقول في نظم (ألف استمثلوا كلامي):³

أَلْحِي مِنَ الْعِبَادِ لَا بَدَّ أَنْ يَمْضِيَ... واتفكر المَوْتِ يَا صَدِيقَ أَرَعَى بِأَلْكَ

ويقول أيضا في نظم (الهارب قط ما ينام):⁴

يَا عَيْبِي لَا تُرْقِدِي نَوْحِي بِبِكَ... وَافْتَكِرِي لَيْلَةَ الدِّفِينِ

وفي قصيدة (بسم الله نبتدا القصيدة)، يقول:⁵

تُفَكِّرُ عِنْدَ ذَلِكَ لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ... وَحَيَاتُ كُبَّارٍ فِي تَخُومِ النَّيِّرَانِ

وفي نظم (الموت لا غنى تدركني)، يقول:⁶

مَا أَقْوَاكَ رَاقِدَةً يَا عَيْبِي... مَا تَفْتَكِرِي رَحِيلَكَ وَالرَّقْدَةَ فِي التُّرَابِ

¹ - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 3، ص 246.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 176.

³ - المصدر نفسه، ص 60.

⁴ - المصدر نفسه، ص 153.

⁵ - المصدر نفسه، ص 121.

⁶ - المصدر نفسه، ص 138.

وفي نفس القصيدة يقول:¹

يَا عَيْنَ لَاشٍ مَا تَفْتَكِرِي... سَكَنَانِ الْأَرْضَ وَسَطَ الْحُفْرَةِ

ويواصل قوله:²

يَا عَيْنَ لَا تَنُومِي بَنَّا... اتفكري عَذَابَ الْقَبْرِ

الشاهد فيما ذكر قوله: (اتفكر) و (تفكر) و (اتفكري) جاء الفعل هنا بصيغة الأمر ومكتوبا بألف وصل، ودونها، طلبا للبحث والتّمعّن في نهاية المصير، والتّدبّر في عذاب القبر والرحيل، والتّفكر هنا هو إعمال الفكر والتأمّل الذي يقود لمراجعة النّفس وإعادة إعمال الذّهن في ظواهر الحياة لانتقاء الإيجابيات والتّخلّي عن السّلبيات.

يخاطب الشّاعر عينه في الأبيات قائلا (تفتكري) ويعني بها نفسه والعين هي العين الباصرة التي تدرك حقائق الأمور.

وظّف "بن خلّوف" الفعل (تفتكري) في زمن المضارع المسبوق بالتّفي، ليقف موقف اللائم العادل لنفسه على تقصيرها في التّفكير في خاتمتها وزوالها، وتكرّر ذلك في معظم قصائد الديوان.

وتتوافق دلالات الفعل فيما سبق ذكره، وما ذكر في معاجم العربية، ويخرج الشّاعر معنى الفعل من مدلوله الأصلي المعروف إلى معنى آخر، لا علاقة له به يقول في نظم (سيّد المهاجرين وسيّد الأنصار):³

¹ - المصدر نفسه، ص 139.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 139.

³ - المصدر نفسه، ص 89.

يَوْمًا نَمُوتُ تَدْعُوا لِي بِالِاسْتِغْفَارِ... وَبَعْدَهَا اِفْتَكُرُوا مَدَّاحَ مُحَمَّد

ويقول في قصيدة (لو لا أنت):¹

حَشَا لِلَّهِ يُعَذِّبُهُ بِنَوْعِ الْعَذَابِ... نَفْتَكُرُوا أَمْنِيْنَ كَانَ يَمْدَحُ نَبِيْنَا

وفي قصيدة (اختارك الواحد الأحد) يقول:²

بَاكِي عَلَيْكَ مَا نَصْبُرُ شَيْئًا... وَلَا نَفْتَكِرُ حَبِيبَ غَيْرِ أَنْتَا

الشّاهد في الأبيات قوله (افتكروا) فعل أمر موجه إلى جماعة المخاطبين و(نفتكروا) فعل مضارع منسوب إلى جماعة المتكلّمين، و (نفتكر) هو (أفتكر) فعل مضارع خصّص لضمير المتكلّم وهو الشّاعر، حملت دلالة الفعل بصيغته المختلفة معنى التّدكّر: تذكّر الشّاعر "بن خلّوف" والترحم عليه بعد مماته، وذكر الشّاعر نفسه للرّسول عليه الصّلاة والسّلام والتّفكير فيه.

والرّباط بين التّفكير والتّدكير هو إعمال الفكر، وجولان العقل والخاطر في الماضي البعيد منه أو القريب للوقوف على حادثة من الحوادث، أو شخص من الأشخاص.

2.1 علم:

أصله من الفعل الثلاثي الصّحيح (عَلِمَ) يعلم علما، والعلم نقيض الجهل، وهو "إدراك الشّيء بحقيقته، وذلك ضربان أحدهما إدراك ذات الشّيء، والثّاني الحكم على الشّيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه"³، ويقال: علمت الشّيء وتعلّمته لقول "الأصمعي"⁴:

¹ - المصدر نفسه، ص 71.

² - المصدر السابق، ص 75.

³ - الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 343.

⁴ - أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الحنبلي، المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، ص 498.

تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَا طَيْرٌ إِلَّا... عَلَى مُتَطَيَّرٍ وَهِيَ التَّبُور

وعَلَام وعَلَامَة للحكيم إذا بالغت في وصفه بالعلم، وعلمت كذا أعلمه علما بمعنى عرفته: وعَلَّمَ بوزن (فَعَّل) تفيد التّكثير في الفعل¹، والمبالغة في العلم، والعلامة هي السّمة والميزة والعَلْمُ شيء ينصب في الفلوات تهندي به الضالّة، يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾²، أي أدركها ووقف على حقيقتها، "فجعل له قوّة بها نطق ووضع أسماء الأشياء وذلك بإلقائه في روعه"³، وهو المراد من قوله تعالى (عَلَّمَ) ومن ذلك تعليم الكتابة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾⁴.

يتكرّر الفعل (عَلَّمَ) بصيغ عديدة في ديوان "بن خلّوف" دالّا على نفس المعاني الموجودة في الكتب العربية.

يقول الشّاعر في قصيدة (الموت لا غنى تدركني):⁵

نتوسلوا بِرَبِّ الْكَعْبَةِ... عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا لَمْ يَعْلَمْ

إنّ الشّطر الثّاني مأخوذ من قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁶، و (عَلَّمَ) بمعنى شَرَّفَ الله تعالى الإنسان بالعلم وكرّمه به، فكان علما ذهنيّا، وعلما لفظيّا رسميّا بالكتابة واللّسان، يعرف بالبيان⁷، و (لم يعلم) لم يكن يعرفه من قبل.

¹ - ينظر: أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، ص 34.

² - سورة البقرة، الآية 31.

³ - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج 3، ص 112.

⁴ - سورة العلق، الآية 04.

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 140.

⁶ - سورة العلق، الآية 04.

⁷ - ينظر: إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلّد 14، ص 398.

وفي نظم (محمد خير الأنام) يقول "بن خلّوف"¹:

عَلِمَنِي فِي غَسِيقِ الدَّجَا... نُصَلِّي عَلَى نَبِيِّكَ

عَلِمَنِي مَدْحُ إِتْهَامِي... يَا مَنْ لَا عَيْنَهُ تَنَام

الشّاهد في قوله (علّمني) فعل ماضٍ منسوب لضمير المتكلّم، ومعناه العلم بالعبادات والعمل بها: و (علّمني) في البيت الثاني هو تعليم المدح كتابة ومشافهة، ومن هذا المعنى الأخير قول الشاعر في قصيدة (إلّا وجه الحبيب غاب):²

عَلِمَنِي مَدِيحُ الرَّسُولِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ... وَأُحْشِرُنِي فِي كَفَالَةِ أَحْمَدَ مُرَادِي

والشّاهد (علّمني) بمعنى: وجهني ذهنيًا إلى خبايا النّظم، وطرق التّأليف فيسّرت عليه، وهو علم ذهني يُعمل العقل، ويقع على حقائق لغة الشّعر فيسهل قرضه، ومن جهة أخرى جعل في لسانه فصاحة القول ففقه كلامه، وفصح لسانه.

وبنفس المعنى يقول في نظم (الموت لا غنى تدركني):³

أَرْحَمُ وَالِدِيَّ وَأَشْيَاخِي... وَأَرْحَمُ جَمِيعَ مَنْ عَلِمَنَا

وفي قصيدة (أويك راه علم شيي):⁴

أُويَاكَ * رَاهَ عِلْمَ شَيْيِّي فِي رَاسِي... وَابْنُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ مِنْ صَارَ رُخَامَةَ

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 84.

² - المصدر السابق، ص 114.

³ - المصدر نفسه، ص 145.

⁴ - المصدر نفسه، ص 173.

و (عَلَّمَ) على وزن (فَعَّل) فعل ماضٍ من العلامة، وهي الاسم والإشارة والدليل ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام هو الطابع الذي ميّز "بن خلّوف" عن شعراء زمانه وهي الختم الذي رافق الشاعر في مسيرة عمره حتّى بعد أن أدركه المشيب.

وجاء الفعل (علم) بمعنى العلم بالشيء، والعمل به، يقول الشاعر في قصيدة (نبتدا الكلمة):¹

كَأَنَّهُمْ مَا عَلِمُوا فِي الرُّومِ جِيزَةً... * فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُحَجَّلِينَ

الشاهد (علموا) أي (علموا) بمعنى توضّحوا الصّواب بجهدهم في سبيل الله بما ملكت أيماهم.

3.1 نسوا:

من الفعل الثلاثي (نسي) (ينسى)، نسيًا ونسيانا ونسوة ونساوة ونساوة، والنسيان ضدّ الذكر والحفظ²، وترك وغفلة لما استودعه الإنسان في قلبه وذاكرته، وقد يكون عن قصد أيضا، والنسيان عاهة تصيب البعض وتنشأ عن اضطراب شديد في الحياة العقلية بسبب القلق أو الصّراع النفسي، فتسبّب فقدان الذاكرة.³

و "النسي في كلام العرب: الشّيء المطروح، ومنه قيل: نسي الشّيء من باب (فرح) ذهل عنه أو عن ذكره"⁴، وقد يراد به التّرك بأمر وطلب، كما في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 163.

² - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 49، ص 4417.

³ - مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 946.

⁴ - نجاة عبد العظيم الكوفي، أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م، ص 139.

نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا¹، ويقول أيضا: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾²، أي تركوا أوامر الله تعالى فتركهم في جهنم خالددين.

ويكون النسيان بأمر وطلب، كما يأتي عن إرادة ورغبة في التخلي عن أمر وتركه، لقول "المتنبي"³:

نَسِيْتُ وَمَا أَنْسَى عِتَابًا عَلَى الصِّدِّ... وَلَا حَفْرًا * زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْحَدِّ

وبنفس المعنى ما قاله "بن خلّوف" في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):⁴

الرِّيحُ كَثِيرٌ وَالْعِبَادُ رَاهَا حُبْنًا... نَسُوا مِفْتَاحَ بَابِ جَنَّةِ رَضْوَانِي

ارتبط الفعل (نسوا) في البيت بالابتعاد عن الدين، وترك تعاليمه وأحكامه، ونسيان العبادة.

وفي قصيدة (ابقاوا بالسلامة) يأتي ذكر الفعل (نسى) بمعنى آخر يقول:⁵

وَاللَّهُ الْخُلُوفِيُّ مَا هُوَ يَنْسَاكُمْ... هَذِهِ التَّالِيَةِ فِي الْوَحْيِ الْمَحْتُمَةِ

وجه الشاعر كلامه لجملة أحبائه وأقرانه نافية نسيانهم، مما يوجب تذكّرهم والشاهد (ينساكم) فعل مضارع سبق بنفي (ما هو) بمعنى (لن) النافية الناصبة للأفعال، وذلك تأكيد لما يخالف الفعل ويناقضه في معناه، فالنسيان هنا أمر مستبعد غير وارد، والمؤكد عليه التذكّر والتفكير في عشيرة الشاعر وأهله.

¹ - سورة البقرة، الآية 106.

² - سورة التوبة، الآية 67.

³ - عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ج 2، ص 161.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 57.

⁵ - المصدر نفسه، ص 90.

4.1 نقرأ:

أي (أقرأ) في الفصحى من الفعل الثلاثي (قرأ)، ولا يقال (قرأ) إلا لما نظر فيه من شعر أو حديث، وقرأ فلان قراءة حسنة، فالقرآن مقروء، وأنا قارئ¹، وسمي كذلك "لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك"²، وقرأ القرآن: لفظ به، وقرأ عليه السلام يقرؤه عليه، وأقرأه إيّاه: أبلغه، يقول الشاعر "صريع الغواني" في ديوانه:³

قَرَأَ السَّلَامَ عَلَى قَبْرِ تَضْمُنِهِ... مَاذَا تَضْمَنَ مِنْ جُودٍ وَأَيْسَارٍ

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (احسن ما يقال عندي):⁴

أَعُوذُ بِاللَّهِ نَقْرًا... نَخْتِمُ بِالْقُرْآنِ فَاهُ

ومعنى البيت مستوحى من الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾⁵

5.

والفعل (نقرا) هو (أقرأ) في الفصحى بمعنى: أتلوا القرآن، وبنفس المعنى وظّف الفعل في نظم

(بك طابت الأثمار):⁶

لِيكَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ مَعَ الْأَمِينِ جَبْرِيلَ... قَالَ يَا مُحَمَّدُ خُذِ الْكِتَابَ واقرا

¹ ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 369.

² أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 79.

³ شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن وليد الأنصاري، تح: سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ط 3، ص 33.

⁴ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 42.

⁵ سورة التحل، الآية 98.

⁶ ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 01.

يأخذنا البيت إلى حادثة نزول الوحي أول مرة على الرسول عليه الصّلاة والسّلام، وهو في غار حراء يتعبّد، فأتاه جبريل قائلاً: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾¹.

ويقول "بن خلّوف" في قصيدة (الموت لا غنى تدركني):²

وَالصَّالِحِينَ وَالْأَوْلِيَا... وَجَمِيعَ مَنْ قَرَأُوا كِتَابَهُ

(قراوا) هو الفعل الماضي (قرؤوا) في الفصحى، بمعنى تلوا القرآن، ممّا يلاحظ في الأبيات السابقة اقتران الفعل (قرأ) بالمصدر (القرآن) تعريزا لمعنى تتبّع كلماته الشريفة نظرا ونطقا، وقراءة القرآن هي تلاوته.

وفي قصيدة (ابقاوا بالسلامة)، يخاطب "بن خلّوف" حفظة نظمه، لقراءة أشعاره واستعراض ما حفظوه من قصائده، يقول:³

يَا حَافِظُ النِّظَامِ إِسْمَعْ قَوْلَ الرَّامِي... اقْرَأِ الحِزَابَ مِنَ الْجَامِيِّ وَالْمَلْجُومِ

والشّاهد فعل الأمر (اقرا) أي (اقرأ) في الفصحى بمعنى النطق بالألفاظ.

ويواصل قوله:⁴

وَأَنْتَ يَا أَحْمَدَ ادِّي سَبَّحْتِي... بِهَا إِفْتَكَّرَ لِي وَقْتًا تَقْرَاهَا

¹ - سورة العلق، الآية 01.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 145.

³ - المصدر نفسه، ص 191.

⁴ - المصدر نفسه، ص 192.

(تقراها) هو الفعل المضارع (تقرأها)، من قراءة الذّكر والتّسبيح، والسّبحه هي الحُرزات المنظومة للدّعاء وذكره تعالى، وهي العائد الذي أشار إلى معنى الفعل (تقرأها).

خاتمة

من دراستنا لجملة من المفردات المعجم اللّهجي لديوان "سيدي الأخضر بن خلّوف" والبحث في الجانبين التّظري والتّطبيقي، اتّضحت لنا أهمية دراسة اللّهجة وعلاقتها الوطيدة بالمعجم وسجّلنا التّناج التّالية:

1/ عكس ديوان الشّاعر شخصيته التي تجسّدت في جانبين:

أ/ جانب متعلّق بالسّماء ووصفها وذكر النّجوم والسّحاب والمطر والتّغّي بجمال الكواكب وانقلابات الطّبيعة، وكان ذلك منطلقا للتّدبّر في خلق الله تعالى وقدرته الجليلة، ممّا ولّد علاقة دينية قويّة، ربطت "بن خلّوف" بالمولى عزّ و جلّ، فهو دائم التّضرّع إليه تعالى، معترفا بذنوبه، آملا في مغفرته وعفوه، لائما نفسه على التّقصير في أداء الفرائض والواجبات، فلا يجد ملاذّا غير شفاعة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام الذي أغرقه الشّاعر بمدحه والصّلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم، ووصفه والتّعبير عن حبّه له والتّدكير بالجزاء والعقاب، مرغبا في الأوّل، محدّرا من الأخيرة.

ب/ جانب متعلّق بالأرض بذكر الهوام والوحوش ووصف البطاح والصّحراء والجبال والبحر والحيتان والأشجار والعصافير، فلم يترك "بن خلّوف" مظهرا من مظاهر الطّبيعة الجميلة إلّا ووقف عنده متغنّيا بجماله، مصليا على خاتم المرسلين عدد الكون وما فيه.

ترجم الدّيوان علاقات الشّاعر الاجتماعية العديدة التي ربطته بأهله وأولاده وشيوخه وبني عشيرته، والأحباب والأصحاب وجيرانه وجملة اللّائمين العاذلين، ولم يبد اهتماما إلّا لوالدته التي طالما اعترفت بفضلها عليه، وزوجته طالبا لها الرّحمة والمغفرة.

لم يهتم "بن خلّوف" بمدح المرأة عموما في ديوانه، لأنّ شغله الشّاغل كان مدح الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وإبراز حبّه له، والتّمسك برسالته الشّريفة، وذلك ما يعكس جانبا دينيا قويا في شخصية الشّاعر، ويتّضح ذلك أيضا من خلال صلته برجال الدّين الصّالحين، والأئمّة العلماء ورواة الحديث الشّريف، ومن خلال علمه بالقصص القرآني والوقوف على معجزات الرّسل والأنبياء،

واستعانته بمعاني الآيات الكريمة لتعزيز أفكاره وإبلاغ مراده، نستخلص تفقّه الشّاعر بالدين وعلمه بالتفسير.

2/ إنّ ديوان "بن خلّوف"، ملخّص للحضارة التي عاش فيها الشّاعر، ومرآة للبيئة التي تواجد فيها، بجميع مظاهرها الطّبيعية والاجتماعية والثّقافية والدينية وحتى السّياسية منها.

ويّضح ذلك من خلال معجمه الثّري المنوع الذي ضمّ:

ذكر الرّسل والأنبياء والصّحابة الكرام والعلماء الصّالحين، مثل "أبو بكر الصديق"، "الحسن" و "الحسين"، سيّدنا "عيسى" عليه السّلام، "أبي هريرة" رضي الله عنه.

التّذكير بفرائض الإسلام والحثّ على أدائها على أكمل وجه، فذكر: الصّلاة والصّوم والحجّ والزّكاة.

ذكر أدوات القتال والترغيب في الجهاد كالسكّين والسيف والقوس والشّلية والبطاش والسّهام.
ذكر وسائل الكتابة والتّعلّم (كالقلم والدّواية والقرطاس)، ومجالس العلم، ممّا يدعوننا إلى التّيّين بوجود كتابين.

ذكر وسائل الإضاءة كالمصباح والمشعال.

ذكر وسائل الشّرب كالكأس والكوز وأدوات الاستعمال اليومي كالمفتاح.

ذكر وسائل الرّينة كالذهب والفضّة والمرجان والياقوت.

ذكر اللّباس وغطاء الرّأس كبرانيس الصّوف والعمامة والشّملة، وهي مظهر من مظاهر العروبة.

ذكر وسائل الطّرب كالرّباب والدفّ.

كما ذكر البطاح والأراضي والأزهار والحجر والهضاب.

ذكر حيوانات تلك الطبيعة كالفرس والإبل والجمال والضفادع والحرباء والطيور كالغراب والحمام وغيرها.

ذكر الزهور كالنعمان والورد والجلنار والياسمين.

ذكر الفاكهة كاللّيم والليمون.

ذكر البستان والجنان والحديقة.

ذكر عملة ذلك الزمن وهي الدينار، كما وفق على المكايل والموازين التي استعملت آنذاك كالسنجة والميزان.

قوله: (يا حفاظ)، (يا سامعين)، (يا جالسين)، يشير إلى مجالس الأدب والحلقات التي كانت تقام آنذاك، يتم فيها تلقين أشعاره مشافهة عن طريقة الإصغاء والحفظ أو كتابة، كما تمت الإشارة إليه سابقا.

وقوف "بن خلّوف" على الأحداث السياسية التي عرفتها الجزائر إبّان الغزو الإسباني لها، يعكس حبّ الشاعر لوطنه، ووطنيته الفدّة التي مرّت شخصيته، ويقودنا إلى اعتبار ديوانه مرجعا يعتمد عليه في الاطلاع على بطولات الجزائريين ومعاركهم، خاصّة وأنّ المدوّن لها شاهد عيان، نقل الحدث بدقائقه، فقدّم لنا مرجعا تاريخيا هامّا لفترة يعتمدها الغموض لقلّة المصادر المؤلّفة فيها، أمّا فيما يتعلّق بلهجة الديوان فنشير إلى جملة انطباعات:

ذكر جملة أمكنة وجهات لمدينة مستغانم كمزگران والصّور، كما أشار إلى أماكن مقدّسة كمكّة والمدينة المنورة وغيرها.

قادتنا دراسة اللهجة إلى الرجوع لأصول اللّغة نفسها، وإنّ بين المجالين رباط وثيق رغم بعض الاختلافات في شكل الكلمة ونطقها، أمّا المعنى فيبقى واحد في كأيّ منهما، ويتّضح ذلك في كلّ فصول البحث، سواء في الأسماء أو الأفعال.

ففي الأسماء قوله: النَّحْلُ وفي اللّغة (النَّحْلُ)، (لبريز) في اللّهجة هو الإبريز في الفصحى وغيرها.

وفي الأفعال نذكر (جاني) في اللّهجة هو الفعل الماضي جاءني في الفصحى و (يفعل) هو الفعل المضارع (يقول) في الفصحى والأمثلة كثيرة في هذا، وأمّا الكلمة اللّهجية التي لم نجد لها أصولاً في الفصحى فعددها قليل جداً، نذكر:

(لا غنى) في اللّهجة بمعنى لا بدّ في الفصحى.

(لبدا) في اللّهجة بمعنى دائماً في الفصحى.

(شايين) في اللّهجة بمعنى شيئاً في الفصحى.

(داك) هو الفعل أخذك في الفصحى.

(واني) هو الفعل تهيأ واستعدّ في الفصحى.

(مزروبا) في اللّهجة بمعنى بسرعة في الفصحى.

(لمراس) في اللّهجة هي المعركة في الفصحى.

(شوف) في اللّهجة هو الفعل انظر في الفصحى.

(بغيت) في اللّهجة بمعنى أردت وفي الفصحى بغي بمعنى ضلم.

(قسها) في اللّهجة هو الفعل إرمها في الفصحى.

(انعيط) في اللّهجة هو الفعل ينادي في الفصحى.

ومن بين الأفعال المذكورة في ديوان "بن خلّوف" ذات الأصول في اللّغة العربية مع تماثل في الصّيغة واختلاف في المعنى الفعل (بغيت) ذي الأصل الثّلاثي (بغي)، (بغا) الذي يراد به (اعتدى)، (ظلم) في الفصحى، أمّا في اللّهجة فيعني (أراد) و (رغب في).

إنّ الملاحظ في حقل الأسماء بأنواعها، وجود تداخل في الحقوق، ممّا يجعل الدّلالة المعجمية تخضع لتكرار الأسماء في أكثر من حقل، فالمسمّيات مثلاً هي ذوات حسية وتدرج في حقل الجماد أيضاً في الدّوات المقيسة التي تضمّ الإنسان والحيوان والنبات والجماد.

كما نجد اللّيم، أي ثمرة اللّيمون التي تنتمي لحقل الشّميات لرائحتها العطرة، ونجدها أيضاً في الدّوقيات وكذا في حقل التّبات.

ونجلب على حقل الأفعال الزّمنية المضارعة والأمر، لأنّها الأنسب للطلب والدّعاء والرّجاء، أمّا الماضي فيوظّفه "بن خلّوف" للقصّ القرآني، وذكر وقائع وأحداث تاريخية ودينية أيضاً.

وتكثر الصّيغ الفعلية الثّلاثية المفتوحة العين، لأنّها الأصل في الماضي، ويقف "بن خلّوف" موقف المعظم لنفسه في استعماله للضمير (نحن) بدل (أنا)، كقوله: (نزهي) و (انزور) وغيرها وذلك شأن اللّهجات الجزائرية في استعمالها للأفعال.

كما لاحظنا وجود الزّمن المبني للمجهول وصيغته موافقة لما هو عليه في الفصحى، مع تطابق في المعنى أيضاً كقوله: (يقال) فعل مضارع مبني للمجهول.

وسجّلنا اختلافاً في الزّمني الماضي والمضارع في لهجة الدّيون، لولا السّياق الذي ميّز بينها، ومن ذلك نذكر:

(ابعثني) جاء في سياق الماضي وأمره (ابعثني) أيضاً.

(أصنّت) جاء في سياق المضارع وأمره (اصنّت) أيضاً.

(اسمع) جاء في سياق الماضي وأمره (اسمع) أيضا.

وهذه الظاهرة كثيرة الانتشار في اللهجة الجزائرية.

قادتنا قراءة الديون ودراسة لهجة إلى التعرف على بيئة مدينة مستغانم بمظاهرها الأدبية والثقافية والسياسية والدينية والاجتماعية أيام الأتراك.

من خلال دراستنا للهجة الديوان، تمكنا من التماس تداخل بين اللغة العربية اللغة الأخرى فوجود ألفاظ عربية عديدة ذات أصول فارسية أو إسبانية أو حتى عربية وغيرها، وهذا ما سمي بالتداخل اللغوي.

استغينا عن وضع ملحق يحصر المواد المدروسة وغير المدروسة منها، لأن إدراجه يستلزم حجم كبير، فكثر الأسماء وتشعب دلالاتها وتعدّد الأفعال وتنوع صيغها، وقف حائلا دون ذلك، فقد عدت أكثر من ألف لفظ بين اسم وفعل، ومن هذا المنطلق نشير أنّ دراسة الأسماء وحدها تستحقّ بحثا مستقلا كدراسة الأعلام في ديوان "بن خلّوف"، أو اسم الفاعل في الديوان وغيرها.

كما يحتاج حقل الأفعال إلى بحث منفرد كتناول الفعل الماضي في ديوان "سيدي الأخضر بن خلّوف"، أو الأفعال في الديوان وغيرها.

ولابدّ أن نشير أنّ قصائد الديوان ضمت أغراضا شعرية متنوّعة، يمكن للباحث أن يتخذ منها موضوعا لبحثه.



ملحق البحث

أولاً: حياة سيدي الأخضر بن خلّوف، وشعره.

1 / نسبه:

هو شاعر الدّين والوطن، أمير المرابطين، المتصوّف المجاهد القائد، مآدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، سيدي الأخضر (الأكل) * بن خلّوف بن عبد الله بن خلّوف¹ بن عيسى الشّريف الإدريسي المغراوي²، ينحدر من السّلالة الشّريفة، ويرجع نسبه إلى المولى إدريس الأكبر رضي الله عنه³، ويؤكّد ذلك بنفسه قائلاً:⁴

اللّهُ يُرِحِّمُ قَائِلَ ذُو الْأَيْتَاتِ... لِكَحَلٍ وَاسْمَ بَابَاهُ عَبْدَ اللَّهِ
الْمَشْهُورَ أُسْمُهُ فِي الْأَنْعَاتِ... مَغْرَاوِي جِدَّهُ رَسُولَ اللَّهِ
وَأُمَّهُ جَاتِ مِنَ الْقُرَشِيَّاتِ... الْيَعْقُوبِيَّةُ لَا لَا كُؤَلُهُ

* - تمّت توضيح ازدواجية التّسمية فيما سبق ذكره.

¹ - ينظر: منشورات جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلّوف، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، د ط، ج 1، ص 20.

² - ينظر: محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف شاعر الدّين والوطن، نشر ابن خلدون، تلمسان الجزائر، د ط، ص 23.

³ - المصدر نفسه، ص 24.

⁴ - منشورات جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلّوف حياته وقصائده، ص 24.

يفتخر الشاعر بكونه أحد أحفاد الرسول عليه الصلاة والسلام، كيف لا وهو بن الشريف
نسبا لالا كله (خولة)* بنت سيدي يعقوب الشريف* الذائع الصيت، الذي قيل في شهرته:¹

فَصَلُّ وَمُسْتَعَانِمُ فِيهَا بَنَوْ... يَعْقُوبٌ مِنْهُمْ سُويِدَ بَيْنُوا

ينحدر أصل "بن خلّوف" من قبيلة (مغراوة) المغربية العريقة، نسبه إلى "مغراوة بن بصلتين بن
مسرا بن زكرياء بن ورسيك بن ألدريت بن جانا"²، وهم أهل نفوذ لا يضاهي وأصحاب السلطان
والجاه في المغرب.

وبتعاقب السنون انتقلت ولاية المغرب بني أمية لبني العباس، فجار هارون الرشيد في حقّ
النسبة الإدريسية جورا عظيما، وأراد قطع دابهم، فمن الشرفاء الذين هربوا منه، إلى المغرب الأقصى:
مولانا إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن فاطمة بنت الرسول
صلّى الله عليه وسلّم³، واستقرّ بها أمدًا بعيدا، إلى أن وافته المنية، مخلفا إدريس الولد الذي شبّ على
خطى والده، وتقلّد زمام الحكم، وكان له من الذرية الصالحة اثني عشر ولدا من أشرف النسب،
منهم: (عيسى) الذي حكم سلا، وداوود الذي أخذ تلمسان وما جاورها، فسكنوا بلادهم، وعمروا

* - اختلفت تسمية والده سيدي الأخضر ورد ذكرها باسم (خولة) في الديوان الذي جمعه الغوثي في قوله في قصيدة (قصّة
مزغان)، ص 187.

* - يوجد ضريح هذا الوالي الصالح بجمال سيدي موسى، بالقرب من منطقة عشعاشة ولاية مستغانم.

¹ - عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي حشلاف، كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية،
تونس، 1929م، ص 102.

² - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، منشورات، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج 7، ص 1971م.

³ - ينظر: محمد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة الشباب، مصر، 1349
هـ، ص 06.

بها وانتشرت بذلك سلالة الأدارسة في إفريقيا وما جاورها، مخلفين أئمة وعلماء دين وملوكا يشهد لهم التاريخ.¹

وهذه سلسلة أصوله "حسب ما ذكرها الإمام السيوطي (رضي الله عنه): وهو عيسى بن الحسن بن يعقوب الشريف بن عبد الله بن عمران بن صفوان بن يسار بن موسى بن سليمان بن موسى بن عيسى بن إدريس الولد بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن البسيط بن علي كرم الله وجهه".²

قضى حياته مادحا رسول الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، مجاهدا بالسيف والقلم في سبيل إعلاء راية الإسلام، لتوافيه المنية رحمة الله في أوائل القرن العاشر الهجري، عن عمر يناهز المئة وخمس وعشرين سنة، مرت في التوسل لله سبحانه وتعالى، وهو ما وضّحه في قصيدته (بقاوا بالسلامة):³

جَوَزْتُ مَيًّا وَحَمْسَةَ وَعَشْرَيْنِ حَسَابٍ ... وَنَمِيتُ مِنْ وُرَا سِنِّي سِتَّةَ إِشْهُورٍ

وفي غياب المعلومات الدقيقة عن تاريخ ميلاده ووفاته، نشير إلى ما جاءت به جمعية آفاق مستغانم: أنّ هناك من اجتهد وقال أنّ "سيدي الأخضر" ولد سنة: 1492م الموافق لـ 897هـ، وتوفي سنة: 1613م الموافق لـ 1022هـ⁴، في حين لم يؤكّد "محمد بن الحاج الغوثي بخوشة" ذلك، واكتفى بقوله أنّه عاش في القرن التاسع للهجرة.

¹ - محمد أبو راس الناصري، فتح الإله ومنتّه في التحدّث بفضل ربّي ونعمته، حياة أبي رأس الناصري الدّانية والعلمية، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص 107.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 24.

³ - المصدر نفسه، ص 193.

⁴ - منشورات جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلّوف حياته وقصائده، ص 22.

لنا أن نقف على ثلاث تسميات لهذا الرجل العظيم، جاءت على لسانه في ديوانه:

أ/ تسميته بسيدي "لكحل" بن خلوف:

تعود حقيقة التسمية إلى ما ترويه الأجيال عن هذا الرجل الصالح، لم يرزق والداه بالذرية الصالحة مدّة طويلة، فأخذت أمّه تتوسّل إلى الله سبحانه وتعالى، وتتضرّع إليه بالدعاء والصلاة، وزيارة الأولياء والصالحين تبرّكا بهم، وفي إحدى زياراتها "للشيخ الصالح سيدي محمد لكحل... نذرت على نفسها أنّه لو منّ الله عليها بولد لسمّته لكحل"¹، وذلك ما تحقّق بعد سنوات من الصبر والدعاء.

ويبيّن "بن خلّوف" تسميته بـ "الأكحل" في عدّة قصائد من ديوانه، نذكر ما جاء في قصيدته (قصّة مزگران):²

اللَّهُ يُرِحُّمُ قَائِلَ لُبَيَاتٍ... الْأَكْحَلُ وَاسْمُ بُوهِ عَبْدَ اللَّهِ

ويقول في منظومته (إذا تحيرت من ذنوبي):³

حَشَمَتِ الْهَاشِمِيُّ حَبِيبِي... أَنَا الْوَالِعُ بِالْمَدِيحِ الْأَكْحَلِ

وفي قصيدة (قم صلي) يقول في آخر مقطع:⁴

¹ - المرجع السابق، ص 22.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 187.

³ - المصدر نفسه، ص 181.

⁴ - المصدر نفسه، ص 04.

طَلَعَتِ النَّجْمَةُ فِي سَمَائِهَا رَايِدَةً ضِيَاهَا... رَأَى الْاَكْحَلَ يَتَمَنَّاهَا حَارِمُ النَّوْمِ

يقول "بن خلّوف" في مدحه لخاتم الأنبياء والمرسلين، رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في نظم
(بك طابت الأثمار):¹

يَا أَحْمَدَ يَا مُحَمَّدُ قَالَ طَالِبِكَ الْفَصِيحِ... إِنَّ الْخُلُوفِيَّ الْأَكْحَلَ أَيَا الْمُصْطَفَى

وما جاء في قصيدة (ألف استمثلوا كلامي):²

يَا لَإِيْمَ لَا تَلُوْمُ الْأَكْحَلَ بِالْجَهْرَةِ... إِذَا زَامَ الرَّعْدِ وَزَادَ غَيْمِهِ جَلْجَالِي

ب/ تسميته بسيدي الأخضر بن خلّوف:

أمّا عن اسمه (الأخضر)، "فربّما جعله لخضر بدلا من الأكل للتفاؤل"³، ويذكر "بن خلّوف" رؤية أمّه له في المنام كونها مطوقة بحزام مرصع بأحجار كريمة أخضر اللون في (أحسن ما يقال عندي):⁴

يُكْفَانِي صَدَقِي وَنِيَّةٍ... الْأَخْضَرَ كَيْفَ يَكُونُ حَاطِي

تَسْعَةً وَتَسْعِينَ رُؤْيَةً... وَالْعَاطِي مَا زَالَ يُعْطِي

كَافِي مَوْلَى الْهَدِيَّةِ... وَقَبْلَ لِي مَوْلَى شُرْطِي

¹ - المصدر السابق، ص 102.

² - المصدر نفسه، ص 58.

³ - المصدر نفسه، ص 23.

⁴ - المصدر نفسه، ص 46.

وفي نظم (بك طابت الأثمار) يقول:¹

قَالَ الْأَخْضَرُ مَدَّاحُ الْمُصْطَفَى نَبِينَا... إِبْنُ الْخُلُوفِ الْأَكْحَلِ يَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ

وفي قصيدته (الرّشيد مصباحي) يقول:²

آمِينَ وَ صَادِقٌ... عِنْدَ الْإِسْتِأْذَانِ قُلْ يَا الْأَخْضَرَ أَجِي

وفي (شايين عشت لا بد تندم) ، يقول أيضا:³

مَدَّاحُ النَّبِيِّ بِالْقَاسِمِ... اللَّهُ أَرْحَمُوا الْأَخْضَرَ يَا نَسَاكَ

وفي قصيدة (محمد خير الأنام)، يقول:⁴

أَمْنَعَنِي مِنْ نَارِ حَامِيَةٍ... الْأَخْضَرُ وَاللَّيُّ حَاضِرِينَ

وجاء أيضا اسم "الأخضر بن خلّوف" في قصيدة (لله الحمد زاد فيا):⁵

يُرْحِمُ الْأَخْضَرَ فِي كُلِّ شِدَّةٍ... وَاللَّيُّ يَرْجَا الْمَدِيحُ مَنِّي

أمّا في قصيدة (جفّ المداد) يقول:⁶

¹ - المصدر نفسه، ص 102.

² - المصدر السابق، ص 91.

³ - المصدر نفسه، ص 177.

⁴ - المصدر نفسه، ص 86.

⁵ - المصدر نفسه، ص 95.

⁶ - المصدر نفسه، ص 172.

رَأَهُ بِنَ حُلُوفٍ رَاغِبٌ فِيهِ هَذِي مُدَّةٍ... الْأَخْضَرُ يَمْدَحُهُ لَيْلًا وَنَهَارِي

أما في نظم (أو ياك راه علم شيبي):¹

مَدَّاحٌ نَمْدَحُكَ يَا سَيِّدَ الْأَسْيَادِ... الْأَخْضَرُ مُنْتَظَرٌ فِيكَ زَايِدَ كَرَامَةِ

وفي قصيدته (دقة الحب) يقول:²

الْأَخْضَرُ يَقُولُ كَلِمَةً بِمِيزَانِهَا... مُرْصَعٌ بِالذَّهَبِ شِعْرُهُ وَقَادِي

ويشير الى اسمه (الأخضر) في توسله لله تعالى في أن يرحم والديه، يغفر له ذنوبه، يقول في

نظم (ما في بحر الظلام):³

هَذَا الْمَقْصُودِ فِي ذَا النَّظَامِ... اللَّهُ يُرْحِمُ الْأَخْضَرَ وَيُرْحِمُ الْوَالِدِينَ

وفي (مفتاح خير الا ينفذ):⁴

مِنْ صَابِ الْأَخْضَرِ يَتَغَمَّدُ... فِي ثَوْبِ رَحْمَةِ مَوْجُودِ

وفي نظمه (بسم الله بديت انزمم):⁵

رَحِمَ اللَّهُ عِظَامَ النَّاطِمِ لَا... الْأَخْضَرُ يَا دَوْلَةَ

¹ - المصدر نفسه، ص 175.

² - المصدر السابق، ص 106.

³ - المصدر نفسه، ص 55.

⁴ - المصدر نفسه، ص 82.

⁵ - المصدر نفسه، ص 130.

وفي قصيدة (سيّد المهاجرين وسيّد الأنصار):¹

أَوَاهِ كَانَ الْأَخْضَرُ مَشْغُوفٌ بِالْمُخْتَارِ... اللَّهُ يَرْحَمُهُ قُلُّ يَالِي تَشْهَدُ
يَا كُلَّ مَنْ سَمِعَنِي نُقُولُ مُحَمَّد

وفي (نرغب المعين المبدئي):²

نَبِّغِي تُكَافِي تَمْجِيدِي... قَالَ الْأَخْضَرُ نَاطِمُ الْأَشْعَارِ، يَا الْمُخْتَارِ

ويتغنّى بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم موضحاً أنّ اسمه (الأخضر)، في قوله في قصيدة

(نبتدا الكلمة):³

قَالَ الْأَخْضَرُ الْأَمِيرُ، بِوَرَقِيَّةٍ... نَمَدَحُهُ بِالنَّبِيَّةِ وَاللَّهُ مُرْتَقِبٌ

سمّي "سيدي الأخضر بن خلّوف" باسمي (الأخضر) و (الأكحل)، وقد جعله الأخضر في قصائد أخرى بدلا من الأكحل تفاعلاً، لأنّ اللون الأخضر هو لون الجنة و "قيل أنّه كان فريد أمّه، وخوفاً عليه من العين الحاسدة، سمّته لكحل، بدلا من لخضر"⁴، الذي يحمل في دلالاته معنى الخضرة والحياة والبقاء، وربما فضّله الشاعر لحاجة في نفسه، فكونه متصوّفاً شغوفاً بحبّ الرسول عليه الصلّاة والسلام، أراد أن يكون اسمه دالاً على اتّصاله الرّوحي بخاتم الأنبياء والرّسل، مشيراً أنّه حبّ أبدي يبقى دائماً أخضراً لا يموت، واستناداً على ما في الديوان نرى أنّ اسم الأكحل عكس أحزان سنوات

¹ - المصدر نفسه، ص 89.

² - المصدر السابق، ص 152.

³ - المصدر نفسه، ص 165.

⁴ - المصدر نفسه، ص 193.

من عمره قضاها بعيدا عن مدح سيّد الخلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في قوله في قصيدة (ابقوا بالسلامة):¹

مِنْهَا مَشَاتٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِثْلُ السَّرَابِ... وَاللَّيِّ بَقِيَ مَشَى فِي مَدْحِ الْمَبْرُورِ

ليوضح لنا أنه مهما توسّل إلى الله تعالى وتضرّع، فذلك غير كاف بالنسبة إليه، فسيظلّ ينتظر شفاعَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك ما أكّده في قصيدة (قم صلّي):²

طَلَعَتِ النَّجْمَةُ فِي سَمَاءِهَا رَايِدَةً ضِيَاهَا... رَأَى الْإِكْحَالَ يَتَمَنَّاهَا حَارِمُ النَّوْمِ
وَالصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِهَا الرَّسُولِ طه... شَفِيعُنَا مُحَمَّدٌ يَوْمَ الطَّوِيلِ مَعْلُومِ

ج/ اختلاف تسمية نسبه (بن خلوف، الخلوفي، ولد خلوف، الخلوف):

بيّن "سيدي الأخضر بن خلوف" في عدّة قصائد من ديوانه على اختلاف نسبه، فتارة هو (الخلوفي) أو (بن خلوف) وتارة أخرى (ولد الخلوف) أو الخلوف، يقول في قصيدة (قدر ما في بحر الظلام):³

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ... هَذَا مَا يَعْمَلُ بَنُ خُلُوفٍ فِي كُلِّ حِينِ

وفي قصيدة (لو لا أنت) يقول:⁴

وَاشْهَدُوا لِي شَهَادَةَ الْخَيْرِ نَافِعَةً... قَلُّوا كَانِ هُنَا بَنُ خُلُوفِ الْفُلَانِي

¹ - منشورات جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف، ص 23.

² - المصدر السابق، ص 168.

³ - منشورات جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف، ص 55.

⁴ - المرجع نفسه، ص 71.

أما في (اختارك الواحد الأحد):¹

الَا عَلَيَّ حَمَائِلَ سِتَّةٍ... وَيَكُونُ ابْنُ الْخُلُوفِ السَّابِعِ

وفي قصيدة (محمد راحة العقاب) يقول:²

خَبْرُهُ عِنْدَ الْعِبَادِ تَابٌ... شَيْفَ الْأَفْعَالِ بَنُ خُلُوفِ الْمِرْمَادِي

وفي نظم (بسم الله نبتدا القصيدة) ، يقول أيضا:³

هَذَا مَدْحِيٌّ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي الزُّهْرَةَ... قُلْتُ لِي الْأَخْضَرُ بَنُ خُلُوفِ مَتَهَيِّ

وفي نظم (الموت لا غنى تدركني):⁴

إِغْفِرْ لِابْنِ الْخُلُوفِ الْجَائِي... أَوَاهُ بَنُ خُلُوفِ الْمَدَّاحِ الْيَوْمَ غَابَ

مَا أَقْوَاكَ رَاقِدَةً يَا عَيْنِي

وفي نظمه (ابقوا بالسلامة) يقول:⁵

مِحَالٌ كَالْخُلُوفِيِّ تَوَلَّدَ شَيْءٌ وَالِدَةٌ... غَيْرَ الْعَجُوزِ حَوْلَةَ حَمَلَتْ بِالْجُوفِ

ويقول أيضا في نفس القصيدة:⁶

¹ - المرجع نفسه، ص 77.

² - المرجع السابق، ص 77.

³ - المرجع نفسه، ص 118.

⁴ - المرجع نفسه، ص 125.

⁵ - المرجع نفسه، ص 146.

⁶ - المرجع نفسه، ص 192.

مِحَالٌ كَالْحُلُوفِيِّ تَوَلَّدَ شَيْءٌ وَالِدَةٌ... غَيْرَ الْعُجُوزِ حَوْلَةَ حَمَلَتْ بِالْجُوفِ

ويواصل كلامه ليقول:¹

حَسْرَاهُ يَا الْحُلُوفِيِّ مَا بَقَاتٍ لَكَ فَايِدَةٌ... عَزْرِيْلُ جَاكَ وَأَنْتُ عَبْدٌ مَخْلُوفٌ

ويقول مبيّنا بلاده الأصلية:²

لِحَضِرٍ وَلَدُ الْحُلُوفِ فِي الْمَدْحِ يُوصِي... خَايْفٌ مِنْ كُلِّ مَرْمَدَةٍ

بِلَادَهُ بَعِيدَةٍ فِي الْغَرْبِ الْقَاسِي... وَالْحَلْقُ فِيهِ شَاهِدَةٌ

أفصح "سيدي الأخضر بن خلّوف" عن نسبه في العديد من القصائد التي تركها تروي سجلّ أحداث ذلك العصر، لتحكي لنا عن مسيرة البطل وعن نسبه الشريف، فتارة يسمّي نفسه الأخضر وتارة أخرى الأكل، وبين الأخضر والأكل يسطع الأصل الشريف لهذا الرجل العظيم، فهو من شجرة الخلّوف العريقة أحد أحفاد خاتم النبيين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

3/ طفولته وشبابه:

أمّا طفولته فنستخلصها من خلال ما جاء على لسانه في قصيدة (مقلب القلوب ربّي):³

فِي الْأَوَّلِ كَتَبَ بِالْقِمَاطَةِ... لِبَدَا مَطْرُوحٌ فِي حَجْرِهَا

ويواصل قوله:⁴

¹ - منشورات جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلّوف، ص 193.

² - المرجع السابق، ص 24.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 135.

⁴ - المصدر نفسه، ص 135.

تَمَّ حَالِيُّ بَدَيْتِ نَقْعُدُ... وَبَعْدَهَا رَجَعَتْ نَجْبُو

ولا نظنّ أنّه يمكننا الجزم أنّ الشّاعر عاش يتيما وحيدا مع أمّه¹، لقوله:²

تَرَعَانِي حَتَّى ضَحِيَّتْ نُفْرُزُ... بُوِيَا وَإِخْوَتِي مِنْ أُمَّا

ففي البيت ما يشير أنّ للشّاعر إخوة، ووالد تَرِيّ بن خَلُوف في كنفه.

وفي غياب المصادر والمعلومات الكاشفة عن حياته، نعود لقصائده للاطلاع على أطوار حياته، بيد أنّ الشّاعر لم يعط لفترة شبابه أهمية، وكأنّه أراد لها الطّمس والحجب سوى ما جاء على لسانه في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):³

حَسْرَاهُ يَا الدُّنْيَا كَلِّي مَا كَانَتْ... عَدَيْتُ شُبُوبَ صِغَرِيَّ فِي مَزْغَرَانِ

سَيَفِي مُجَرَّدَةً وَأَنَا نُضْرِبُ فِي الأَعْدَاءِ... وَالنَّاسُ ضَاجِعَةٌ مِنْ زَجْرِيَّ بِالْخَوْفِ

يتّضح لنا من البيتين، أنّ الشّاعر قضى أيّام شبابه في محاربة أعداء الإسلام الذين شكّلوا خطرا على مدينة مستغانم في ذلك الوقت بحملاتهم المتهجّمة المتواصلة.

كما قضاها في طلب العلم لقوله في نظم (الموت لا غنى تدركني):⁴

أَرْحُمُ وَالِدِيَّ وَأَشْيَاخِي... وَأَرْحُمُ جَمِيعَ مَنْ عَلِمَنَا

¹ - منشورات جمعية آفاق مستغانم، ديوان سيدي لخضر بن خَلُوف، ص 25.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 135.

³ - المصدر السابق، ص 191.

⁴ - المصدر نفسه، ص 145.

عاصر "سيدي الأخضر بن خلّوف" عهد الأتراك، وعهد الاستعمار الإسباني الصليبي، ويمتاز زمانه بانحطاط السياسة الداخلية مع وجود ثقافة عربية إسلامية ذات بال¹، وتعود هذه الاضطرابات إلى التّطاحن بين القبائل والسّلطنات، بإعانة الأجنبي عامّة وإسبان الصليبي تحديدا باعتباره عدوّ المسلمين، ممّا فتح ثغرة أمام العدو ليعرب عن مطامعه في الاستيلاء على شمال إفريقيا، الذي تمزقت وحدته وأصبح قبائلا مشتتة (بني حفص، بني عبد الواد، السّعديين).

وفي سنة 1518م شنّ "شارلكان" حملة شرسة للإطاحة بخير الدّين، فوقعت مشادّات ضارية بين المسلمين والمسيحيين، انتهت بهزيمة الإسبان، فعين خير الدّين أحمد بن القاضي على النّاحية الشّرقية، الذي ما فتى أن احتلّ الجزائر وسيطر على كامل ربوعها، فتربّع على كرسي الحكم ما يزيد عن سبع سنوات.

عاش "بن خلّوف" أيام ولاية "ابن القاضي" كما هو مبين في قصيدة (اختارك الواحد الأحد) يقول:²

عُنْدِي شُهَادَةٌ بِنِ الْقَاضِي... نَتْرُكُ لِرُفَاقِي نَوَارًا

ليست شهادة "ابن القاضي" وحدها التي تعترف بشجاعة هذا البطل المغوار، فلا زالت قصائده شاهدة على بطولاته، من خلال الوصف الدقيق للأحداث التاريخية التي وقعت في ساحة القتال، وعلى المعارك التي خاضها دفاعا عن وطنه ومن أجل إعلاء راية الإسلام.

4/ بطولاته:

¹ - المصدر نفسه، ص 23.

² - المصدر السابق، ص 76.

قاد المجاهد الباسل "بن خلّوف": المعركة المعروفة بـ (قصة شرشال)، ومعركة (مزغران) التي ذكرها في قصيدته (قصة مزغران).

أ/ قصة شرشال:

هي المسيرة التي قادها البطل ما بين الجزائر العاصمة ومستغانم ومزغران، مرورا بالبليدة، الأصنام (الشلف حاليا)، المرجى، ومقام سيدي عابد بو عبد الله (قرب واد رهيو) ولاية غليزان: والتي يقول في وصفها:¹

شَابُ رَاسِي مِنْ قُوَّةِ لَيْعَةِ الْحَمَّالِ... مُسَطَّرَيْنِ الْفَرَسَانَ مَاشِيَةً وَجَايَةً
وَالْخُلُوفِيَّ يُنَادِيهِ وَيَسَائِسُ فِي الْبَطْلِ... وَالْعُرْبُ بِسَنَاجِقِ وَالْقَوْمَ غَازِيَةً
فِي جِبَالِ شَرِشَالِ حُطِينَا لِلْقِتَالِ... يُحِقُّ فِي ذَاكَ الْيَوْمِ أَمْرَابًا...

يصف "سيدي الأخضر" حالة جيشه، والمكانة التي احتلها، فقد تقلد مناصب عديدة في السياسة والجيش والمسؤولية، وكلفه السلطان "خير الدين" بالنظر في شؤون القبائل المتضاربة والمتعادية ودعوتهما للتمثل وتكوين صف واحد لمقاومة الصليبيين، مما يبيّن شجاعة وبسالة الرجل دفاعا على أرض العروبة والإسلام ضدّ جحافل الإسبان الكفار²، ويصف في الأبيات التالية حالة الجيش الجزائري، فيذكر أنّهم كانوا عشرين مقاتلا بين قائد ووزير وحكيم يقول:³

¹ - منشورات جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلّوف حياته وقصائده، ص: 31.

² - مقال نشر في الأنترنت بعنوان: سيدي لخضر مئة سنة في مدح المصطفى ومقاومة العزة الموقع:

<http://maktoobblog.com>

³ - منشورات جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلّوف حياته وقصائده، ص 32.

تَبْعُونَا سُؤْلَةَ كُفَّارِ هَامِلَةً... بَقِيَ السَّيْفُ شَالِيًّا وَالْحَرْبُ وَالزَّيْمُ
مَا صَرَى فِي ذِيكَ اللَّيْلَةَ مِنْ جِهَادٍ... كُلَّ فَارِسٍ مَلْتاحٍ فِي دَمِهِ يُعَوِّمُ
مِئَةَ خَمْسِينَ كَافِرًا وَالنَّاسُ شَاهِدَةٌ قَتَلْتَهَا... مِنْ شَنْضاضِ ثَرَايَةِ الرُّومِ

وهو وصف تاريخي دقيق، ما أحوج كتب التاريخ له، خاصة ما تعلق بفترة الحكم العثماني بالجزائر، فقصائد هذا البطل هي شاهد عيان على أحداث ذلك العصر الذي لا يزال غامضاً نسبياً، فيذكر أنه قتل مئة وخمسين رجلاً من الكفار، انتهت المعركة بهزيمة العدو وانتصار المسلمين.

ب / قصة مزگران:

تكلم عنها الكثير من المؤرخين، دارت المعركة بين الإسبان بقيادة "الكونت دا الكويدت" comte d'alcaudete والمسلمين يترأسهم "حسن باشا" نجل "خير الدين"، يقول "سيدي الأخضر بن خلوف" في قصيدته (قصة مزگران):¹

يَا سَايَلَنِي عَنْ طَرَادِ الْيَوْمِ... قِصَّةُ مَزْغَرَانِ مَعْلُومَةٌ
يَا سَايَلَنِي كَيْفَ ذَا الْقِصَّةِ... بَيْنَ النَّصْرَانِيِّ وَخَيْرِ الدِّينِ
اجْتَمَعُوا فِي بَرِّهِمِ الْأَقْصَى... بِجَيْشٍ قُوِّيٍّ جَاوَا مَتَهْدِينَ

جرت الأحداث لما تحرك الجيش الإسباني بقيادة "الكونت دا الكويدت" من وهران، متجهاً إلى مستغانم بجيش عدد 120000 جندي، بالإضافة إلى جماعات كبيرة من الأعراب المرتزقة والمدفعية الضخمة، وكميات وافرة من الذخائر وكذلك عدّة سفن محاذية للجيش تحمل المؤن ووسائل

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 182.

القتال الثقيلة¹، فما كان على المسلمين سوى مهاجمة السفن الإسبانية والاستيلاء على ما فيها من أسلحة ومؤن وذلك ميناء أرزيو.

طالت أيام الحرب، وساءت حالة الجيش الإسباني، لكن حالة المسلمين المجاهدين لم تكن أحسن حالا، بانتشار المجاعة لجأ الطرفان إلى أكل الحشيش والصيد، وجمعوا الحزون أيضا ليقتاتوا منه، وذلك ما جاء على لسان "بن خلّوف"²:

اِحْتَاطُوا بِالْأَمِيرِ شَنْظَاطُوشٍ... بِالشَّيْئَةِ وَالْقَوْسِ وَالبَطَاشِ
يَتَنَادَوْنَ وَتُحْلَفُوا بِجُيُوشٍ... جَيْشُ الْقَنَا الْكَافِرِ الْعَشَّاشِ
يَلْتَقِطُوا بِالصَّيْدِ وَالبَبُوشِ... مَا خَلَاوْ مَنْ فَوْقَ الْبِسَاطِ اخشاش

يأسف المجاهد "بن خلّوف" لهذا المشهد الأليم الذي ألمّ بالمسلمين، ويستنجد بسيّدنا علي كرم الله وجهه ويرجوه أن ينظر لحاله وحالة رفاقه، وما آلت إليه البلاد، يقول:³

اِزْفَعْ رَاسَكَ يَا عَلِيُّ الْمَفْهُومِ... يَا سَيِّدُ الْحُسَيْنِ وَافْطِيْمَةَ
شُوفَ بِلَادِنَا كَيْفَ رَاها الْيَوْمَ... تَسْبِيهَا الْكَفَّارُ ظَالِمًا

وكنتيجة لتفوق قوّات العدو، فقد تمكّنوا من دخول منطقة مزگران القريبة من ولاية مستغانم، محمّلين بالأسلحة والمدافع، والعديد من فرق المشاة من القبائل الغربية، فدخل الطرفان في مواجهة عنيفة، حاول خلالها الإسبان الاستيلاء على المدينة يوم 22 أوت 1558م، لكن دون جدوى.

¹ - منشورات جمعية آفاق مستغانم، ديوان سيدي لخضر بن خلّوف، ج 1، ص 33.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 182.

³ - المصدر السابق، ص 182.

وأمام توتر الأوضاع بين الطرفين، أرسل سگان الولاية رسولا إلى السلطان "حسن بن خير الدين" في العاصمة، طالبين منه التجدة، فجمع المجاهدين من أنحاء مختلفة متجها إلى ساحة الوغى، بعد أن مرّ على ضريح "سيدي عبد الرحمان الثعالبي"، يتبرّك به، ويدعو الله النصر للمسلمين، يصف "بن خلّوف" هذا الموقف في إعجاب كبير مشيرا إلى انضمام الأهالي للجيش:¹

اسْتَعَدَّ السُّلْطَانُ بِالْحَرْكَةِ... صَارَ الْغَيْبُ الْحَقًّا وَنُزْلُ

اسيوعظ فِي طَلْبَتِهِ وَشَكَى... وَمَشَى لِحَرَمِ الثَّعَلِيِّ وَدَخَلَ

وَاسْتَفْتَحَ بِالْبِرِّ وَالْبِرْكَةِ... قَدَّمَ الْمُصْطَفَى وَرَحَلَ

ويقول أيضا في نفس القصيدة:²

فِي أَمْرِهِ جَاتِ الْعُرْبَ إِطْمُوم... سُلْطَانُ عَادِلُ طَاعَتِهِ الْأُمَّةَ

دامت المعركة الحامية الوطيس يومين كاملين، وفي يوم 24 أوت 1558م ضاق درع القوّات الإسبانية، فحاولوا الفرار، وحصرهم المجاهدون من كلّ الجهات، حتّى رجال البحر تركوا سفنهم وشاركوا في القتال البري لحسم الصّراع، شدّد المسلمون قبضتهم على العدو مهلّلين مكبّرين لإعلاء كلمة الحقّ، فقتل على إثرها "الكونت دا الكوديت" أمّا ابنه "دون مارتين Done martine" فكان في عداد الأسرى.³

يصوّر الشّاعر مشهد الخيبة التي مني بها الكفّار بقوله:⁴

¹ - المصدر نفسه، ص 183.

² - المصدر السابق، ص 183.

³ - ينظر: منشورات جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلّوف، حياته وقصائده، ص 37.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 184.

طُلِ الْكَافِرَ لَنْ شَافَ النَّاسُ... حَقَّقَ فِي الْحَيَّةِ مَشَى مَجْدُوبٌ

أَهْلَ التَّدْيِيرِ قَالَ لِلْفِرَاسِ... إِذَا نَعْدُو يَجِيُونَا بِرُكُوبٍ

ثُمَّ نَقْتَالِ الرَّاسِ بَعْدَ الرَّاسِ... حَقُّ الْحَقِّ وَلَا بَقَاتٌ كَذُوبٍ

يشير "بن خلوف" إلى عدد الأسرى الذين تجاوز عددهم تسعة آلاف أسير، وعشرة آلاف قتيل، منهم قادة الجيش ك: "اجوان وبلرنك" الذين قتلا شرّاً مقتل، أما الفارين فتمّ حصارهم تحت أسوار المدينة، ويقول:¹

كَبُرَ لِمِرَاسٍ كُلُّهُمْ مَرِيرٍ... مَاتَ إِجْوَانٌ وَزَادَتِ الطَّغْيَا

أَمَرْنَا زَارِنِي كَرِيرٌ... يَا جَارِي بِلَرْنِكِ فَيَا

ويقول أيضاً:²

خِرْنَاهُمْ لِلصُّورِ ذَاكَ الْيَوْمِ... تِسْعَةُ آلَافٍ بَقَاتٍ مَعْنُومَةٌ

مِنْ حَيْطِ الدَّشْرَةِ لِحَوْضِ الدَّوْمِ عَشْرَةَ آلَافٍ مَشَاتٍ مَحْطُومَةٌ

وأمام هول الواقعة وتساقط قادة الاسبان الواحد تلو الآخر، لم يتمالك (صمويل) أحد القادة الأسرى نفسه، فذرف دموع الحزن والحسرة متمتما بكلمات مبهمة، متأثراً بموت صديقه القائد (فرغنسا)، الذي بحث عنه، وقام بنشل جثته من وسط الموتى ملطخة بالدماء والتراب، وشدها بالحبال لتجرها الخيول شبه بن خلوف المشهد بالذئاب التي تحمل فريستها يقول:³

¹ - المصدر نفسه، ص 185.

² - المصدر السابق، ص 186.

³ - المصدر نفسه، ص 186.

صمريل من ألبكا مهموم... قال كلام وزاد ليه الما
فرغنا بالحبل محزوم... ويعيشوه اذياب الفرمة

ويصف تشوهه جث الكفار بقوله:¹

ومسى الشارب كفته مقسوم... والسنة بالنطح مفرومة
واين النيف الطابعه خرطوم... يتمسى بالقهر مؤسومة

وها هي القبائل التي شاركت في الحرب تجتمع بالسلطان مهتة، مباركة النصر العظيم، ناصحة
إياه بأخذ الحيلة والحذر من غدر الإسبان الذي لا يفي بالوعود، يقول:²

جاوا شيوخ اسويد للسلطان... وفيهم أبو بكر ومحمد
قالوا له يا أمير لا تليان... لا دين إلا دين محمد
استشرح السلطان وزيان... رها قومه الزاهية ترعد

حقق المسلمون النصر، بقيادة الأمير "حسن" ولد السلطان "خير الدين"، الذي أعاد الأمن
والسكينة للبلاد، ووفى بما كان قد وعد به، إذ أقسم على أخذ الثأر منهم، وها هو ذا يعود بغنائم
بعد أن أعطى الروم ضربة قاضية، يقول:³

الأمير حسن يوم مزغران... أخلف التار من العدو تحقيق
رجع لبهجة عاصمة البلدان... بغنائم شتى ونصر لبيق

¹ - المصدر نفسه، ص 185.

² - المصدر نفسه، ص 185.

³ - المصدر السابق، ص 187.

5/ عائلته:

أ/ زواجه:

لازلنا نجهل الكثير عن حياة الولي الصالح "سيدي الأخضر بن خلّوف"، وفي غياب المصادر التي تعرف به استندنا إلى ما جاءت به جمعية آفاق مستغانم فيما يخصّ زواجه، تزوّج "سيدي الأخضر" بـ"قنو*" بنت سيدي عفيف*، يقال أنّها بنت عمّ أمّه كله.¹

ب/ أولاده:

رُزِقَ "بن خلّوف" بأربعة ذكور هم: محمد، أحمد، الحبيب، بلقاسم، وأنثى سمّاها حفصة، جاء ذكرهم في قصيدته (ابقاوا بالسلامة)، وما نلاحظه أنّه سمّى أولاده بأسماء الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من شدّة حبّه له، ويوصي كبيرهم محمد أن يعتني بخيمته، يقول:²

إنت يا محمد اتھلي في خيمتي... إنت كبير داريّ وات مؤلاھا

وقال لبلقاسم:³

إنت يا با القاسم عمم بعمامتي... تضحى لك هيبّة لمن يراها

يأمره بوضع العمامة التي تركها له أبوه لكي تكون له هيبة ورهبة لمن يراه.

* - "قنو" أو "غنو" كما جاء في ديوان سيدي لخضر (جمعية آفاق مستغانم)، ص 28.

* - ولي صالح يوجد ضريحه في مدينة مستغانم بمنطقة سيدي علي غربا.

¹ - جمعية آفاق مستغانم، ديوان سيدي لخضر بن خلّوف، ص 28.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 192.

أمّا أحمد، فيوصيه بذكر الله سبحانه وتعالى والصلاة على رسوله الكريم، تاركاً له سبحته لكي يستعين بها في أذكاره، يقول له:¹

إنت يَا أَحْمَدَ خُذِ اِدِّي سَبَّحْتِي... بِهَا إِفْتَكِرْ لِي وَقْتًا تُقْرَأُهَا

أمّا ابنه الحبيب، فيصف مكانته بقوله (نطفة من الكابدة) مبرزا معزته وحبّه له ويأمره بأخذ الشّملة وبرائيس الصّوف بقوله:²

إنت الْحَبِيبَ وَوَلَدِي نُطْفَةٍ مِنَ الْكَابِدَةِ... خُذْ شَمْلَتِي وَبِرَائِيسَ الصُّوفِ

أمّا حفصة، فجاء ذكرها لما وصى أولاده الذكور بالاعتناء بها، وأن يكونوا سنداً لها في قوله:³

اتَّهَلُوا يَا أَوْلَادِي حَيَّتْكُمْ هَجَالَةٌ... حَفْصَةُ بِنْتُ الْاَكْحَلِ مَدَّاحِ الْبَشْرِ

الْبِنْتُ وَاكْ تُنَدِّدُ بِلَا رَجَالَةٍ... إِنَّمَا كِتَافَهَا يَا سَلَاطِينَ الْخَيْرِ

إذا بكاتني الى معدورة في حالة... تَبْكِي عَلَيَّ الْخُلُوفِيَّ بُوَهَا لِاْغَيْرِ

6/ شعره:

بعد أن قضى "بن خلوف" شبابه في ساحة الوغى مقاتلاً، وحاز على عدّة بطولات دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، وبالضبط بعد سنّ الأربعين، كما جاء على لسانه في قصيدته (ابقاوا بالسلامة):⁴

¹ - المصدر نفسه، ص 192.

² - المصدر نفسه، ص 192.

³ - المصدر السابق، ص 193.

⁴ - المصدر نفسه، ص 125.

مِنْهَا مَشَاتٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِثْلُ السَّرَابِ... وَاللَّيُّ بَقِيَ مَشَى فِي مَدْحِ الْمَبْرُورِ

راح ينظّم قصائدا دينية في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، متفرّغا إلى عبادة الله تعالى والدعاء، طالبا المولى عزّ و جلّ أن يغفر له ولعائلته.

وقد طرق بابا واحدا من أبواب الشعر، ومدحه ممزوج بالحماسة والحكم والزهد، بعيد عما لا يناسب الوالي الصالح كالغزل والرثاء.

وتتميّز القصيدة الواحدة بتنوّع مواضيعها، وبالوقوف على المعاني الدقيقة التي تتمكّن من إيصال الفكرة، وبرقّة ألفاظها وعدوبتها، فعرف مدحه انتشارا واسعا وشهرة لا مثيل لها، ويشير "محمد قاضي" إلى مكانة الشّاعر "سيدي الأخضر بن خلّوف" العلمية ومنزلته بين شعراء عصره في الشعر، بأنّه كان متمكّنا في هذا الموضوع، وقد خصّص الجزء الأكبر من شعره إلى مدح الرسول صلّى الله عليه وسلّم.¹

أ/ المدح:

احتلّ المدح مكانة كبيرة في ديوان "الأخضر بن خلّوف"، فما تخلو قصيدة من ذكر الرسول صلّى الله عليه وسلّم وتعظيمه والتّعني بصفاته، يقول في قصيدة (نرغب المعين المبدي):²

مَدُّ يَدِكَ تَهْوِي لِيَدِي... يَبْرًا جَسَدِي مِّنَ الْإِضْرَارِ، يَا الْمُخْتَارِ

قُلْ لِحَبَّتِهِمْ ذَا عَبْدِي... لَا تُضَيِّعْ مَمْلُوكَ النَّارِ، يَا الْمُخْتَارِ

نَمْدُحُكَ فِي ذِيكَ وَهَازِي... لِلْعَجَمِ وَالْحَبَشِ وَالْأَحْرَارِ، يَا الْمُخْتَارِ

¹ - ينظر: التلي بن الشيخ، دراسات في الأدب الشّعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 47.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 148.

جاءت ألفاظ مدحه كاشفة عما يحتلج في نفس الشاعر من أحاسيس عظيمة، يكنها لسيد الخلق الرسول عليه الصلاة والسلام، وبين أن هذا الحب التبوي هو تاج يضعه "بن خلوف" فوق رأسه، يقول في نظم (أحسن ما يقال عندي):¹

أَحْسَنُ مَا يُقَالُ عُنْدِي... بِسْمِ اللَّهِ وَبِكَ نَبَدَا
حَبَّكَ فِي سُلْطَانِ جَسَدِي... مَا عَزُكَ يَا عَيْنَ وَاحِدًا

فحبّه للنبي عليه الصلاة والسلام، هو حب لا يوصف، حب السلف الصالح، ظلّ يجاهد باللسان والروح، من أجل نشر الإسلام وصدّ الكفار، يقول في قصيدة (أويا كراه علم شبي):²

نَحْنُمُ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْهَادِي... شَرِيفُ النَّسَبِ الْمُظَلَّلِ بِالْغَمَامَةِ
وَخَرِي وَمَنِيَّتِي وَعَزِيٍّ وَمُرَادِي... الْهَاشِمِيُّ الْقَرَشِيُّ زَيْنَ التَّبَسَامَةِ

والرسول عليه الصلاة والسلام مثل الشاعر الأعلى الذي يقتدي به، والتور الذي يضيء له الطريق، فينعتة بجميع الصفات، ليقول في نظم (كوثر اللبن):³

يَا نُورَ الْإِقْتِدَا يَا نُورَ الْعَافِلِ... يَا حَاجِي غَدَا فِي نَهَارِ الْهُوْلِ
يَا مَعْدِنِ الْجُودِ يَا كَرِيمَ يَا وَاصِلِ... نَقُولُ شَاعِرِيَّ بَنِ حُلُوفِي مَقْبُولِ

ويقول أيضا في قصيدة (مفتاح الخير إلا ينفد) واصفا المكانة العالية لخير الأنام، فلو كانت الأكوان جبالا فالرسول صلى الله عليه وسلم هو القمّة العالية لا محالة.⁴

¹ - المصدر نفسه، ص 41.

² - المصدر السابق، ص 175.

³ - المصدر نفسه، ص 99.

⁴ - المصدر نفسه، ص 81.

لَوْ كَانَتْ الْأَكْوَانُ جِبَالًا... يُقَالُ فِيكَ أَنْتَ الرَّبُّوَةُ

لَوْ كَانَتْ الْأَكْوَانُ جَمَالًا... يُقَالُ فِيكَ أَنْتَ الدَّرْوَةُ

لَوْ كَانَتْ الْأَكْوَانُ أَحْمَالًا... يُقَالُ فِيكَ أَنْتَ الْعُلْوَةُ

ولما بزغ نجم "سيدي الأخضر بن خلّوف" في المديح النبوي، أصبحت قصائده تغنى، يقول في ذلك "أبو القاسم سعد الله": "ومن شعراء المديح النبوي أيضا "الأكحل بن خلّوف"، و "أبو عبد الله المغوفل" وكلاهما قد اشتهر في هذا الباب، ولاسيما الأول حتى أصبحت قصائده تغنى وتروى على مرّ العصور، وكلاهما أيضا من رجال التصوّف...".¹

ينتقي الشاعر أسلوبا يتناسب ومقام خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد عرف بين الشعراء بكثرة مدحه، وحبّه للرّسول عليه الصلاة و السلام، ونال بهذا المدح الفخر والمجد شهرة كبيرة، وقد اعترف الأتراك الشّجعان بإخلاصه في مدح محمد صلّى الله عليه وسلّم، فاكتسب أبنائه شرفا ومجدا، وأضحى ذكرهم شائعا بين النّاس²، وذاع صيت "بن خلّوف" واكتسب حلّة جديدة، حاز تاج الشّرف بامتلاكه مفاتيح الخير والسّعادة، كما في قصيدة (أحسن ما يقال عندي):³

يَا مُحَمَّدُ بِجَاهِ جَاهِكَ... لَوْلَا أَنْتَ مَنْ سَأَلَ فِيَا

عَرَفُونِي لَمَّا اِمْتَدَحْتِكَ... تَفَحَّرُ بِكَ وَلَا عَلِيَا

الأتراك اللّبيّ تَرَدُّكَ... خَدَمَتِ اولادِي رَاعِيَا

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي (1500م-1830م) دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1998م، ج 2، ص 248.

² - التّليّ بن الشّبيخ، دراسات في الأدب الشّعي، ص 55.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 43.

رُفُوفَ فَوْقَ الرَّاسِ بِنْدِيٍّ... لَبَسْتَنِي حَلَّةً جَدِيدًا

وَمَفَاتِيحَ الْخَيْرِ رَشْدِيٍّ... وَأَيَّامِي بِكَ سَعِيدًا

يسلك الشاعر منهج التضرع إلى الله تعالى تارة، وطلب شفاعته نبيه تارة أخرى وذكر صفات خير الأنام أيضا، ليمضي في مدحه، موظفا ألفاظا ومفردات تليق بمكانة الممدوح المصطفى خير سيّد الأمة، الذي نورها بالعلم بعد أن كانت تتخبّط في ظلمات الجهل، فقد أكرم الله عزّ وجلّ "بن خلّوف" بأن زرع حبّ رسوله في قلبه قبل سنّ البلوغ كما جاء في قصيدة (محمد خير الأنام):¹

مُحَمَّدُ خَيْرِ الْأَنَامِ... مِنْ نُورِهِ يَنْفَجِي الظَّلَامَ

أَسْكَنَ حُبِّهِ فِي عِظَامِي... قَبْلَ إِلا نَبْلُغُ الصِّيَامَ

يَا رَبِّي بَلَّغْ سَلَامِي... لِلْهَادِي تَاجِ الْكِرَامِ

ويختار أجمل الصفات والتعوت لمدح محمد صلى الله عليه وسلّم، فهو مفتاح الخير، وطريقه لريح الدارين الدنيا والآخرة، يقول في قصيدة (الرشيد مصباحي):²

مُحَمَّدُ الطَّاهِرِ... يَا مِفْتَاحِ الْبَابِ حِينَ تَرَكِبُ بُرَاقَكَ

يَا نَادِرَ وَبَاشِرَ... عِنْدَ طُولِ الْحَشْرِ كُنْ لِمَنْ إِشْتَاكَ

بعثه الله تعالى رحمة للعباد، وقد عرف بالجوّد والكرم صلى الله عليه وسلّم، وهو عدوّ الكفّار،

والهادي خير الأنام:

¹ - المصدر السابق، ص 84.

² - المصدر نفسه، ص 91.

يَا أَكْرَمَ الْأَجْوَادِ... يَا رَحْمَةَ الْإِسْلَامِ يَا عَدُوَّ لِلنَّصَارَا

مُحَمَّدَ الْهَادِي... يَا خَيْرَ الْأَنْامِ لِيكَ بَاغِي زِيَارَةً

يكاد يكون ديوان "سيدي الأخضر بن خلوف" كله في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، عدا بعض الأغراض الأخرى.

ب/ الحكمة:

يتميز شعر "بن خلوف" بتعدد مواضيع القصيدة الواحدة، التي تصبّ في الغرض العام غرض المدح، نلتبس فيها ألوانا من التوحيد والموعظة والفخر والزهد والتصوّف والحكمة، هذا اللون الأدبي الأخير الذي وظفه ليعطينا ويوجّهنا ويُحِلِّنا على أخذ العبرة.

ها هو ذا في قصيدة (قم صلي) يدعونا لمخالفة النفس الأمّارة بالسوء، ويحذّرنا من الشيطان الذي يزيّن لنا المعاصي، ليحملنا لباب جهنّم والعياذ بالله، لأنّ الدّنيا فانية فلا يبقى سكّان ولا بنيان سوى الأعمال، يقول:¹

لَا تُطْعُ نَفْسُكَ تُعَدِمُ تَعَوُّدُ نَادِمٌ... تُوصِلُكَ لِبابِ جَهَنَّمَ وَحُطَامِهِ

لَا يَعْرُكَ رَايَ الشَّيْطَانِ الْعُقْلَانِ... وَمَا يَدُومُ فِيهَا بُنْيَانٌ مِنَ الْعَلَالِي

مَا بَقِيَ حَيٍّ وَلَا سُكَّانُ يَا الْعُقْلَانِ... أَنْظُرْ لِحَالِكِ يَا إِخِي وَشُوفَ حَالِي

ثمّ يشبّه عمر الإنسان بالسّنابل التي تخضر في فصل الربيع، فإذا ما حلّ الصّيف اصفرت، ليحصدها الفلاحون، هكذا هي حياة الإنسان يافعا في شبابه قويا، فإذا ما تقدّم به العمر وظهر الشيب كعلامة على ذلك، أدركته الموت ليحصد أعماله، وهي حكمة جميلة صالحة لكلّ زمان

¹ - المصدر السابق، ص 168.

ومكان، ينصحنا الشاعر للعمل بها، انتقاها من الطَّبِيعَة لِيْفَهْمَهَا الْعَامَّ وَالْخَاصَّ، وَيَبْلُغُ مَرَادَهُ فِي إِيْصَالِ الْمَعْنَى، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ (مُحَمَّدِ رَاحَةِ الْعُقَابِ):¹

إِذَا كَانَ السَّبُولُ الْأَخْضَرَ نَارِقَ غَيْبٍ... يَعُودُ الصَّيْفُ فِي الْبِلَادِ
مَا تَبَقِيَ لَهُ غَيْرُ تَمِّ جَمْعُهُ ثُمَّ يُطَيَّبُ... وَيُبَشِّرُ بِمَنَاجِلِ الْحِصَادِ
أَمْنَيْنِ تَعُوتِجِ الرَّقَابِ... السَّبُولُ سَهْمَ الْحِصَادِ
يَطُولُ الْمُكْتُ فِي التُّرَابِ... مَفْقُودُ الْجِسْمِ صَاحٍ بِهِ الْمَنَادِي

ج/ الحماسة والمواطنة:

"والشاعر "بن خلّوف" من الشعراء الذين قرضوا الشعر الحماسي، ودافعوا عن القضايا الوطنية والحروب التي تعرّض لها الوطن..."²، وتعبّر قصيدة (قصة مزغران) بصدق عن "مكانة الشاعر وموهبته كشاعر فنّان له موقفه، من الأحداث التي عاشها الشعب الجزائري آنذاك"³، وشعره هو شعر الدّعوة إلى الجهاد في سبيل الله، دفاعاً عن الإسلام والعروبة والوطن، ممّا يعكس إيمانه وقوّة عقيدته الدّينية ووطنيته، يقول في قصيدة (قصة مزغران)، متحمّساً لقتال الكفّار، منادياً بني قبيلته عامّة من ذوي الجود والسّلطان:⁴

يَا مَغْرَاوَةَ اتَّحْزَمُوا لِلْكَيْدِ... مِنْكُمْ خَلَقْتَ سُلْطَانًا وَاجْوَادَ
يَا تَيْجَانَ الْحَرْبِ لَيْسَ بَعِيدٌ... لِمَنْ جَاهِدِ جَنَّةَ الْمِيعَادِ

¹ - المصدر نفسه، ص 116.

² - التّليّ بن الشّيخ، دراسات في الأدب الشّعي، ص 69.

³ - المرجع نفسه، ص 69.

⁴ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 184.

إنّ الشّاعر هو أحد أبناء الشّعب الجزائري المؤمن بضرورة القتال وصدّ الكفّار، فسارع لحماية تراب وطنه، والقادم من ساحة الوغى هو الفارس المغوار المضرّج بالدماء: "بن خلّوف"، والمعركة هي معركة مزگران الغنيّة عن التعريف، يقول:¹

يَا فَارِسُ مَنْ تَمَّ جِيتُ الْيَوْمِ... غَزْوَةُ مَزْغَرَانَ مَعْلُومَةٌ
يَا عَجَلَانَا رِيضَ الْمَلْجُومِ... رَأَيْتُ إِجْنَابَ الشِّلْوِ مَوْشُومَةٌ
يَا سَايَلِنِي عَن طَرَادِ الْيَوْمِ... قِصَّةُ مَزْغَرَانَ مَعْلُومَةٌ

من الملاحظ أنّ تسمية (معركة مزگران) بالقصة، تدلّ على وقائع متسلسلة متعاقبة، فهي أشبه بحكاية طويلة متتالية الحوادث، وربما أطلق عليها "بن خلّوف" مصطلح (غزوة) تشبيها (بغزوة بدر الكبرى) التي خاضها الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ضدّ الكفّار، ويعود وجه الشّبه بينهما لهول الوقائع، تمثّل المعركتان مواجهتين ضدّ عدوّ واحد مع اختلاف في الزّمن، وتحقيق النّصر والتّيل من الغزاة في النّهاية، فحقّا إنّ (قصة مزگران) هي ملحمة الجزائر دون منازع.

يذكر الشّاعر المجاهدين بما وعدهم الله سبحانه وتعالى، محبّبا لهم الخروج للجهاد امتثالا لقوله عزّ و
جل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ ۗ ۱٦٩ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۗ ۱٧٠﴾²
وما ينتظر هؤلاء هو جنّة النّعيم والخلد، فيها جنّات عدن وأشجار وطيور، ورجال الدّين فيها
مكرمين معزّزين يقول:³

¹ - المصدر نفسه، ص 182.

² - سورة آل عمران، الآيات 169-170.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 184.

ظَلَلْتُ بِاللِّيمِ وَاللِّيمومِ... فِيهَا رُجَّالَ الدِّينِ مَكْرُومَةٌ
وَالْفِرْدَوْسَ طُيُورٌ فِيهِ تَحُومٌ... وَسَنَادِيسٌ فِي النُّوعِ مَرْقُومَةٌ

د/ شعر التوسل ومحاسبة النفس:

ظهر جليًا في قصائد "بن خلوف" شعر التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، فنفس الشاعر نفس تائبة خاشعة، ترجو الغفران والرحمة، يقول في قصيدة (أحسن ما يقال عندي) ذاكراً أن الموت ستدركه يوماً لا محالة، وهو مؤمن بقاء المولى عزّ وجلّ أشدّ الإيمان، حتى أصبح يرى قبره في المنام:¹

نَسْتَهْزَأُ وَالْمَوْتَ فِي آثِرِي... مَاذَا مِنْ سِيَةِ عَلِيًّا
إِذَا نَمْتُ أَنْوَمَ قَبْرِي... وَإِذَا قُمْتُ نَقُومُ حَيًّا
هَذَا فَاشَ فَنَيْتَ عُمَرِي... نَرْجَى اللَّهُ يَعْفُو عَلِيًّا

وهنا يقف الشاعر وقفة الحائر التادم، ليحاسب نفسه ويعاقبها عما سؤلت له أيام شبابه حتى أدركه الكبر، وأثقل كاهله بالسيئات، ليعرق في بحر الذنوب، يقول في قصيدة (إذا تحيرت من ذنوبي):²

تَاذَنَ لِي الْخَرَابُ نَفْسِي... مَا كَانَ عَدُوًّا غَيْرَ هَيَّا
فِي السِّرِّ وَفِي الْعَنَانِ نَفْضِي... حَتَّى جَا الْكِبَرَ وَحَاطَ بِيَا
غَرَقْتُ فِي بَحْرِ الظُّلَامِ نَفْسِي... وَثَقَّلَ الْجُنْدَلِي عَلِيًّا
مَعْلُومَ الْخَلْقِ لِلتُّرَابِ... الطَّيْرُ وَلِوِصَالِ يُقْصِرُ

¹ - المصدر السابق، ص 43.

² - المصدر نفسه، ص 180.

في ثنايا قصائده نلتمس مشاهدا للحيرة والقلق الدائمين، تبعث في المؤمن شعورا بعدم الرضى لما يقدمه من أعمال صالحة، فيحس أنها غير كافية لنيل الثواب.

وحين يخلد المسلم إلى مشاعر الإيمان، وتملك وجدانه تصوّرات الغيب، وينظر إلى الأحياء من حوله وهم يتساقطون كأوراق الخريف، ويغادرون عالم الحياة الفانية إلى حيث لا يعودون، يتهاوى منطلق الإيمان بالنفس¹، ويفقد ثقته بالأعمال التي يقدمها من صلوات ودعوات وغيرهما، فلا يجد ملاذًا، إلا الرجاء والأمل في صفح الله تعالى وعفوه وشفاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ويريد الشاعر أن يذكرنا بضرورة التفكير في يوم الحشر لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ٣٠﴾².

ويعبر لنا عدم رضاه بما قدم من أعمال، مما يجعل نفسه قلقة غير مطمئنة وهو يراها مقصورة في طاعته عزّ وجلّ، يقول في قصيدة (أحسن ما يقال عندي) متضرعا إلى الله أن يستره ويحفظه:³

مَا قَدَّمْتُ إِلَّا ذُنُوبِي... هَبْ لِي مَا مَوْلَايَ تُوبًا
بَاخِ السِّرِّ وَبَانَ شَيْبِي... مِنْ قُدَّامٍ وَصَارَ عَذْبًا
أُسْتُرْ يَا مَوْلَايَ عَيْبِي... لَا نُضْحَى لِلنَّاسِ عَجْبًا

ل/ الفخر:

¹ - التلي بن الشيخ، دراسات في الأدب الشعبي، ص 56.

² - سورة آل عمران، الآية 30.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 43-44.

يقول "بن خلّوف" في قصيدة (ابقاوا بالسلامة) مفتخرا بنصره، فقد قتل من الكفار الكثير،
وفخره هو فخر الأبطال المجاهدين العظاماء:¹

سَيْفِي مُجَرَّدَةٌ وَاَنَا نُضْرِبُ فِي الْأَعْدَاءِ... وَالنَّاسُ ضَاجِعَةٌ مِنْ زَجْرِي بِالْخَوْفِ
يَمْنِي وَعَنْ شِمَالِي الْجَمَاجِمِ رَاقِدَةٌ... وَالْخُلُقُ طَاحِيَةٌ تَحْسَبُ بِالْأَلُوفِ

هـ/ التوحيد:

يقول في نظم (نبتدا الكلمة):²

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَانِ... جَنَّةُ الْخُلْدِ الْفِرْدَوْسُ تُسَمَّى
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُشْرِفَةٌ يَا إَعْيَانَ... كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ هِيَ الْمُنْعَدِمَةُ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِأَنْوَارِهَا تُبَيِّنُ... تَمْتَرِجُ فِي الْمَوْمَنِ بِاللَّحْمِ وَالِدَّمَآ

ع/ الموعظة:

يزين "بن خلّوف" قصائده بأبيات يعظ فيها كل من يتصفح ديوانه ويدعوه إلى التمسك
بشعائر الإسلام والتقوى، وهذه ميزة الصالحين الأتقياء، يقول في قصيدته (قم صلي):³

¹ - المصدر نفسه، ص 191.

² - المصدر السابق، ص 164.

³ - المصدر نفسه، ص 167.

قُمْ صِلِيَّ وَاحْزِي اللَّعِينَ يَا الْبَخِيلِ... سَعِدْنَا بِسَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ وَالرِّسَالَةِ
 قُمْ واطع الرَّبِّ الْجَلِيلَ يَا الْبَخِيلِ... لَاغْنَا يَا تَيْبِكَ الرَّحِيلَ قَبْلَ زُلَّةِ
 كُلِّ مَنْ سَبَقَ مِثْلَكَ فِي الْوَيْلِ جِيلٌ فَجِيلٌ... لَنْ أُسْرِعَ بِهِ عِزْرَائِلَ عِنْدَ غَفْلَةٍ

اجتمعت في "بن خلوف" صفات الأتقياء الشرفاء والمجاهدين، وذلك واضح في قصائده التي تحكي لنا عن حب هذا الويِّ الصَّالح للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كيف لا وقد حاز على لقب مَداح الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جدارة، فهو أمير المدح الديني في العصر التُّركي، وقد أجاد في وصفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي وصف العذاب والعقاب والجنة والنار، متوسلاً المغفرة من الله عزَّ و جلَّ، طالبا شفاعته من ألهم بحبه منذ الصغر: خاتم الأنبياء وسيّد الخلق أجمعين.

غ/ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ (الْقِصَصُ الْقُرْآنِي):

رَصَّعَ "سيدي الأخضر بن خلوف" شعره بآيات من الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، فمعانيه واضحة سلسلة وسهلة، يقول في قصيدة (شأين عشنا لا بد تندم):¹

خُذِ الطَّرِيقَ لَيْسَ تَسَلَّمُ... طَرِيقُ الشَّمَالِ مَا فِيهَا شَيْءٌ اسْلَاكُ
 تَحْسَبُ سَاهِلَةً يَا نَادِمٍ... إِذَا اتَّبَعْتَهَا يَا وَيْحَكَ مَا جَاكَ

يدعونا الشاعر إلى التمسك بالدين، وأن نكون من أصحاب اليمين الذين وعدهم عزَّ و جلَّ بالجنة، أمَّا أصحاب الشمال فمأواهم النار والعياذ بالله، وهو معنى مُنتقى من سورة الواقعة لقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۚ ۲۷ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۚ ۲۸ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۚ ۲۹ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ۚ ۳۰ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۚ ۳۱ وَكِهْفَةٍ كَثِيرَةٍ ۚ ۳۲ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۚ ۳۳ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۚ ۳۴ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ۚ ۳۵

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 191.

فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ٣٦١ عُرُبًا أَنْتَرَابًا ٣٧١ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ٣٨ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ٣٩ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠ وَأَصْحَابُ
الْشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ٤٢ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ٤٣ ﴿١﴾

استوحى الشاعر قصيدة (بسم الله بديت انزم) ، من سورة التكوير:²

ثُمَّ الْمَوْوُودَةَ سَأَلْتُ... باذن القهّار

بِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلْتُ... حُطْبُ الْمُحْتَارِ

والموؤودة المرأة أو الطفلة التي كانت تدفن حيّة أيام الجاهلية، خوفا من العار، يقول تعالى:
﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩﴾³، لينقلنا "بن خلّوف" إلى أيام الجاهلية في حبك قصصي شعري محكم، وبيدكرنا بماضي أسلافنا لندرك الحاضر، هذا الحاضر الذي نعيش فيه تحت نور الإسلام، فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين.

تعبر قصائده الدّينية عن تمسّكه بتعاليم ديننا الحنيف، ونصومه مشربة بالروح الصّوفية⁴، التي انتقاها الشّاعر من محيطه (زوايا، مساجد، كتاتيب... إلخ)، وفيها تذكير بمعجزات الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، والرّسل الذين سبقوه لاستخلاص العبرة والموعظة الحسنة، فهذا هو ذا يقصّ لنا ما جرى للموؤودة أو الطفلة التي كانت تدفن حيّة أيام الجاهلية بأمر من ذوي النّفوذ أو الحاكم، يقول في قصيدة (بسم الله بديت انزم):⁵

¹ - سورة الواقعة، الآيات 43/37.

² - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 164.

³ - سورة التكوير، الآيات 09/08.

⁴ - منتدى القصة السّورية: www.Syrian story.Com/coment32-2htom

⁵ - ديوان سيدي الأخضر بن خلّوف، ص 128.

جَاءُوا لِبَاهَا كَمْ ظَالِمٌ... قَالُوا ذَا الطِّفْلَةَ

إِذَاهَا وَأُقْتِلَهَا وَاعْزِمُ... لَا تُخْرِجُ عَلَّةً

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِذَاهَا بِبَاهَا وَبُنَى... عَنْهَا سَوَّرَ طَوِيلٌ

فأحرقها أبوها عنوة حتى صارت رمادا، وقلبه يحترق لفقدان فلذة كبده، يقول:¹

أَدَّاهَا بُوها وَاقْتَلَهَا... فِي أَرْضِ الْفَلَاهِ

بَعْدَمَا مَاتَتْ حَرَقُوهَا... قَالُوا النَّارَ أَوْلَى

حَتَّى صَارَ رَمَدًا لَحْمَهَا... مِنْ حُرِّ الشُّعْلَةِ

قَتَلَهَا بِبَاهَا... وَدُمُوعُهُ حَمَلَةٌ

انشطر قلب الأب لما فعل بابنته، فتوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، راجيا مغفرة المولى

عز و جل:²

ثُمَّ مَشَى بِبَاهَا سَائِحٌ... شَاكِي لِّلْعَدَنَانِ

جَلَسَ قُبَالَةَ يَتَضَرَّعٌ... بَاكِي بِالتَّحْنَانِ

طلب النبي عليه الصلاة والسلام المكان الذي دفنت فيه الطفلة، ودعا لهذا الأب بالغفران،

يقول الشاعر في نفس القصيدة:³

¹ - المصدر نفسه، ص 128.

² - المصدر السابق، ص 128-129.

³ - المصدر نفسه، ص 129.

قَالَ النَّبِيُّ أَيُّنَ الْمَوْضِعِ... وَدُعِيَ بِالْغُفْرَانِ

ومن معجزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ هَبَّتْ رِيحٌ صَرَصَرُ، فَإِذَا بِالرَّمَادِ يَلْتَمِمْ، وَمَا هِيَ إِلَّا لِحْظَاتٌ حَتَّى عَادَتِ الطِّفْلَةَ حَيَّةً تَرْزُقُ، يَقُولُ:¹

هَبَّ الرِّيحُ الرَّمَدَ تَلَايِمٍ... رَجَعَتْ لِلْحَالَةِ
مَا يَفْعَلُ سَيِّدِي بُو الْقَاسِمِ... فِي ابْنَيْنِ لِلْجَهْلَا
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأخبرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا دَائِمَةُ الذِّكْرِ وَكَثِيرَةُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، فَأَبْشَرَهَا بِمَكَانَتِهَا فِي الْجَنَّةِ، يَقُولُ "بن خَلُوف":²

قَالَتْ لِصَاحِبِ الشَّفَاعَةِ... تَاجُ الْأَنْبِيَا
اعْطَانِي مَوْلَايَ رَفْعَةً... فِي دَارِ الدُّنْيَا
لَبَدَا بِصَلَاتِكَ مَوْلُوعَةً... مِنْ فَضْلِكَ لِيَا
قَالَ لَهَا الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ... تَرْجِعِي لِلْحَيَا
وَأِلَّا فِي الْجَنَّةِ تَتَنَعَّمُ... وَقُصُورُ الْعُلْيَا

أسلم والد الفتاة بعدما شهد معجزة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ "بن خَلُوف":³

¹ - المصدر نفسه، ص 129.

² - المصدر نفسه، ص 129.

³ - المصدر السابق، ص 130.

شَهِدَ بِأَبَاهَا وَاسْلَمَ... رَاحَ بِلَا نِكَلَةٍ

ثُمَّ شَفِيعُ الْخَلْفِ تَقَدَّمَ... وَعَلَيْهُمَا صَلَّى

يلاحظ المتتبع لقصائد الشاعر مدى تسلسل أحداث القصص القرآني، فلا يترك حدثاً إلا وذكره بأسلوب بسيط يفهمه العام والخاص، ولغة جيدة تنم عن مدى تحكّمه بها ومعرفته طرق توصيل الفكرة إلى القارئ، وهو بذلك يجعلنا نعيش الحدث بزمانه ومكانه.

ف/ التّصوّف:

بعد سنّ الأربعين جعل "سيدي الأخضر بن خلّوف" همّة عبادة الله سبحانه وتعالى بدون طلب منفعة دنيوية، فتنفّس في وصف حبّه لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، وفي طاعته للمولى عزّ وجلّ، فيدعو ويتضرّع لخالق العباد عزّ وجلّ بجميع أسمائه الحسنی، يقول في قصيدته (جف المداد):¹

يَا غَافِرُ الذُّنُوبِ إِغْفِرْ لِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ... وَالْمُؤْمِنَاتِ يَا مَنْ بِكَ الْغُفْرَانُ

يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ إِغْفِرْ لِي وَالْمُسْلِمِينَ... وَالْمُسْلِمَاتِ يَا مَنْ لَا غَيْرَكَ ثَانٍ وَيَقُولُ فِي

نظم (محمد راحة العقاب):²

بِسْمِ الْعَلِيِّ الرَّحِيمِ رَبِّي رَحْمَانٍ... الْإِسْمُ الْخَالِصُ الْكَرِيمُ

يَكُونُ دُخُولَنَا مِنْ بَابِ الرَّيْحَانِ... بِإِذْنِ الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ

ويقول في قصيدة (محمد خير الأنام):³

¹ - المصدر نفسه، ص 172.

² - المصدر السابق، ص 117.

³ - المصدر نفسه، ص 84.

يَا رَبِّي يَا ذَا الْجَلَالِ... يَا مَنْ لَا عَيْنًا تَرَاهُ
 اغْفِرْ لِي مَا مَضَى لِي... بِحُرْمَةِ كُلِّ جَاهٍ
 وَاسْمَعْ لِي فِيَمَا بَقِيَ لِي... يَا مَنْ لَا رَحِيمَ سِوَاهُ

ثم يواصل في طلب المغفرة والهداية وحسن الخاتمة، ليقول:¹

يَا رَبِّي يَا دَائِمَ الْبُقَا... يَا شَفِيقُ وَيَا رَفِيقُ
 اجعلني في الخَيْرِ سَابِقًا... وَأُرْشِدِي نَحْوَ الطَّرِيقِ
 وَاجْعَلْ خَتَمَاتِي مُوَافِقًا... بِلِسَانِي حَقًّا حَقِيقُ

ويتفنن "بن خلوف" في التوسل إلى الله تعالى، راجيا المغفرة والهداية بحق حروف اسم الرسول صلى الله عليه وسلم (محمد)، يقول:²

بِالْمِيمِ الْأُولَى وَحَا وَالْمِيمِ الْمَشْدَّة... وَالِدَّالُ دَلِّي لِلتَّوْبَةِ يَا بَارِي

ويقول في قصيدة (دقة الحب):³

أُعْثِي بِالْحَبِيبِ يَا عَلَامَ الْغَيْبِ... مَالِكُ الْمُلُوكِ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ
 حَاضِرٌ إِلَّا تَعْيِبُ مُهَوَّنٌ كُلُّ صَعِيبٍ... مَنْ يَرَانَا وَلَيْسَ حَدًّا يَرَاهُ

¹ - المصدر نفسه، ص 85.

² - المصدر نفسه، ص 172.

³ - المصدر السابق، ص 104.

ويهيم في حبّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ويكي ينوح راجيا لقاءه، وهي إحدى خلجات
النفس الصّوفية التي ترك مشاغل الدّنيا لتهم بحبّ المصطفى، وطاعة الله تعالى بروح طاهرة زكية،
يقول في قصيدة (دقّة الحب) أيضا:¹

دِقَّةُ الْحُبِّ مَا جَبَرَتْ دَوَاهَا... وَلَوْ نْتَهَدُ مَا نَفَعُ تَنْهَادِي
صَبْرِي كَمَنْ تَنُوحُ عَنْ بَابَاهَا... كَيْفَ صَبْرِي عَلَى الرَّسُولِ الْهَادِي
اعيات عَيْبِي تَنُوحُ لَا مَنْ جَاهَا... بَطًّا عَلَيَّ الْحَبِيبِ مُحَمَّدِي
اللَّهُ اللَّهُ وَالرَّسُولِ الْهَادِي

يرجو "بن خلّوف" لقاء الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بفارغ الصّبر، فشوقه إليه صلّى الله عليه
وسلّم هو شوق كبير لا يوصف، يقول في قصيدة (إلا وجه الحبيب غاب):²

يَا لَا يَمُ لَا تَكُونُ عَاشِقُ فِي مَعْشُوقٍ... خَلِيَّهُ فِيمَا قَضَى اللَّهُ يُتُوبُ عَلَيْهِ
لَوْ تُشْرِبُ مِنْ غَوَامِقِ بَحْرِ الشُّوقِ... تَعْدَرُ بِالْحَقِّ الْمَوْلَعِ فِي حُبِّهِ

إنّ لقاء خاتم الأنبياء والمرسلين هو الدّواء الذي يشفي شاعرنا، ورؤيته هي البلسم الذي يضمّد
جراحه، ويطمئنّ فؤاده ويطفى غليله، يقول في (أحسن ما يقال عندي):³

إِرْفَقْ بِرُوحِي وَجَسَدِي... دَاوِينِي نَبْرًا مِنَ الدَّاءِ
يَا مُحَمَّدَ أَنْتُ سَيِّدِي... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ لِبَدًّا

¹ - المصدر نفسه، ص 104.

² - المصدر نفسه، ص 110.

³ - المصدر السابق، ص 42.

و/ الوصف:

أجاد "بن خلّوف" في الوصف على اختلاف أنواعه، فإذا وقف في ساحة الوغى مجاهداً، حكى قتاله وأحداث معاركه بالتفصيل، وجعلنا نعيش أجواء الحرب والمعركة وقصيدي (قصة شرشال) و (قصة مزگران) لأكبر دليل على ذلك كما سبق ذكره.

وعند انتقاله لوصف الطبيعة، يرسم لوحاته رسم الفنّان الماهر، فهذا هو ذا يصف لنا البحر وما فيه، في قصيدة (قدر ما في بحر الظلام) يقول:¹

قَدَّرَ مَا فِي بَحْرِ الظَّلَامِ... مِنْ هَوَائِشٍ وَحَيْتَانُ بِلَا قَدَّرَ عَائِشِينَ
مَعَ المَوْجَاتِ بِلَا زَمَامٍ... وَعَدَدُ الرَّمْلَةِ وَالْأَحْجَارِ اللَّيِّ كَانِينِ

ثم يعرج لوصف السماء وما فيها من غيوم وسحاب ورياح، ليقول:²

قَدَّرَ الصَّحُوَّ وَقَدَّرُ الغِيَامِ... قَدَّرَ الأَرْيَاحُ السَّبْعَةَ جَاوِ مُتَابِعِينَ

ليصل إلى الحيوانات، والطيور، والنباتات والأشجار، والليل والنهار، قائلاً:³

قَدَّرَ الطَّائِرُ فِي الهَوَامِّ... قَدَّرَ وُحُوشٌ وَعِزْلَانٌ فِي الخَلَاءِ سَاكِنِينَ

ويواصل قوله:⁴

قَدَّرَ الطَّائِرُ فِي الهَوَامِّ... قَدَّرَ وُحُوشٌ وَعِزْلَانٌ فِي الخَلَاءِ سَاكِنِينَ

1- المصدر نفسه، ص 49.

2- المصدر نفسه، ص 50.

3- المصدر نفسه، ص 51.

4- المصدر السابق، ص 52.

ليصل إلى قوله:

وَعَدَدُ الْخَيْلِ وَمَا طَعَنْتَ بِهَا الرَّجَالَ... قَدَّرَ النَّمْلَةَ وَالثَّوْرَ وَالْغَنَمَ وَالْغَزَالَ
قَدَّرَ جُنُودَ النُّمُوسِ وَمَا نَدَّرِي إِشْحَالَ

أبحر الشاعر "بن خَلُوف" في وصف الطَّبيعة وصفا دقيقا في قصيدته (قدر ما في بحر الظَّلام)، فجال في المروج وما تحويها، وفي الأشجار بأنواعها، وفي الحيوانات والحشرات، ومن خلال ذلك يدعو المخلوق البشري للتأمل في خلق الله تعالى وفي قدرة إبداعه.

أمَّا إذا انتقل لوصف سيِّد الخلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعلنا وكأنا نراه، واصفا خلقه وحُلُقَه عليه الصَّلَاة والسَّلَام، فيقف عند الحواجب والأشفار والقد، ليقول في قصيدة (إلا وجه الحبيب غاب):¹

أَهْدُبُ الْأَشْفَارِ مَرْبُوعَ الْقَدِّ... أَفْلُجُ الْإِسْنَانَ زَنْجَ الْحَوَاجِبِ وَالْأَرْمَاقِ
مَاتَعْنِي فِي الْبَسْطِ نَاعَتِهِ وَأَلَا فِي الْجُهْدِ فِي الْمَلْبَسِ مَا طَوِيلُ ثَوْبِهِ نِصْفَ السَّاقِ

كما يصف صدره وطول جسمه، في قصيدة (بسم الله بديت انزم):²

وَاسِعُ الصَّدْرِ الْمُفَجِّمِ... مَا يَبْحُلُّ صَيْلَةَ
لَيْسَ قَصِيرًا يُقْصِرًا عَادِمًا... لَيْسَ طَوِيلًا إِعْلَا

¹ - ديوان سيدي الأخضر بن خَلُوف، ص 107.

² - المصدر نفسه، ص 128.

والرّسول صلّى الله عليه وسلّم ذو خلق عظيم، فهو دائم الابتسامة بهيّ المحي، وذلك ما لم ينسه "بن خلّوف"، يقول:¹

بَاهِي السِّرِّ وَبَاهِي الْمَبْسِمِ... كَحِيلِ النَّجْلَةِ

7/ وفاته :

توفيّ "سيدي الأخضر بن خلّوف" رحمه الله، عن عمر يناهز المائة وخمس وعشرين سنة، وستّة شهور في بداية القرن العشر الهجري، وقد عمّر قرنا وربع قرن ونصف سنة، والشّيء الملفت للانتباه أنّه ذكر سنة وفاته في قصائده، يقول في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):²

جَوَّزَتْ مِیَاةَ وَخَمْسَةَ وَعِشْرِينَ حِسَابٌ... تُمِيتُ مِنْ وَرَاسِنِي سِتَّةَ إِشْهُورِ

مِنْهَا مَشَاتٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِثْلُ السَّرَابِ... وَاللَّيُّ بَقِيَ مَشَى فِي مَدْحِ الْمَبْرُورِ

بعدما قضى خمس وثمانين سنة في مدح النّبي عليه الصّلاة والسّلام، أمّا الأربعون سنة الباقية فقد أمضاها في السّراب، كما قال لعلّه يقصد بذلك أنّه قضاه منشغلا بأعباء الدّنيا فلم يتسنّ له مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

إنّ إحساس هذا الوليّ الصّالح بقرب أجله، وكشفه عن موعد وفاته، هو أكبر دليل على المكانة التي يحتلّها عند الله سبحانه وتعالى، إنّها مكانة العظماء والصّالحين الفائزين بجنّات النّعيم، كيف لا وقد جازاه الله برؤية مباركة في حضرة سيّد الأنام صلّى الله عليه وسلّم، يقول في نظم (أحسن ما يقال عندي):³

¹ - المصدر السابق، ص 127.

² - المصدر نفسه، ص 193.

³ - المصدر السابق، ص 46.

يُكْفَانِي صَدَقِي وَنِيَّةٍ... الْأَخْضَرُ كَيْفَ يَكُونُ حَاطِيُّ

تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ رُؤْيَةً... وَالْعَاطِي مَازَالَ يُعْطِي

كَافَانِي مَوْلَى الْهَدِيَّةِ... وَقَبَّلَ لِي مَوْلَى شُرْطِي

لتكون هذه الرؤيا الباب الذي دخل منه "سيدي الأخضر بن خلوف للمديح النبوي.

دفن رحمه الله تلبية لرغبته قرب خيمته، بعد أن ترك وصية يوصي فيها بمكان دفنه، يقول في

نظم (ابقاوا بالسلامة):¹

هَذِهِ وَصِيَّتِي دَيْرُوهَا شَدَّ الرَّؤُوسِ... يُوصِيكُمْ الْخُلُوفِيُّ بِعِلْمِ التَّبْيِينِ

كُنُوا شُهُودَ عَنِّي وَأُخْضِرُوا يَا جُلُوسٍ... كَمَا فِي الْيَقِظَةِ شَاهِدُوا جَبْرِيلَ

نَحْلَةَ مَتَبَّةَ تُلَقِّحُ بَعْدَ الْيُبُوسِ... إِحْدَاهَا يَكُونُ قَبْرِي يَا مُسْلِمِينَ

تعتبر النحلة التي دفن بقبرها هذا الولي الصالح، "الرمز المميز لضريح سيدي الأخضر بن

خلوف حتى لقبه البعض بـ (مول النحلة)، أي صاحب النحلة"²، يقول في قصيدة (لله الحمد زاد

فيا):³

النَّحْلَةُ مُنْزَلُهَا حَدَايَا... تُظَلِّلُ فِي ظِلِّهَا الْبَعِيدَ

¹ - المصدر نفسه، ص 193.

² - جمعية آفاق مستغانم، ديوان سيدي لخضر بن خلوف، ص 51.

³ - ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، ص 128.

كما ذكر أبناءه (محمد، بلقاسم، أحمد، الحبيب، حفصة) وأورثهم مما يملك في نفس القصيدة كما سبق ذكره في حديثنا عن عائلته وأولاده، وأوصاهم بالاعتناء بخيمته التي تركها أمانة لهم والترحيب بالزوار الذين يتوافدون عليها من كلِّ حذب وصوب، يقول:¹

مَا زُلْتُ حَيْمَتِي كَالنَّجْمَةِ وَاقِدَةٌ... وَتَعُودُ حَيْمَتِي بِهَا النَّاسُ تَطُوفٌ
وَجَمِيعَ مَنْ قَصَدَهَا وَأَمْزَجَ الشَّاهِدَةَ... يَطْفًا ظَمًا عَطَشَهُ مِثْلُ الْمَلْهُوفِ

ودعاهم إلى الاتحاد والتعاون والصدقة في سبيل الله تخليدا لروحه الطاهرة، يقول في قصيدة (ابقاوا بالسلامة):²

اتهلوا فِي بَعْضِكُمْ لَا تَشْفُوا فِي الْأَعْدَاءِ... قَمُوا جَنَازَتِي وَأَعْطُوا الْمَعْرُوفَ

وإلى المحافظة على نظمه وموروثه الشعري وعدم التفريط فيه، يقول في نفس القصيدة:³

هَذِهِ وَصِيَّتِي لَا نَاقِصٌ لَا زَائِدَةٌ... لَا تَفَرَكُوا نِظَامِي لِيَّ مَتْلُوفِ

كما أوصاهم بخادمه المطيع خيرا، الذي لم ينس فضله؛ حيث قضى أكثر من سبعين سنة في خدمته، يقول في نفس القصيدة في خادمه (علام):⁴

ارْفَعُوا عَلَامَ خَدِيمِ اللَّهِ بِالظَّاهِرِ... أَصِلْهُ أُعْزِ فِرَاوِي مِنْ جَبَلِ الْمَرْمَرِ

سَبْعِينَ عَامَ عِدَاهَالِي شَاكِرٌ... جَارِيٌّ فِي خِدْمَتِي كُلَّ لَيْلَةٍ وَنَهَارِ

¹ - المصدر السابق، ص 192.

² - المصدر نفسه، ص 128.

³ - المصدر نفسه، ص 128.

⁴ - المصدر نفسه، ص 127.

أما من حفظ نظمه وتأثر به، فيوصيه بأخذ الحذر في تشكيكه ونقطه وتصحيح الخطأ قدر
الإمكان، يقول:¹

كُلُّ مَنْ يَحْفَظُ كَلَامِي وَيُصَحِّحُهُ مَلِيحٌ... بِجَاهِ جَاهِك يَا سَيِّدَ الْخُلُقِ كَأَفَّا

يتحسّر الخُلُوفِي لفراق أحبّته ويودّع أهله قائلاً:²

حَسْرَاهُ عَلَى الْخُلُوفِيِّ مَا بَقَاتِ لَكَ فَايِدَةٌ عَزْرَايِلِ جَاكَ وَأَنْتُ عَبْدٌ مَخْلُوفٍ

فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ انْعِيطِ بِالشَّاهِدَةِ... وَأَنَا فِي خَيْمَتِي مُتَقَبِّلٌ مَتْلُوفًا

بقاوا بِالسَّلَامَةِ يَا أَوْلَادِ خُلُوفٍ

رحل الشاعر "سيدي الأخضر بن خلُوف" جسداً، لكن ذكره حيّة في نفس كلّ مسلم غيور
على دينه ووطنه، مادح الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ودّع الدنيا ليلتقي بخير الأنام عليه الصلّاة
والسّلام، فرحم الله "بن خلُوف" وأسكنه جنّة الخلد.

8 / ديوانه:

ترك لنا الوليّ الصّالح "سيدي الأخضر" ديواناً شعريّاً لهجياً زاخراً بالمفردات والدلالات اللّغوية،
هذه القصائد التي تهافت على جمعها، جهود رجال كرسوا وقتهم وحياتهم لخدمة التّراث، والديوان
الذي سلّطنا عليه الضّوء في دراستنا جمعه وحققه وقدمه: "محمد بن الحاج الغوثي" ونفّحه السيّد
"جعلوك عبد الرزاق"، مستهلاً كتابه بإدراج لمحة عن نشأة ورؤاد النّظم المملّحون، ثمّ يتناول حياة
وقصائد الشّاعر التي بلغت واحداً وثلاثين قصيدة.

¹ - المصدر السابق، ص 56.


² - المصدر نفسه، ص 128.

من هذه الإطلالة السريعة على أغراض الشعر في ديوان "بن خلّوف"، نسجّل الملاحظات

التالية:

1. تعدّد الأغراض الشعرية في القصيدة الواحدة بين مدح وحماسة ووصف وتوسّل، مع طغيان الغرض الأوّل، يعود إلى تمكّن الشاعر من معظم أغراض الشعر في القصيدة العربية.
2. ابتعاد الشاعر عن أغراض الغزل، وبيان شوقه للحبيب المصطفى فقط، لأنّ مثل ذلك لا يليق بمقام هذا الوليّ الصّالح.
3. إنّ تخليد الشاعر للوقائع التاريخية لخير دليل على وطنيته وغيّره على بلاده، أرضنا وشعبنا.
4. ضلوعه في مدح النّبّي صلّى الله عليه وسلّم حتّى سمّي بأمرير شعراء زمانه، ومدح الرّسول، وذكره الصّحابة رضوان الله عليهم، والأولياء الأبرار، وتوسّله لله عزّ وجلّ لأكبر دليل على قوّة عقيدته الدّينية.
5. زين قصائد بالحكمة وضروب الأمثال الشّعبية، يعكس خبرته بالحياة، ومستوى تفكيره، ومدى ثقافته، فالأمثال مرآة للأخلاق العامّة، والأخلاق العامّة مرآة لمستوى حياة أمة من الأمم في مجالات الحضارة والعلم والتّفكير.¹
6. جاءت بعض قصائده مرصعة بالذّكر الحكيم، ممّا يثبت تفقّه العلامة "سيدي الأخضر بن خلّوف" بالدّين وحفظه للقرآن الحكيم وانشغاله بالعبادة.

¹ - ينظر: عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص 111.



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً. الكتب باللّغة العربية:

1. إبراهيم السامرائي، رسائل ونصوص في اللّغة العربية والأدب والتاريخ (كتاب النّخل لابن وحشية النّبطي)، مكتبة المنار، الرّقاء، الأردن، ط 1، 1988م.
2. إبراهيم محمد الجمل، مملكة إبليس، مكتبة الحياة، الإسكندرية، 2002م.
3. إبراهيم محمد حسن الجمل، أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد، المثل الأعلى لئساء العالمين، دار الفضيلة، القاهرة.
4. ابن السكّيت يعقوب بن إسحاق، كتاب الألفاظ، تح: فخر الدّين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م.
5. ابن السيّد البطليوسي، المثلث، تح: صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرّشيد، العراق، 1981م.
6. ابن القيم الجوزية، القرطبي، ابن كثير، العلامة السعدي، الجامع لأسماء الله الحسنى، إعداد: حامد أحمد الطّاهر، دار الفجر للتّراث، القاهرة، ط 1، 2002م.
7. ابن القيم الجوزية، جلاء الإفهام في الصّلاة على خير الأنام، تح: عزت كرار، سيّد عمران، دار الحديث، القاهرة، 2004م.
8. ابن القيم الجوزية، زاد الميعاد في هدى خير العباد، تح: شعيب الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، و مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 6، 1986م.
9. ابن الوردي، منافع التّبات والتّمّار والبقول والفواكه والخضروات والريّاحين، تح: محمد سيّد الرّفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق.
10. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، منشورات، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج 7، ص 1971م.

11. ابن خليفة العليوي، معجزات النبي المختار من صحيح الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1991م.
12. ابن عباس، ابن قتيبة، مكّي بن أبي طالب، أبو حيان، المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، ترتيب: عبد العزيز عزالدين السيروان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1986م.
13. ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، ط 2، 1996م.
14. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: نخبة من الأساتذة، دار صادر، بيروت.
15. أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله المعروف بابن الأجداني الطرابلسي، كفاية المتحفظ ونهاية المتلقظ، المطبعة الأدبية، بيروت، 1305هـ.
16. أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط 1، 2001م.
17. أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، أسرار العربية، تح: محمد بهجت البيطار، المجمع العلمي العربي، دمشق، د ت.
18. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت395هـ)، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسّسة الرسالة بيروت، ط 2، 1976م.
19. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
20. أبو الحسن علي الحسيني الندوي، الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصّوم، الحج) في ضوء الكتاب والسنة، دار القلم، الكويت، ط 3، 1974م.

21. أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت457هـ)، كتاب المخصّص السّفر الأوّل، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ط 1، 1316 هـ.
22. أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، المنتخب من كلام العرب، تح: محمد بن أحمد العمري.
23. أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، ما تلحن فيه العامة، تح: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1982م.
24. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر.
25. أبو الحسين علي بن محمد بن علي بن خروف الإشبيلي، (ت609هـ)، شرح: جمل الزّجاجي، تح: سلوى محمد غمر عرب، جامعة أمّ القرى، ط 1، 1999م.
26. أبو الصّفاء خليل بن أبيك الصّفدي، صرف العين، تح: محمد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية، ط 1، 2005م.
27. أبو الطّاهر محمد بن يونس بن عبد الله التّميمي، المسلسل في غريب لغة العرب، تح: محمد عبد الجواد، وزارة الثّقافة والارشاد القومي، الإقليم الجنوبي.
28. أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللّغوي الحلبي، كتاب الأضداد في كلام العرب، تح: عزة حسن، دار طلائس للدراسات والترجمة، دمشق، ط 2، 1996م.
29. أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللّغوي، شجرة الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، تح: محمد عبد الجواد، دار المعارف، القاهرة.
30. أبو العلاء صاعد بن الحسن الرّبعي البغدادي، كتاب الفصوص، تح: عبد الوهاب التّازي سعود، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، 1994م.

31. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1957م.
32. أبو الفرج بن زكريا النهراوني الجريري، المجلس الصالح الكافي والأنيس الصالح الشافعي، تح: إحسان عباس، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1987م.
33. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تقويم اللسان، تح: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط 2.
34. أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، تح: محمد محي الدين عبد المجيد، مطبعة السنة المحمدية، 1955م.
35. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرّاغب الأصفهاني (ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
36. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الرّخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1998م.
37. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي (1500م-1830م) دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1998م.
38. أبو المنذر هشام بن محمد بن السّائب الكبلي، كتاب نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، تح: جرجس لوى دلا وبدا، مطبعة برييل، لندن، 1928م.
39. أبو الهلال العسكري، الفروق اللّغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة القاهرة، د ت.
40. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط 6.
41. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، كتاب جمهرة اللّغة، دائرة المعارف العثمانية، 1345هـ.

42. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، المجتني، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آبادا لکن، الهند، 1342هـ.
43. أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1992م.
44. أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، كتاب الوحشيات، تعليق: عبد العزيز اليمني الرجكوتي، دار المعارف القاهرة، ط 3.
45. أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، تح: محمد علي الصّابوني، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرمة، ط 1، 1988م.
46. أبو جعفر محمد بن جرير الطّبري، تفسير الطّبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي و عبد السّند حسن يمامة، هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط 1، 2001م.
47. أبو حاتم أحمد بن حمدان الرّازي، كتاب الزّينة في الكلمات الإسلامية، تح: حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدّراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط 1، 1994م.
48. أبو حامد الغزالي، أسرار الحكمة، تح: علي عبّاس خريس، دار منيرا للطباعة والنّشر، بيروت، ط 1، 1994م.
49. أبو حيان التّوحيدي ومسكويه، الهوامل والشّوامل، تقديم: صلاح رسلان، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة.
50. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، الأيّام واللّيالي والشّهور، تح: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 2، 1980م.
51. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1983م.
52. أبو زيد بن عبد الرّحمن بن علي بن صالح المكودي، شرح المكودي على ألفية بن مالك، تح: فاطمة راشد الرّاجحي، الدّار المصرية السّعودية، القاهرة، ج 1، 2004م.

53. أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، كتاب المطر، نشره الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للأدباء اليسوعيين، بيروت، 1905م.
54. أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، الفاخر، تح: عبد العليم الطّحاوي، مراجعة: محمد علي النّجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، ص 64.
55. أبو طاهر محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، سفر السّعادة، تح: أحمد عبد الرّحيم السّايح و عمر يوسف حمزة، مكتب الكتاب للنّشر، القاهرة، ط 1، 1997م.
56. أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، الرّيح: تح: حسين محمد محمد شرف، مؤسّسة الحلبي للطباعة والنّشر، المدينة المنوّرة، ط 1، 1984م.
57. أبو عبد الله محمد بن أحمد الذّهبي، الطبّ النّبوي، تح: أحمد رفعت البدرأوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 3، 1990م.
58. أبو عبد الله محمد جمال الدّين بن مالك، شرح ابن عقيل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م.
59. أبو عبيد القاسم بن سلّام، الغريب المصنّف، تح: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الثّقافة الدّينية، ط 1، 1989م.
60. أبو عبيد القاسم بن سلّام، الغريب المصنّف، تح: محمد المختار العبيدي، نشر مشترك المجمعّ التّونسي للعلوم والآداب والفنون و دار سحنون، تونس، ط 1، 1996م.
61. أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، أشعار النّساء، حقّقه: سامي مكّي العاني و هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 1، 1995م.
62. أبو عبيدة محمد بن يوسف السّنوسي، المنهج السّديد في شرح كفاية المرید، شرح المنظومة المسّماة بالجزائرية لأحمد بن عبد الله الزّواوي الجزائري، تح: مصطفى مرزوقي، دار الهدى، مليانة، الجزائر.

63. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ط 2.
64. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، سلوة الخريف بمنظره الربيع والخريف، طبع في بيروت سنة 1320هـ، (دار النشر غير موجودة).
65. أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين و عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1991م.
66. أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، كتاب الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
67. أبو علي المرزوقي الأصفهاني، كتاب الأزمنة والأمكنة، مجلس دائرة المعارف، الهند، ط 1، 1332هـ.
68. أبو عمرو الشيباني، كتاب الجيم، تح: إبراهيم الأنباري، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، القاهرة، 1974م.
69. أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، كتاب أمثال الحديث، تح: عبد العلي عبد الحميد، الأعظمي، الدار السلفية، بمباي، الهند، ط 1، 1983م.
70. أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القادري، مصارع العشاق، دار صادر، بيروت.
71. أبو محمد حسن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، كتاب أمثال الحديث، تح: عبد العلي عبد الحميد الأعظمي، الدار السلفية، بمباي، الهند، ط 1، 1983م.
72. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الأنواء في مواسم العرب، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، 1988م.
73. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1996م.

74. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م.
75. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، كتاب المعاني الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1984م.
76. أبو منصور الثعالبي، كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، تعليق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 2، 2000م.
77. أبو منصور الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح: أحمد محمد شاكر، وزارة الثقافة، ط 2، 1969م.
78. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، 1994م.
79. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد الله درويش، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.
80. أبو يعقوب يوسف بن طاهر الخوي، فرائد الخرائد في الأمثال، تح: عبد الرزاق حسين، دار النفائس، الأردن.
81. أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، الكنز اللغوي في اللسن العربي، تعليق: أو غست هفتر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1903م.
82. أحصى العلماء هذه المضاعفات الخطيرة للخمر، كضعف العضلات والتهاب المعدة وتخريب الدماغ، ينظر: سمير عبد الحليم، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مكتبة الأحباب، بيروت، ط 1، 2000م.
83. أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م.

84. أحمد بن فارس بن زكريا اللّغوي، مجمل اللّغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسّسة الرّسالة، العراق، ط 2، 1986م.
85. أحمد بن محمد المقرئ التّلمساني، نفع الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1988م.
86. أحمد بن يوسف بن عبد الدّائم، عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1996م.
87. أحمد ساهر البقري، النّحو العربي، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1988م.
88. أحمد شوقي، الأعمال الشعريّة الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان، المجلّد الأوّل، 1988م.
89. أحمد عبده عوض، مداخل تعليم اللّغة العربيّة (دراسة مسحية نقدية)، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، ط 1، 2000م.
90. أحمد عزّوز، أصول تراثيّة في نظرية الحقول الدّلالية، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2002م.
91. أحمد عزّوز، المدارس اللّسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التّواصلية، منشورات مخبر اللّغة العربيّة والاتّصال، دار الأديب للنّشر والتّوزيع، وهران، د ط.
92. أحمد فتحي بهنسي، الخمر والمخدّرات في الإسلام، مؤسّسة الخليج العربي، القاهرة، ط 1، 1989م.
93. أحمد فريد، البحر الرّائق في الرّهد والرّقائق، مكتبة الصّحابة، جدّة، ط 2، 1991م.
94. أحمد محمد قدّور، اللّسانيات وآفاق الدّرس اللّغوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1، 2001م.
95. أحمد محمّد قدّور، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1999م.
96. أحمد مختار عمر، اللّغة واللّون، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1997م.

97. أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1993م.
98. إخوان الصفاء، رسالة إخوان الصفاء وخلاص الوفاء، دار صادر، بيروت، 1957م.
99. ادى شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1908م.
100. أديب عمر الحصري، تمور طابة وفوائدها المستطابة، مكتبة الملك فهد الوطنية، جدة، 1419هـ.
101. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان، ط 3، 1984.
102. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 1990م.
103. أطلس العالم الكبير، مكتبة الصغار، بيروت، لبنان.
104. بريان فارد، موسوعة جسم الإنسان، دار اليوسف، لبنان، ط 1، 1198م.
105. بسام العسلي، خير الدين بربوس والجهاد في البحر، دار التفائس، ط 1، 1980م.
106. بن حمدون بن الحاج، حاشية الطالب بن حمدون بن الحاج على شرح لامية الأفعال لابن مالك، دار الفكر، بيروت.
107. جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، 1993م.
108. جبر يحيى، اللغة والحواس نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة، نابلس، فلسطين، 1999م.
109. جرجس أفندي طنوس عون اللباني، الدر المكنون في الصنائع والفنون، مطبعة الجوائب، قسنطينة، ط 2، 1301هـ.

110. جرحي زيدان، اللّغة كائن حي، دار الجيل، بيروت، ط 2، 1988م.
111. جلال الدّين السيوطي، التّهجة السّوية في الأسماء التّبوية، تح: أحمد عبد الله بابور، الدّار المصرية اللّبنانية.
112. جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبد الله البغدادي (ت597هـ)، بستان الواعظين ورياض السّامعين، تح: أعين البحيري، مؤسّسة الكتب الثّقافية، بيروت، لبنان، 1998م.
113. جمال الدّين عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد الفاكهاني (ت972هـ)، شرح الحدود النّحوية، تح: محمد الطيب، دار الثّقائس، ط 1، 1996م.
114. جمال الدّين محمد جار الله بن محمد نور الدّين بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة القرشي الحزومي، الجامع اللّطيف في فضل مكّة وأهلها وبناء البيت الثّريف، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط 1، 1921م.
115. جونسون. ن.م، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، تر: أحمد محمد الضّبيبي، الدّار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط 2، 1983م.
116. حامد كمال عبد الله حسين العربي، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دار المعالي، عمّان، الأردن، ط 1، 2002م.
117. حسام البيطار، إعجاز الكلمة في القرآن الكريم، دائرة المكتبة الوطنية، عمّان، الأردن، ط 1، 2005م.
118. حسن ضياء الدّين عنتر، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، لبنان، ط 1، 1987.
119. حسن محمد نور الدّين، الدّليل إلى قواعد اللّغة العربية، دار المواسم، ط 5، 2005م.
120. حلمي خليل، مقدّمة لدراسة التّراث المعجمي العربي، دار التّهضة العربية للطّباعة والنّشر، بيروت، ط 1، 1997م.

121. حمد محمد بن صراي ويوسف محمد الشّامسي، المعجم الجامع لما صرح به وأبهم في القرآن الكريم من المواضع، مركز زايد للتراث والتّاريخ، الإمارات العربية المتّحدة، ط 1، 2000م.
122. خديجة الحديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 2003م.
123. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
124. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1424هـ.
125. ديوان ابن الرّيدون، دراسة وتهديب: عبد الله سنرة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م.
126. ديوان ابن حمديس، تح: محمد عباس، دار صادر، بيروت، 1960م.
127. ديوان ابن قلاقس (ت567هـ)، راجعه: خليل مطران، مطبعة الجوائب، مصر، 1905م.
128. ديوان الإمام الشّافعي، اعتنى به: عبد الرّحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 3، 2005م.
129. ديوان الإمام علي بن أبي طالب عليه السّلام، صحّحه، عبد العزيز الكرم، مطبعة الكرم، 1963م.
130. ديوان البحّري، مطبعة الجوائب، قسنطينة، ط 1، 1300هـ.
131. ديوان البهاء زهير، تح: محمد طاهر الجبلّاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 2.
132. ديوان الحطيئة، شرح حمدو طماس، دار المعرفة، لبنان، ط 2، 2005م.

133. ديوان الخنساء، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 2004.
134. ديوان القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز، تح: سميح إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط 1، 2003م.
135. ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
136. ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح طلال حرب، الدار العالمية، د ت.
137. ديوان التابعة الديباني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط 2.
138. ديوان امرؤ القيس، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 2004م.
139. ديوان تأبط شرا، تح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1999م.
140. ديوان جرير، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، ط 3.
141. ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.
142. ديوان دريد بن الصمة، تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة.
143. ديوان ذي الرمة، شرح غريبه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 2006م.
144. ديوان راهب الليل، دار الشروق، بيروت، ط 1، 1983م.
145. ديوان شعر الأعشى ميمون بن جندل، شرحه أبو العباس، دار النشر غير متوقّرة، 1927م.
146. ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، لبنان، ط 1، 2003م.
147. ديوان عمرو بن قمينة، تح: حسن كامل الصّيرفي، جامعة الدّول العربية، معهد المخطوطات، 1965م.

148. ديوان فاطمة الزهراء راجعه: أحمد حيدر، محمد شراد حساني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، ط 01، 2006م.
149. ديوان قيس بن ذريح، شرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، لبنان، ط 2، 2004م.
150. ديوان ليبد بن أبي ربيعة، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
151. الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة.
152. رمضان عبد التّوّاب، بحوث ومقالات في اللّغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 03، 1995م.
153. الزّبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مكتبة الحياة، بيروت، 1305هـ.
154. السري بن أحمد الرّفاء، المحبّ والمحبوب والمشموم والمشروب، كتاب المحبوب، تح: مصباح غلاويخي مجمع اللّغة العربية، دمشق، 1986م.
155. سعيد الخوري الشرتوي اللّبناني، نجدة اليراع، المطبعة اللّبنانية، 1905م.
156. سعيد بن الحسن الإسكندراني، مسالك النّظر في نبوّ سيّد البشر، تر: محمد عبد الله الشّرقاوي، مكتبة الزّهاء، القاهرة.
157. سليمان فياض، الحقول الدّلالية الصّرفية للأفعال العربية، دار المريخ للنّشر، الرياض، المملكة العربية السّعودية، 1990م.
158. سمير عبد الحلّيم، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، مكتبة الأحباب، دمشق، ط 1، 2000م.
159. سند بن مطلق السّبيعي، الخيل معقود في نواصيها الخير، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 2004م.
160. سوزان عكاري، موسوعة الأسماء العربية، دار الفكر العربي، لبنان، ط 1، 2003م.

161. شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن وليد الأنصاري، تح: سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ط 3.
162. شعر علي بن جبلة الملقب بالعمكوك (ت213 هـ)، جمعه وحققه حسين عطوان، دار المعارف، ط 3.
163. شعر مروان بن أبي حفصة، تح: حسين عطوان، دار المعارف، ط 3.
164. شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671 هـ)، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، تح: عرفان بن العشا حسونة الدمشقي، شركة أبناء شريف الأنصاري، ط 1، 2005م.
165. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م.
166. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: يحيى الشامي، دار الكتب العلمية، لبنان.
167. شهاب الدين الموسوي المعروف بابن معنوق، ديوان طرز البلغاء وخاتمة الفصحاء، ضبطه: حباب الفاضل المعلم سعيد الشرنوبى اللبناني، المطبعة الأردنية، بيروت، 1885م.
168. شهاب الدين بن أحمد الأجهشي، المستطرف في كل فن مستطرف، قدّم له وضبطه وشرحه: صلاح الدين هواري، دار ومكتبة الهلال، 2004م.
169. شوقي أبو خليل، أطلس القرآن، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 1، 2003م.
170. شوقي حماده، معجم عجائب اللغة، دار صادر، بيروت، ط 1، 2000م.
171. صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 16، 2004م.

172. صفية مطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.
173. الطاهر بن عاشور، البلسم المريح من شفاء القلب الجريح (شرح لبردة البوصيري)، تعليق: عمر عبد الله كامل.
174. الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية إبستمولوجية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، 2001م.
175. عاطف قاسم أمين المليجي، أسماء النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة عالم الفكر، ط 1، 1999م.
176. عائشة عبد الرحمن، تراجم سيّدات بيت النبوة، دار الريان للتراث، المغرب، ط 1، 1987م.
177. عائض بن عبد الله القرني، محمد صلى الله عليه وسلم كأنك تراه، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 2002م.
178. عبد الباسط محمد سيد و عبد التّوّاب عبد الله حسين، الموسوعة الأم للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية، دار ألفا، ط 1، 2004م.
179. عبد الجليل مرتاض، مقاربات أولية في علم اللّهجات، دار الغرب، ط 02.
180. عبد الحميد بن باديس، مجالس الذكر من كلام الحكيم الخبير، وزارة الشؤون الدينية، ط 1، 1982م.
181. عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1986م.
182. عبد الرحمن المصطاوي، معجم الأسماء العربية، دار الجيل، ط 1، 2004م.
183. عبد الرحمن بن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ضبطه: خليل شحادة، مراجعة: سهيل ركاز، دار الفكر، لبنان، ج 1، 2001م.

184. عبد الرحمن بن ناصر السّعدي (ت1372هـ)، قصص الأنبياء في القرآن الكريم وما فيها من العبر، مكتبة الرّشاد، الجزائر.
185. عبد الرحمن جلال الدّين السيوطي، المزهري في علوم اللّغة وأنواعها، تعليق وتصحيح: محمد جاد المولى بك و علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التّراث، القاهرة، ط 3.
186. عبد الستار عبد اللّطيف أحمد سعيد، أساسيات علم الصّرف، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط 2، 1999م.
187. عبد العال سالم مكرم، الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط 1، 1996م.
188. عبد العظيم فتحي خليل، الأعلام الممنوعة من الصّرف في القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2004م.
189. عبد الفتاح الصّعيدي و حسن يوسف موسى، الإفصاح في فقه اللّغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1، 1929م.
190. عبد الكريم مجاهد، علم اللّسان العربي فقه اللّغة العربية، دار أسامة، الأردن، ط 04، 2005م.
191. عبد الله بن محمد الشاريف بن سيدي علي الشّارف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرّسول، المطبعة التّونسية، تونس، 1929م.
192. عبد الله بن مسلم بن قتيبة، كتاب الجرائيم، تح: محمد جاسم الحميدي، قدّمه: مسعود بوبو، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1997م.
193. عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981م.

194. عبد المنعم سيّد عبد العال، معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة في الأصول العربية، مكتبة الخانجي، مصر، ط 2، 1972م.
195. عبد المنعم سيد عبد العال، معجم شمال إفريقيا تطوان وما حولها، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م.
196. عبد المنعم فهيم الهادي، دينا محسن بركة، عالم النبات في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1998م.
197. عبد الواحد وافي، علم اللغة، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
198. عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي؟، دار الشروق، القاهرة، ط 3، 2002م.
199. عثمان عثمان إسماعيل، معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة، ط 1، 1994م.
200. عدنان الشّريف، من علم الطبّ القرآني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م.
201. عزّ الدين بدر الدّين بن جماعة الكنايني، المختصر الكبير في سيرة الرّسول صلى الله عليه وسلم، سامي مكّي العاني، دار البشير، الأردن، ط 1، 1993م.
202. عزّ الدين بن عبد السّلام بن أحمد بن غانم المقدسي، كشف الأسرار عن حكم الطّيور والأزهار، صحّحه: يوسف اليودورس غرسين، دار الطّباعة السّلطانية، 1821م.
203. عزّة حسين عزّاب، المعاجم العربية، رحلة في الجذور والتّطور، الهوية، مكتبة ومطبعة نانسي دمياط، طباعة عماد.
204. على الطّنطاوي، من شوارد الشّواهد، دار المغارة، السّعودية، ط 1، 1988م.
205. علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، تح: مصطفى السّقا وحسين نصار، معهد مخطوطات الدّولة العربية، ط 1.

206. علي بن ظافر الأزدي المصري، غرائب التنبهات على عجائب التشبيهات، تح: محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، القاهرة.
207. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيد محمد ومحمد فضل العجماوي ومحمد السيد رشاد وعلي أحمد عبد الباقي وحسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، ط 1، 2000م.
208. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، (ت774هـ)، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للنشر والتوزيع، ط 1، 1997م.
209. عمّار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، بوفاريك، البليدة.
210. عمر سليمان الأشقر، الجنة والنار، دار التفائس، الأردن، ط 7، 1998م.
211. غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس، 1983م.
212. الغزالي، أسرار خواص كتاب الله العزيز، تح: عبد الحميد صالح الحمدان، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر.
213. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك للصناعة الكتاب، القاهرة، مصر، د ت.
214. فكري أحمد عكاز، الخمر في الفقه الإسلامي، شركة مكنتات عكاظ، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1982م.
215. فيصل بن محمد عراقي، الأعشاب دواء لكل داء، ط 1، 1413هـ.
216. ليوناكس، التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، تر: حسّان ميخائيل إسحاق.
217. ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1973م.

218. مجدي فتحي السيّد، بنات حول الرّسول صلى الله عليه وسلم، المكتبة التّوفيقية.
219. مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الفلسفي، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م.
220. مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوجيز، ط 1، 1980م.
221. مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّولية، ط 4، 2004م.
222. مجمع اللّغة العربيّة، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة العامّة للمطابع الأميرية، مصر، ط 2، 1989م.
223. مجموعة مختارة من عيون الأدب العربي، التّحفة البهية والطّرفة الشّهيّة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1981م، الرّسالة الثّامنة: زهر الرّبيع في المثل البديع.
224. محمد إبراهيم سليم، أسماء البنات ومعانيها، مكتبة ابن سينا، د ت.
225. محمد أبو راس النّاصري، فتح الإله ومنته في التّحدّث بفضله ربّي ونعمته، حياة أبي رأس النّاصري الدّاتية والعلمية، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.
226. محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار النّصر، القاهرة، ط 2، 1968.
227. محمد إسماعيل عبد الله الصّاوي، شرح ديوان جرير، المكتبة التّجارية الكبرى، مصر، ط 1، 1353هـ.
228. محمد التّونجي، المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م.
229. محمد الخضر حسين، دراسات في العربيّة وتاريخها، المكتب الإسلامي، مكتبة الفتح، ط 2، 1960م.

230. محمد الرازي فخر الدين، تفسير فخر الرازي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1981م.
231. محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1989م.
232. محمد الهواري، السبب والجمعة في اليهودية والإسلام، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1، 1988م.
233. محمد بسام رشدي الزين، المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1990م.
234. محمد بكر إسماعيل، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها، دار المنار، القاهرة.
235. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1987م.
236. محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ديوان سيدي الأخضر بن خلوف شاعر الدين والوطن، نشر ابن خلدون، تلمسان الجزائر، د ط.
237. محمد بن سليمان، مفاخرة بين مكة والمدينة المنورة، تح: محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، مصر، ط 1، 1999م.
238. محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین (ت405هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
239. محمد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي، الدرر السنوية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة الشباب، مصر، 1349هـ.
240. محمد بن محمد الرعيني الشهير بالخطّاب، الكواكب الدرية على متممة الأجرومية، شرح: محمد بن أحمد بن عبد البادي الأهدل.

241. محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، حياة البخاري، تح: محمود عمرو الأرنؤوط، دار التفانس، لبنان، ط 1، 1992م.
242. محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء، القاهرة، ط 1، 1998م.
243. محمد رضا، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، مكتبة نزار مصطفى الباز، المكتبة العربية، السعودية ط 1، 2005م.
244. محمد علي الشوكاني، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، تح: محمد صبحي بن حسن الحلاق، دار ابن الجوزي، بيروت، ط 1، 1427هـ.
245. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 1364هـ.
246. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم الغرباوي، مطبعة حكومة الكويت، ط 2، 1987م.
247. محمد مهدي الجواهري، ديوان الجواهري، مطبعة الغرى، النجف، 1935م.
248. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، اعتنى به: أبو عبيدة مشهود بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
249. محمود أحمد حسن المراغي، علم الدلالة، دار المعرفة الجامعية، 2007م.
250. محمود المصري أبو عمّار، العشرة المبشّرون بالجنة رضي الله عنهم، دار الإمام مالك للكتاب، البلدة، ط 1، 2005م.
251. محمود سامي البارود، مختارات البارودي، تح: مجموعة من الباحثين، مراجعة: محمد مصطفى هدارة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، مصر، 1993م.
252. محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، 2003م.
253. محمود مصطفى، إعجام الأعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983م.

254. محي الدين أبي عبد الله الحاتمي الطائي (ت 637هـ)، رسائل ابن العربي، كتاب الجلال والجمال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1.
255. محيسن محمد سالم، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، مكتبة القاهرة، ط 01، 1978م.
256. مختار بوعداني، المصنّفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م.
257. مراد فرج، ملتقى اللغتين العبرية والعربية، مطبعة السفير بالإسكندرية، مصر، 1936م.
258. مصطفى عاشور، عالم الملائكة أسراره وخفاياه، مكتبة القرآن، القاهرة.
259. مصطفى كمال عبد العليم و سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1995م.
260. مصطفى محمد عمارة، جواهر البخاري وشرح القسطلاني، المكتبة التجارية الكبرى.
261. المفضل بن سلمة، مختصر المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التّوّاب، مجلّة المخطوطات العربية، مج 17.
262. منشورات جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلّوف، دار الغرب للنشر والتّوزيع، د ط.
263. منيرة محمد ناصر الدوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1426هـ.
264. مها محمد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللغوية، دار المعرفة الجامعية، 2005م.
265. موفّق الدّين يعيش بن علي بن يعيش النّحوي، شرح المفصّل، صحّحه وعلّق عليه: محمد منير عبده آغا الدمشقي، أداة الطّباعة والنّشر المنيرية، مصر.

266. نادر موسى الجيناوي، موسوعة الأسماء ومعانيها، دار الإسرائ، عمّان، الأردن، ط 1، 2002م.
267. ناصر مكارم الشّيرازي، الزّهاء خير نساء العالمين، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط 1، 1992م.
268. نجاة عبد العظيم الكوفي، أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، دار الثقافة للنشر والتّوزيع، القاهرة، 1989م.
269. نخب الملح جمعها يوحنا بابلو واغوستينوس، مطبعة المرسلين اليسوعيين، بيروت، ط 4، 1884م.
270. نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الأرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1999م.
271. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، المكتبة الجامعية الأزريطة، الإسكندرية، 2000م.
272. هشام النّحاس، معجم فصاح العامية، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1997م.
273. وجيه الدّين عبد الرّحمن الأذرعي، بشارة المحبوب بتكفير الدّنوب، تح: أيمن عبد الجبّار البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2002م.
274. وفاء كامل فايد، المجامع العربية وقضايا اللّغة (1)، عالم الكتب، 2004م.
275. وليد ناصيف، الأسماء ومعانيها، دار الكتاب العربي، سوريا، ط 1، 2002م.

ثانيا. المراجع الأجنبية:

1. Institut pédagogique national Alger, Dictionnaire de la langue Française librairie la rousse, 1986.
2. Un ouvrage qui contient les mots d'une langue, rangés par ordre alphabétique, suivis de leur définition ou de leur tradition dans une

autre langue » voir : institut pédagogique national- Alger, dictionnaire de la langue française, librairie la rousse, 1986.

ثالثا. الرسائل الجامعية:

1. أحمد عبد الله محمد حمدان، دلالات الألوان في شعر نزار القباني، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2008م.
2. إدريس سليمان مصطفى، المغرب الصوّقي في القرآن (دراسة ومعجم)، رسالة ماجستير (مخطوط)، كلية التربية، جامعة التّكوين المتواصل، 2006م.
3. أمل محمود عبد القادر أبو عون، اللّون وأبعاده في الشّعْر الجاهلي، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م.
4. باية حسين حيدر، الخمر في الحياة الجاهلية وفي الشّعْر الجاهلي، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1986م.
5. جنان منصور كاظم الجبوري، التّطوّر الدّلالي للألفاظ في النصّ القرآني (دراسة بلاغية)، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، رسالة دكتوراه (مخطوط)، 2005م.
6. سهام محمد أحمد الأسمر، ألفاظ العقل والجوارح في القرآن الكريم، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007م.
7. سوسن يموت، مشاهد الصّيد في الشّعْر الجاهلي، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الأمريكية في بيروت، 1985م.
8. شذى معيوف يونس الشّماع، الآلة والأداة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة الموصل، 2005م.
9. عبد القادر بلّي، المعجم اللّهجي ودلالته في ديوان أحمد بن تربيكي، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة وهران، 2005م.

10. عبد القادر سيلا، الظواهر الصوتية في كتاب المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز في ضوء علم اللّغة الحديث، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السّعودية، 2001م.
11. فاطمة محمد عايد عبودية، الماء في آيات القرآن الكريم، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة التّجّاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م.
12. قاسم أديب عرابي، الطّير في تاج العروس للزّيدي، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1973م.
13. محمد ياس خضر الدّوري، دقائق الفروق اللّغوية في البيان القرآني، رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة ابن رشد، بغداد، 2005م.
14. ناهد جعفر، عدّة الحرب في الشّعْر الجاهلي، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1985م.
15. نصيرة بoudine، اللّهجة الدّزيرية (لهجة الجزائر العاصمة)، رسالة ماجستير (مخطوط) دراسة صوتية صرفية تركيبية معجمية، جامعة الجزائر، 1999م.
16. نضال عبّاس جبر دويكات، قصّة موسى عليه السّلام مع فرعون بين القرآن والتّورا (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة التّجّاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م.
17. نهاد توفيق نعمة، الجنّ في الأدب العربي، رسالة ماجستير (مخطوط)، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1960م.
18. هيلة عبد الله السّليم، التّفاؤل والتّشاؤم وعلاقتهما بالعوامل الخمسة الكبرى للشّخصية لدى عيّنة من طالبات الملك سعود، رسالة ماجستير (مخطوط)، قسم علم النّفس، كلية التّربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السّعودية، 2006م.

19. يمينة مصطفىاوي، تأصيل المصطلح الصّوتي محاولة لإنجاز قاموس في الصّوتيات، رسالة ماجستير (مخطوط)، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سعد دحلب، البليدة، الجزائر، 2001م-2002م.

رابعاً. المجلّات والدّوريات والجرائد:

1. الاتحاد العام لجماعة القراء، مجلّة كنوز الفرقان، العددان الخامس والسادس، يناير وفبراير، 1953م.
2. الاتحاد العام لجماعة القراء، مجلّة كنوز القرآن، العددان 3 و 4، السنّة الخامسة.
3. جاسم سليمان حمد الفهيد، التّوظيف الفّني للتّجوم والكواكب في شعر أبي العلاء، مجلّة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية الخامسة والعشرون، الرّسالة التاسعة والعشرون بعد المتين، 2005م.
4. جريدة الخبر اليومي، ركن كنوز السيرة، العدد: 5279، السنّة الثامنة عشرة، يوم الأربعاء، 26-03-2008م.
5. خلف خربشة، إيقاع اللّون الأبيض في شعر بشر من أبي خاوم الأسدي، مجلّة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللّغة العربية وآدابها، ج 15، العدد 25، شوال 1423هـ.
6. عبد القادر سلّامي، اللّغة واللّهجة بين الثّبات والتّحوّل، مجلّة حوليات التّراث، جامعة تلمسان، العدد 05، 2006م.
7. محسن الخالدي، الرّحم والرّحمان بين الاشتقاق والتّفسير، مجلّة جامعة النّجاح للأبحاث والعلوم الإنسانيّة، نابلس، فلسطين المجلّد 18، 2004م.
8. يحي عثمان جبر، اللّغة والحواس، مجلّة رسالة الخليج، مكتب التّربية العربي لدول مجلس التّعاون الخليجي، العدد 145.

خامساً. مواقع الأنترنت:

1. مقال نشر في الأنترنت بعنوان: سيدي لخضر مئة سنة في مدح المصطفى ومقاومة العزاة الموقع: <http://maktoobblog.com>
2. منتدى القصة السورية: www.Syrian story.Com/coment32-2htom
3. موقع جامعة الجزائرية، كلية الآداب واللغات، بن يوسف بن حدة، المكتبة الإلكترونية: <http://bv.univ-alger.dz>
4. موقع مكتبة جامعة الجزائر: <http://bu.Univ-Alger.Dz>



فهرس الموضوعات

مقدمة

مدخل: المعجم واللهجة

- 1- تعريف المعجم.....ص02
- 2- جهود العرب في صناعة المعاجم.....ص05
- 3- تعريف اللهجة.....ص10
- 4- بين اللغة واللهجة.....ص10
- 5- دراسة اللهجات.....ص15

الفصل الأول: الأسماء الدالة على الله عزّ وجل وملائكته الإنسان، وعلاقته الاجتماعية

والفردية والدينية

المبحث الأول: الأسماء الدالة على الله عزّ وجل وملائكته والأنبياء وخاتم المرسلين

وعائلته الشريفة

- أ- ماهية الاسم.....ص26
- ب- علاقة الاسم بمسماه.....ص29
- أولاً: الأسماء الدالة على الله وملائكته ورسله.....ص31
- 1- أسماء الله سبحانه وتعالى.....ص31
- 2- ما دلّ على الملائكة عليهم السلام.....ص36
- 3- ما دلّ على الرسل عليهم السلام.....ص39
- 4- ما دلّ على الرسول صلى الله عليه وسلم.....ص42

المبحث الثاني: ما دلّ على علماء الدين والأمراء والقادة

- 1- الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم.....ص56
- 2- أئمة الحديث الصحيح.....ص58
- 3- العلماء الصالحون.....ص60

4- ما دلّ على أمراء عثمانيين، قادة نصرانيين، زعماء قريش.....ص61

المبحث الثالث: الأسماء الدالة على العلاقات الأسرية والاجتماعية

1- علاقات النسب والقرابة.....ص64

2- ما دلّ على أسماء الشاعر وأفراد أسرته.....ص66

3- العلاقات الفردية والاجتماعية.....ص72

الفصل الثاني: الأسماء الدالة على أعضاء جسم الإنسان، سنّه وجنسه انتمائه

المبحث الأول: ما دلّ على أعضاء جسم الإنسان

1- ما دلّ على الأعضاء الظاهرية.....ص95

2- ما دلّ على الأعضاء الباطنة.....ص103

المبحث الثاني: ما دلّ على جنسه وسنّه

1- ما دلّ على جنسه.....ص109

2- ما دلّ على سنّه.....ص112

المبحث الثالث: انتمائه

1- ما دلّ على الدين.....ص117

2- ما دلّ على التّسبب.....ص119

الفصل الثالث: الأسماء الدالة على المحسوسات في ديوان سيدي الأخضر بن خلوف المبحث

الأول: ما دلّ على السمع

1- ما دلّ على أصوات الحزن.....ص122

2- ما دلّ على أصوات الفرح والطرب.....ص125

3- ما دلّ على أصوات الخصام والعتاب.....ص128

4- ما دلّ على الشعر.....ص129

5- ما دلّ على الشكر والثناء.....ص131

6- ما دلّ على أصوات الطبيعة.....ص133

7- ما دلّ على أصوات الاستغفار والدعاء.....ص134

- 8- ما دلّ على أصوات الكلام والحديث.....ص138
 9- ما دلّ على أصوات التوسّل والتضرع.....ص139
 10- ما دلّ على العلوم والمعارف.....ص140
 11- ما دلّ على الكتب السماوية.....ص142

المبحث الثاني: ما دلّ على البصر

- 1- تعريف البصر.....ص143
 2- ما دلّ على الألوان.....ص146

المبحث الثالث: ما دلّ على الذوق والشمّ

- 1- ما دلّ على الذوق.....ص155
 2- ما دلّ على الشمّ.....ص174

الفصل الرابع: الأسماء الدالة على الوسائل التي يستعملها الإنسان في ديوان سيدي الأخضر

مخوف

المبحث الأول: ما دلّ على المعادن والمواد الأولية

- أ- الذهب.....ص182
 ب- الفضة.....ص184
 ج- الحديد.....ص186
 د- الصوف.....ص187

المبحث الثاني: ما دلّ على وسائل الاستعمال اليومي

- 1- ما دلّ على وسائل الأكل والشراب.....ص188
 2- ما دلّ على الأفرشة والأغطية.....ص192
 3- ما دلّ على وسائل الإضاءة.....ص195
 4- ما دلّ على وسائل الكتابة والتعلّم.....ص198
 5- ما دلّ على وسائل الوزن والكيل.....ص200
 6- ما دلّ على اللباس وغطاء الرأس.....ص203

- 7- ما دلّ على وسائل الزينة.....ص206
 8- ما دلّ على وسائل السفر.....ص208
 9- ما دلّ على وسائل الطرب والتسلية.....ص211
 10- ما دلّ على وسائل أخرى.....ص212

المبحث الثالث: ما دلّ على وسائل القيد، القطع والحفر، والقتل في ديوان سيدي الأخضر بن خلوف

- 1- ما دلّ على أدوات القيود.....ص214
 2- ما دلّ على وسائل القطع والحفر.....ص217
 3- ما دلّ على وسائل القتال.....ص218

الفصل الخامس: الأسماء الدالة على الطبيعة ومظاهرها في ديوان سيدي الأخضر بن خلوف

المبحث الأول: ما دلّ على السماء والأرض

- 1- ما دلّ على أسماء السماء وما فيها.....ص223
 2- ما دلّ على أسماء الأرض وما فيها.....ص233
 3- الأسماء الدالة على القارات والبلدان والمدن.....ص244
 3-1 ما دلّ على القارات.....ص244
 3-2 ما دلّ على البلدان والمدن.....ص245

المبحث الثاني: ما دلّ على الفصول والأشهر والأيام والليالي

- 1- ما دلّ على فصول السنة.....ص251
 2- ما دلّ على الشهور.....ص253
 3- ما دلّ على الأيام والليالي.....ص254
 4- ما دلّ على أسماء أخرى.....ص258

المبحث الثالث: ما دلّ على الحيوان والنبات

- 1- ما دلّ على الحيوان.....ص260
 2- الأسماء الدالة على النبات.....ص274

الفصل السادس: الفعل ودلالاته في ديوان سيدي الأخضر بن خلوف

المبحث الأول: الأفعال الدالة على الحركة والتواصل

أولاً: الأفعال الدالة على الحركة.....ص283

ثانياً: الأفعال الدالة على التواصل.....ص288

المبحث الثاني: الأفعال الدالة على الإحساس والانفعال

أولاً: الأفعال الدالة على الإحساس.....ص302

ثانياً: الأفعال الدالة على الانفعال.....ص314

المبحث الثالث: الأفعال الدالة على الفكر والتعلم

تعريف الفكر.....ص322

خاتمة.....ص334

الملحق.....ص340

قائمة المصادر والمراجع.....ص387

فهرس الموضوعات.....ص415

ملخص الأطروحة:

تعبّر اللهجة عن الهوية الثقافية للفرد والجماعة من خلال طريقة الكلام واستخدام المفردات وكيفية التلفظ بها وما يميزها من خصائص صوتية ومميزات تركيبية ودلالية، ودراسة المستويات اللهجية في الديوان الشعري لسيدى لخضر بن خلوف من خلال الغوص في دلالة كلماته التي تبرز ثراء الشعر الجزائري الملحون ومحاولة الجمع بين اللهجة والمعجم والدلالة، وكذلك تبيان هذا المعجم من العربية الفصحى بضبط الفاظ الديوان ضمن حقول دلالية بالاعتماد على الشاهد والعودة إلى المعاجم اللغوية ثم الرجوع إلى تفسير المفردة في القرآن الكريم وضرب أمثلة عن دواوين العرب وأمثالهم من أجل الوقوف على المعنى الذي إشتك فيه بن خلوف مع غيره من الشعراء وما خالفهم فيه.

الكلمات المفتاحية:

اللهجة. المستوى اللهجي. شعر سيدى لخضر بن خلوف. التعدد اللهجي. المديح النبوي في قصائد بن خلوف.

Summary:

The dialecte expresses the cultural identity of the individual and the group through the way of speaking, the use of vocabulary, how it is pronounced, and what distinguishes it from the vocal characteristics, structural and semantic features, and the study of the dialectical levels in a poetic group of Sidi Lakhdar bin Khalouf by diving into the meaning of his words that highlight the richness of Algerian poetry and an attempt to combine dialect The lexicon and semantics, as well as clarifying this lexicon from the classical Arabic language by modifying the words of the pronunciation. A diwan within the semantic fields by relying on the witness and returning to the linguistic dictionaries and then referring to the interpretation of the Word in the Holy Qur'an and giving examples of Arab holdings and its like in order to identify the meaning shared by Ibn Khalouf. From the other poets and what differed from them .

Key words :

Dialect. Dialectal level. The poetry of Sidi Lakhdar bin Khalouf. Dialectal pluralism. Prophetic praise in the poems of Ibn Khalouf.

Le résumé :

Le dialecte exprime l'identité culturelle de l'individu et du groupe à travers la façon de parler, l'utilisation du vocabulaire, la façon dont il se prononce, et ce qui le distingue des caractéristiques phonétiques et des traits de composition et de sémantique, et une étude des niveaux dialectiques dans le diwan poétique de Sidi Lakhdar bin Khalouf en plongeant dans la signification de ses propos qui mettent en valeur la richesse de la poésie algérienne et la tentative de combiner dialecte, lexique et sémantique, ainsi que de clarifier ce lexique de l'arabe classique en ajustant les mots de le D'iwan dans les champs sémantiques en s'appuyant sur le témoin et en revenant aux dictionnaires linguistiques, puis en se référant à l'interprétation du mot dans le Saint Coran et en donnant des exemples de collections arabes et similaires afin d'identifier le sens partagé par Ibn Khalouf avec d'autres Des poètes et ce qui n'était pas d'accord avec cela.

Les mots clés :

Dialecte. Niveau dialectal. La poésie de Sidi Lakhdar bin Khalouf. La multiplicité de la louange prophétique dans les poèmes d'Ibn Khalouf.